منبر الإسلام

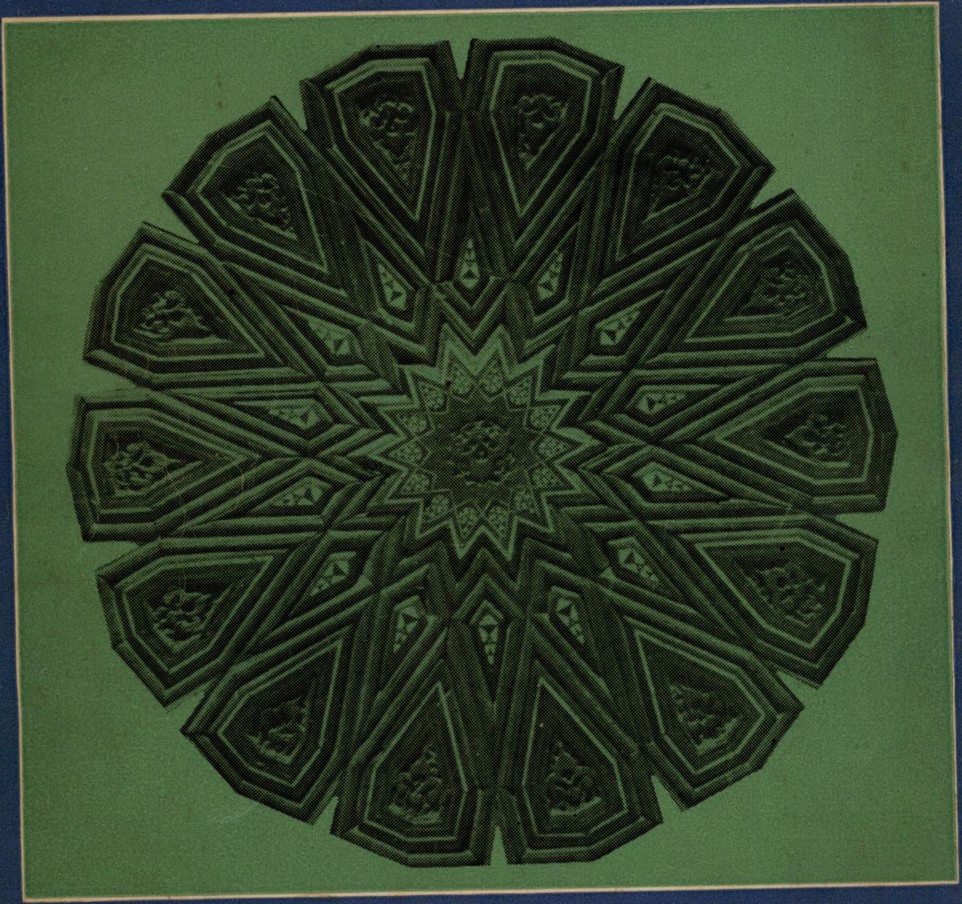

العدد ٥ – السنة ٢٠ – جمادى الأولى ١٣٨٢ – اكتوبر ١٩٦٢

الثمن ٥ قروش

مِنبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بوزارة الاوقاف
فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير محمد توفيق عويضة

جمادى الأولى ١٣٨٢
اكتوبر ١٩٦٢
العدد ٥ السنة ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

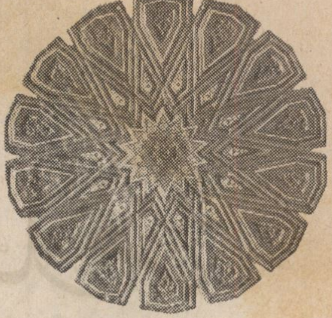

صورة الغلاف
زخرفة « الطبق النجمى » منفذة فى الخشب ومطعمة بالسن والابنوس مصر: القرن ٨ هـ (١٤م) .

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- خطاب من القـــاهرة
- حديث مع سفير الهند
- فى الأخلاق ـ لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد
- التجديد فى الشعر ـ الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد
- الاسلام واعـداد الأمة ـ فضيلة الشيخ محمـــد أحمد فرج السنهورى
- الجاهلية والاسلام ـ فضيلة الشيخ محمد محمـد المدنى
- الجانب الروحى فى الاسلام ـ فضيلة الشيخ محمد أحمد هريدى
- الجزية فى الاسلام عدالة وسماحة ـ الدكتور احمد الحوفى
- دعوة الميثاق الوطنى دعوة للاسلام ـ الاستاذ حسنى عبد المجيد
- التظاهر بالاسلام بين الجدل والهزل ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- المصادفات الحسنة فى الكشوف العلمية ـ الدكتور عبد الحليم منتصر
- التطورات الدستورية فى مصر ـ الدكتور طعيمـة الجرف
- الاسلام والنظام التعاونى ـ الدكتور محمد غلاب

معالم الطريق .....

- الروح المؤمنة المتوثبة أكبر عامل فى تدعيم القومية العربية .
- أعوان الاستعمار أشد خطراً من الاستعمار .
- أعوان الاستعمار يبيعون أنفسهم ليعملوا ضد الأحرار وضد العرب فى بلاد العرب الحرة .
- إننا نتضامن مع العرب فى كل مكان ضد أعوان الاستعمار وضد الغدر وضد الخيانة .

أعوان الاستعمار أشد خطرا من الاستعمار
من كلمة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ألقيت يوم ٢٧ من فبراير سنة ١٩٥٨

أيها الاخوة المواطنون :

ان هذه الروح العالية ، هذه الروح المؤمنة المتوثبة هى أكبر عامل فى بناء قوة العرب وفى تدعيم القومية العربية ٠

ان هذه الروح وهذه الآمال التى رأيتها اليوم فى كل مكان وشاهدتها بالأمس وفى الأيام الأخيرة منذ أن انبثقت الوحدة ٠٠ رأيتها اليوم حينما زرت القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة فى جبهة القتال ٠٠ رأيتها فى القوى المرابطة على الحدود ٠ رأيتها فى كل مكان ٠٠ هذه الروح وهذا الأمل يمثل المسئولية الكبرى نحو المستقبل الكبير ٠

اننا اليوم فى أول أيام الجمهورية العربية المتحدة ٠٠ تدفقت الأرواح وتدفقت النفوس وتدفقت المشاعر حتى نترك ونرمى عن كواهلنا آثار الماضى البغيض ونستقبل فجر الوحدة ٠٠ لأن فجر الوحدة انما يمثل القوة التى تدعم الحرية والاستقلال التى كافحنا من أجلهما على طول الزمن وعلى مر الأيام ٠

هذه الروح العالية التى أراها الآن ٠٠ انما تمثل أمل المستقبل فى كل بلد عربى ٠ انما هى روح العرب جميعا فى كل وطن عربى ٠ ولكنى أراها هنا فى هذا المكان وفى هذا الوقت لأن هـذه الروح قد انبثقت بعد كفاح طويل من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ٠

وقد قلت دائما ان الاستعمار لايمكن أن يسيطر على بلد من البلاد أو وطن من الأوطان الا اذا اعتمد على أعوان الاستعمار ٠ وان أعوان الاستعمار لأشد خطرا من الاستعمار ٠ لأنهم يزيفون الأهداف ويزيفون المثل ويخونون الأمانة التى تلقى عليهم من وطنهم ويتنكرون لأرضهم التى شربوا من مائها وأكلوا من خيراتها ٠

ان أعوان الاستعمار الذين قاموا فى الوطن العربى لم يعد لهم وجود فى الوطن المتحرر ٠٠ انتهوا بفضل كفاح الشعب العربى ٠٠ ان أعوان الاستعمار لا زالوا يحاولون فى بعض البلاد العربية أن يفرضوا مشيئة الاستعمار وما زالوا يحاولون فى بعض البلاد العربية أن يتبعوا سبيل الخيانة واننا أيها الاخوة المواطنون نتضامن مع العرب فى كل مكان ضد أعوان الاستعمار وضد الغدر وضد الخيانة ٠

أيها الاخوة المواطنون :

اننا حينما نعلن هذا الكلام انما نعلنه دفاعا عن حريتنا وعن وحدتنا لأن أعوان الاستعمار يتآمرون فعلا ضد شعوبهم وضد بلادهم ولا ينتهكون فقط حرية أوطانهم ولكنهم يبيعون أنفسهم ليعملوا ضد الأحرار وضد العرب فى بلاد العرب الحرة ٠

هذه الروح التى أراها الآن تمثل الوحدة انما هى نتيجة الكفاح من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال الذى انتصرتم فيه ٠٠ بفضل صبركم وبفضل ايمانكم وصلنا الى هذه الأيام التى نستطيع أن نعبر فيها عن مشاعرنا فى حرية وايمان ٠

واننا أيها الأخوة المواطنون حينما نعبر عن هذه المشاعر يجب أن نشعر ويجب أن نعرف أنها ليست مشاعرنا فقط فى هذا الجزء من العالم العربى ولكنها مشاعر كل مواطن عربى، فى كل بلد عربى ولكن الفرق أيها الأخوة المواطنون واضح ٠٠ الفرق واضح ٠٠ لسبب بسيط ٠

هنا فى هذه البلاد ، فى هذه الأرض قد حققتم الحرية ، وحققتم الاستقلال

هنا فى هذه البلاد ، وفى هذه الأرض قد قضيتم على السيطرة وقضيتم على الاستبداد ٠٠ هنا فى هذا الوطن نشعر بالحرية ونشعر بحقنا فى الحياة ٠

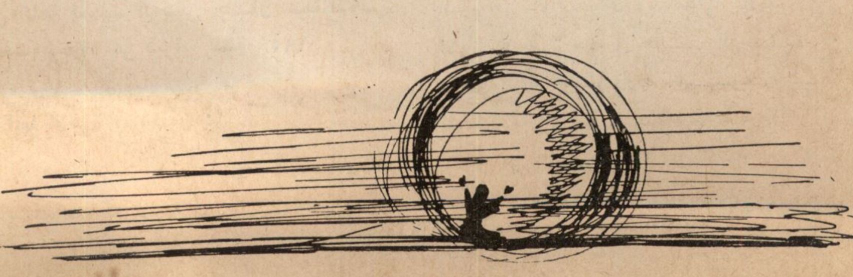

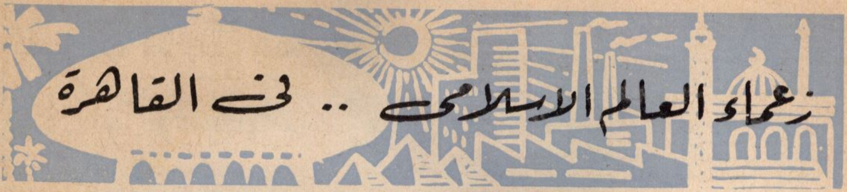

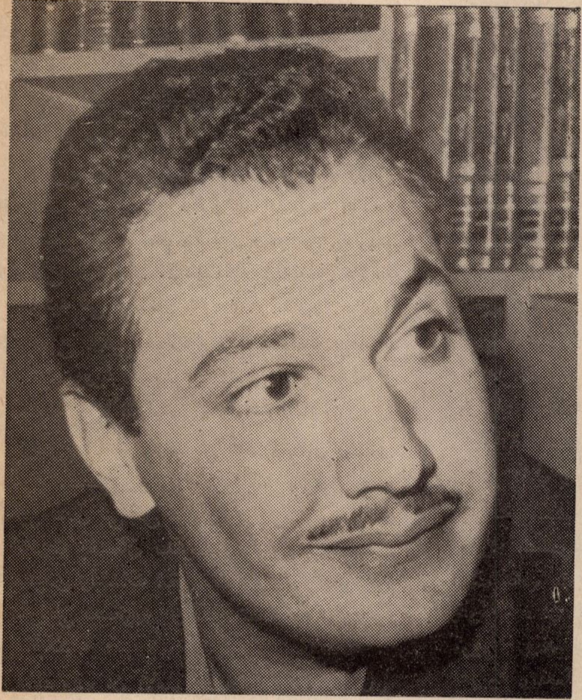

الأمراء الأحرار فى القاهرة

١٩ أغسطس عام ١٩٦٢

فى ١٩ أغسطس ١٩٦٢ وصل الأمير طلال ابن عبد العـزيز آل سعود ، الى القاهرة وبصحبته الأمراء فواز والبدر وسعد بن فهد .

الأمراء الثائرون على سياسة الملك سعود والمطالبون بتغيير الأوضاع العربيـة فى السعودية ..

وقد صرح الأمير طـلال للصحفيين بمطار القاهرة بقوله : « اننى بوصولى الى القاهرة الحبيبة أحب أن أذكر أنهذا البلد العربى هو دائما مكان الضيافة واننا لسـنا جـددا على القاهرة ولنا فيها أصدقاء كثيرون وأدعو الله أن يوفق العرب والمسلمين فىكل مكان لخدمة قضاياهم » .

وصرح الأميـر البدر : « ان مطالب الأمراء هى مطالب وطنيـة تستهدف مصلحة الشعب وتتلخص فى قيام دستور ومجلس تشريعى واصلاح الأوضاع الاقتصادية واقامـة عدالـة اجتماعية فى البلاد » .

وصرح الأمير فواز : بأنه سـعيد بوصوله الى الجمهورية العـربية المتحدة ودعا الله أن يحفظ قائدها الرئيس جمال عبدالناصر .

وصرح الأمير سعد بن فهد : « ان أهداف الأمراء السعوديين واحدة واننا متفقون مـع الأمير طلال فى كل ما أدلى به من بيـانات وأحاديث بشـأن تحقيـق أمانى الشـعب السعودى وأهدافه التى تتلخص فى اقامة حكم ديمقراطى دستورى واقامة عـدالة اجتماعية فى البلاد » .

والمعروف أن الأمير طـلال ترتيبه السابع عشر فى ولاية العـرش . وقد كـان وزيرا للمواصلات عام ٥٢ ثم سفيرا لبلاده فىفرنسا عام ١٩٥٣ . وكان يبلغ من العمر وقتها ٢٤ عاما ، ثم وزيرا للـماليـة .. ولكنه أكره على الاستقالة منذ عدة أشهر بعد أن تزعم محاولة لاضفاء الشكل الدستورى على الحكومة .

ومما يذكر أن الملك سـعود سـحب جواز سفر الأمير طـلال ومنعـه من العـودة الى السعودية وحذر جميع شركات الطيـران من نقله اليها وذلك بعد أن عقد مؤتمرا صحفيا فى بيروت فى ١٥ أغسطس ١٩٦٢ ـ كشف فيه عن حقيقة الأوضاع فى السعودية وهاجم نظام الحكم الرجعى فيهـا الذى يقوم على حكم الفـرد وأعلن أن برنامجه يتلخص فى اقـامة حكم ديمقراطى دستورى يشترك فيه الشعب فى حكم نفسـه لأنه يرى من الضرورى أن تتوافر العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة للشعب السعودى .

بل ان مجرد ارسال الأمير طلال برقيـة يهنىء فيها الجمهورية العربية بمناسبة اطلاق الصورايخ العربية كان سببا لاقدام سعود على مصادرة ممتلكاته ومهاجمة منازله .

ويعلق على ذلك الأمير طـلال قائلا : « اذا كانت تصرفات سعود معى سببها البرقية التى أرسلتها الى سيادة أخينا الرئيس جمال عبد الناصر للتهنئة بنجـاح اطلاق الصواريخ ، فهل هنـاك عربى صميم يسمع هـذا الحدث العلمى العسـكرى العظيم ولا يهنىء أخانا الكبير جمال عبد الناصر . وهل هذا يعد فى شرع سعود خيانة ..؟ »

أما الأمراء الثلاثة الآخرون فقد تنازلوا عن جوازات سفرهم فسلموها للقـائم بأعمـال السفارة السعودية فى بيروت تضـامنا مع الأمير طلال وتأييدا له .

وقد استقبل الرئيس جمـال عبد النـاصر الأمراء السعوديين الأربعة . وصرح الأميـر طلال عقب مقابلته للرئيس جمال عبد الناصر بقوله : « ان الرئيس جمـال عبد النـاصر أخ كريم . وقد تناول الحـديث بيننـا المسائل العربية والمشاكل التى تتعلـق ببلادى .. وأضاف ان الرئيس فى كل مواقفه لا يريد الا مصلحة بلدنا وقد قلتللمسئولين عندنا اننى لو كنت أعرف أن هـذا الرجل ضد مصلحة بلادى لجاهرت بمعارضته ولكنه لا يعمـل الا لمصلحة بلادى والبلاد العربية » .

لا تعارض بين الاسلام والاشتراكية :

وقد أدلى الأمير طـلال بحديث صحفى تحدث فيه عن سوء الأحـوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالمملكة السعودية . وفند مزاعم السلطات السـعودية التى تتهمه بالانحياز للجمهورية العربية المتحدة ـ وقال :

« ان اسرائيل تفترى دائما على الجمهورية العربية وشتائم اسرائيل تعتبر شرفا لكل مواطن فى الجمهورية العربية » .

وسئل : أنت تنادى بالاشتراكية فما ردكم على من يقول ان الاشتراكية ضد الاسلام وتتعارض معه ؟

فأجاب : « فى مفهومى أن الاشتراكية هى العدالة الاجتماعية فاذا كانت كذلك فان العدالة الاجتماعية هى من صميم الاسلام وان أول من نادى بتوزيع الدخل توزيعا عادلا هورسول اللهمحمد بن عبدالله - فالاشتراكية ليست ضد الاسلام وقدقال الرسول :«الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » فماذا يعنى هذا الحديث !

انه يعنى الاشتراكية والمبدأ الاشتراكى .. وقد قلت لسعود ولحكومته أكثر من مرة : اثبتوا ان الاشتراكية ضد الاسلام لو كنتم صادقين .. ان سعود وحكومته يضيعون الوقت فى كيل الشتائم للاشتراكية فلماذا لا يبحثون عن مصالح الشعب السعودى بدلا من هذه الشتائم .. وقال : اننا ندعو الى عدالة اجتماعية بكل مفاهيم هذه العدالة .. ندعو الى توزيع الدخل على كل فرد من أفراد الشعب » .

اخلاص لا ينكر :

وقال : « ان النجاح الذى أحرزتهالجمهورية العربية المتحدة فى سياستها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يرجع دون شك الى الى اخلاص الرجل الكبير جمال عبدالناصر .

ان أعداءه لا ينكرون عليه اخلاصه وتفانيه فى خدمة بلده وحبه لها ونحن نرى انتصارات عظيمة فى جميع الحقول . وقد ابتدأ الرئيس جمال عبد الناصر ونرجو مخلصين أن تتنبه جميع البلدان العربية وشعوبها . وأرجو من كل قلبى للجمهورية العربية النصر فى كل خطوة تتخذها لمصلحة البلاد ومصلحة العرب لأن انتصاركم انتصار لنا » .

رسالة الأمير طلال الى شعب السعودية :

وقد أذاع الأمير طلال رسالة الى شعب السعودية قال فيها .. ان الملك سعود بدأ عهده بالتنكر لحقوق الشعب والاستيلاء عليها .. وأباح دخل البترول لنفسه ولأتباعه وحاشيته وحرم الشعب منه .. ترك السماسرة والمرتشين ينهبون ثروة الشعب بجرأة واستهتار .. انتقلت السلطة بعد ذلك الى الأمير فيصل .. ماطل الأمير ثلاث سنوات وتنكر لحق الشعب فى الحرية والعدالة .. عاد سعود من جديد .. .. حاول الأمراء الأحرار التعاون معه واقناعه بالقضاء على الفساد . فرفض وأقصاهم عن مناصبهم .

وقال ان سعود انفجر بالحقد ضده واتهمه بالخيانة لأنه هنأ الرئيس جمال عبد الناصر باطلاق الصواريخ العربية .. وعاهد الأمير شعب السعودية على متابعة النضال دفاعا عن حقوقه ضد اللصوص الذين يسرقون ثروة الأرض ..

واختتم رسالته للشعب السعودى بقوله : «اننا اليوم فى صميم المعركة الفاصلة ولقد نذرنا أنفسنا لقضية بلادنا وبلادكم .

اننا نعاهد الله ثم نعاهدكم على متابعة النضال دفاعا عن حقوقكم وحريتكم وقوت عيالكم . فحرام أن تعيشوامظلومين أذلاء فى أرض الوحى والفتح والكبرياء .. حرام بل كفر أن يسرقوا ثروة أرضكم باسم الاسلام والاسلام هو دين المساواة والعدل والرحمة ان الاسلام لا يتنافى والعدالة الاجتماعية بل يتنافى وسرقة مال الشعب .

والاسلام لا يشجب الاصلاح وانما يشجب الفساد والاستبداد .

والاسلام يأمر بالمعروفوينهى عن المنكر.. بالصدق والتقوى والنزاهة لا بالنفاق والاستغلال والطمع .

ان نور الحق الذى هبط فى أرض الجزيرة العربية لن ينحسر ولن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله بأيديهم .. ان البطاح المباركة التى شهدت شمس العدالة والحضارة منذ أربعة عشر جيلا لن تؤول الى ظلال . ان صيحة الحق والهدى والحرية ستجد فى هذه الربوع من يستجيب لها . فالله يمهل ولا يهمل .

ان دولة الباطل ساعة . ودولة الحق الى قيام الساعة ..

خطاب من القاهرة

السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
ووزير الشئون الاجتماعية والأوقاف

- إن أى توجيه سليم للمجتمع لابد أن يزاوج بين الإيمان والعلم..
- أردنا بتطوير الأزهر أن نمكنه من احتياجات المجتمعات الإسلامية، ونربطه بالحياة الواقعية للمسلمين ...
- سيكون الأزهر دائما فى ثورة ليلتقى مع ثورة الإسلام فيدفع الحياة الإسلامية إلى الأمام ...

بمناسبة الاحتفال بمنح درجة العالمية الفخرية من جامعة الأزهر الى رئيس وزراء نيجيريا الشمالية يوم ٢٢ يولية سنة ١٩٦٢

السيد رئيس وزراء نيجيريا الشمالية ..

ان قرار مجلس جامعة الأزهر بمنح سيادتكم درجة العالمية الفخرية له اعتباران :

الأول : أنه تعبير عن التقدير لما لسيادتكم من علم واسهام فى الحركة السياسية والفكرية فى نيجيريا .

الثانى : انه قد تم فى العام الأول لتطوير الأزهر ، واقامة جامعته الجديدة ، التى عنيت الثورة بها كما عنيت بالهيئات الأخرى التى يشملها الازهر كى يؤدى الازهر بجميع هيئاته رسالته الكبرى التى اضطلع بها منذ ألف عام، وهى رسالة الاسلام ولغة القرآن .

والثورة لم تقدم على تطوير الأزهر الا بعد أن درست جميع الأحوال والظروف التى تحيط بمجتمعاتنا وشعوبنا ، والتى ما زالت تتطلب منا — من أجل تقدمنا وسيادتنا — مزيدا من الجهود فى التوجيه والعمل ، كما تتطلب تهيئة امكانيات جديدة لم تكن متوفرة من قبل . وقد رأت الثورة أن الايمان بالاسلام كان ولم يزل هو العامل الأكبر فى تماسك الأمة الاسلامية ، وفى ايقاظ الوعى فى أعماقها ، وفى تعزيز حرصها على سيادتها واستقلالها وكفاحها ضد من يحاول اذلالها أو استغلالها . كما رأت الثورة أن الأزهر نفسه بتاريخه الطويل وأمجاده العريقة — فى مجال العلم والاسلام والتحرر بالنسبة للمسلمين جميعا ، هو المعهد الطبيعى لتربية الايمان والاسلام ، وارسال أشعة تعاليمه الى الأمة الاسلامية فى شتى ديارها : هنا فى قارتنا الافريقية ، وهناك فى القارة الآسيوية .

وكان لابد اذن أن تعمل الثورة على تمكين الأزهر من أداء رسالته كاملة فى وقتنا الحاضر ، أداء يتفاعل مع جميع الظروف التى تحيط بنا ، والأهداف التى تنشدها الشعوب والجماعات الاسلامية من الحياة الكريمة ، الحياة الانسانية الفاضلة ، البعيدة عن الضعف والهوان .

ولكى يكون الأزهر متفاعلا مع المجتمعات الاسلامية المتعددة فى أداء رسالته ، ولكى يكون على صلة قوية بمجالات التقدم العلمى ومايسود العالم من اتجاهات اجتماعية واقتصادية فى الوقت نفسه ، كان لا بد من توسيع نطاق الخدمات التى تؤديها جامعة الأزهر للمجتمعات الاسلامية وللتقدم الانسانى على السواء . ومن هنا يتأتى لهذه الجامعة العريقة فى تنظيمها الجديد ، أن تبرز دور الاسلام فى مواجهة مختلف الاتجاهات العالمية وأن تقدم الاسلام كنظام متكامل للحياة الانسانية الكريمة ، وأن توضح موقفه من العلم فى خدمة البشرية ، وتدفع المسلمين الى سلوك المنهج العلمى فيما يبحثون ،وتطبيق نتائج العلم فيما يعيشون . كل ذلك مع احتفاظهم بشخصيتهم الاسلامية ، ومن أخص مقوماتها أن يكون المؤمنون بعضهم أولياء بعض ، يسالمون من يسالمهم ويعادون من يعاديهم .

مر العام الأول على صدور قانون الأزهر ، وشهدت جامعة الأزهر فى تنظيمها الجديد « كلية المعاملات والادارة » ، بجانب الكليات التى عرفها الجامع الأزهر فى تاريخه الطويل : وهى « **أصول الدين** » و « **الشريعة** » و « **اللغة العربية** » — والكلية الأخيرة قد اتسع مجالها بعد التطوير فصارت كلية « للدراسات العربية » فى معانيها الشاملة للغة والأدب والتاريخ والحضارة . وستنشأ فى مستهل العام الجامعى القادم كلية جديدة للبنات ، وفى العام الجامعى ٦٤—٦٥ ستنشأ كليات للطب والهندسة والزراعة .

وباضافة هذه الكليات العلمية والعملية التى تنشأ فى رحاب الأزهر بروحه وثقافته الاسلامية ، الى ماكان للأزهر من كليات للدراسات الاسلامية والعربية الخالصة — يصبح الأزهر على استعداد لتلبية احتياجات المجتمعات الاسلامية من أصحاب العقيدة والكفاءة ، أصحاب الايمان والعلم . وذلك

بجانب تزويد تلك المجتمعات بأصحاب الرأى فى الفقه الاسلامى ، وفى العقيدة والفلسفة الاسلامية ، وبأصحاب الدراية والدربة فى اللغة العربية وآدابها – بعد أن عمل التنظيم الجديد على توسيع ثقافتهم ومعارفهم ، وتهيئتهم ليكونوا روادا صالحين فى مجتمعاتهم يعرفون تراثهم ولا يجهلون ماوصلت اليه التجربة الانسانية من ثمرات فى المعارف القانونية والفلسفية والأدبية ٠

اننا يجب ألا ننكر ما وصل اليه العلم فى وقتنا الحاضر ، وما كان له من قيمة فى مجتمعاتنا اليوم ، كما يجب ألا نغفل أيضا شأن الايمان بالله فى سلوك الطريق السوى ، وترقية ضمير الانسان ، وتقوية أواصر الأخوة بين الناس أجمعين ٠ من أجل ذلك فان أى توجيه سليم للمجتمع لابد أن يزاوج بين الايمان والعلم ٠ وقد جاء الاسلام يدعو الى العلم ويحث عليه ويجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وقد أوجب على المسلمين أن يدركوا نعم الله على الانسان كى يتسنى لهم الوفاء بشكرها بما ينبغى لجلال الله وعظيم انعامه ٠ والله تعالى يقول : « **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** » وهو ينبه بذلك الى وسائل المعرفة الحسية الواقعية التجريبية من جانب ، ووسائل المعرفة العقلية من جانب آخر ، وهذه وتلك تندرج فى السمع والبصر والفؤاد ٠ واذا لم يستخدم الانسان هذه الطاقات – التى هى مصادر معرفته – فى تحصيل المعرفة ، فانه لا يكون مقدرا لنعمة الله عليه بها ، وبالتالى يكون عاجزا عن الوفاء بحق الشكر عليها ٠

ولقد عرف المسلمون الأولون قيمة الايمان وقيمة العمل معا ، وساروا فى حياتهم مقرنين العلم بالايمان ، غير متخلين عن واحد منهما واتسع نطاق آثار المعارف التى أتيحت للعرب والمسلمين : سواء فى جوانب الرياضة والطبيعة والفلسفة ، أو جوانب العقيدة والفقه ، فلم تنحصر آثار تلك المعارف – التى زكاها الايمان وأثمرها الاسلام – بين ظهرانى العرب والمسلمين وحدهم على كثرة عددهم وامتداد ديارهم ، بل تجاوزتهم الى غيرهم من الأمم فى أنحاء العالم ، وكانت من الدوافع القوية للنهضة الاوربية وبناء الحضارة الغربية الحديثة

ان الثورة قد أرادت اذن بتطوير الأزهر أن تمكنه من مواجهة احتياجات المجتمعات الاسلامية ، وربط المتخرجين فيه بالحياة الواقعية التى يحياها المسلمون ، وتعزيز موقف دعوة الاسلام بين التيارات الفكرية العالمية ، كذلك أرادت الثورة أن تصل حاضر الأزهر بماضى المسلمين فى العلم والمعرفة ، وأن تعيد الصورة التاريخية التى رسمها علماء المسلمين بمعالجتهم شتى جوانب المعرفة الانسانية ٠٠ بالكون وخالقه ، على السواء ٠

سيادة رئيس الوزراء

يسرنى باعتبارى وزيرا لشئون الأزهر فى عهده الجديد أن أحييكم « وأهنئكم بتقدير جامعة الأزهر التى منحتكم درجة العالمية الفخرية ، لقاء مالكم من تاريخ ، ومابذلتم وما تبذلون من جهود من أجل العلم وكرامة الانسان ، من أجل الترابط الاسلامى والقيم الانسانية ٠ ويسرنى أن هذه الدرجة العلمية التى تمنح لسيادتكم اليوم هى الدرجة الفخرية الأولى فى سجل جامعة الأزهر بعد تنظيمها الجديد ، وفى العام الاول من حياة هذا التنظيم ٠ وأعتقد أن اسمكم بهذا التقدير سيضاف الى أسماء القادة العديدين الذين كان لهم اتصال بالأزهر ، والذين دفعهم الايمان بالاسلام فى صفاء تعاليمه وأحكام نظامه – الى أن يخوضوا معارك التحرير : تحرير المجتمعات فكريا من الرواسب التى أفسدت حياتها ، وتحريرها سياسيا من المستعمرين والمستبدين والمستغلين ٠

ان رسالة الاسلام ثورة فى الحياة ، وأن حكومة الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة قد عملت على أن يكون الأزهر دائما فى ثورة ليلتقى مع ثورة الاسلام ، وليدفع الحياة الاسلامية دفعا قويا الى الامام ٠

أحييكم ، وأكرر التهنئة لكم ، وأرجو لكم التوفيق ٠

والسلام عليكم ورحمة الله ٠

حديث مع سفير الهند

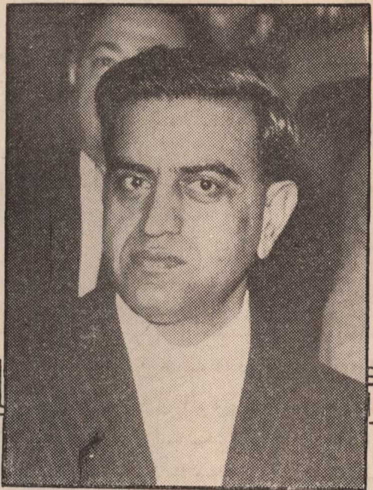

السيد محمد عظيم حسين

١ ـ العلاقات بين الهند والعرب

منذ قرون عديدة مضت كان التجار العرب يذهبون فى زيارات منتظمة الى موانىء الهند ، يحملون معهم بضائعهم ويعودون منها حاملين حرير الهند وتوابلها ، فكان التجار العرب هم أول من أدخلوا الأقمشة الهندية والتوابل الى الشرق الأدنى ، ومنه انتقلت الى الاغريق ثم الى البنادقة وأهل جنوا ، الذين حملوها بدورهم الى متاجر أوربا الغربية . وهكذا كانت التجارة هى التى أقامت أول اتصال بين الغرب والهند بما لها من حضارة وفلسفة وثقافة .

وفى الوقت نفسه استقر عدد كبير من العرب على سواحل مالابار بجنوب الهند ، فنشأ عن ذلك تبادل منظم فى الآراء والمعلومات شمل تقريبا كل ميدان من ميادين المعرفة والفكر ، بما فيها ميادين الفلسفة والطب . وكان التجار وأهل العلم ورجال الطب الهنود يلقون كل تبجيل وتقدير فى بلاط الملوك العرب. فلما جاء الاسلام تلقى هذا التبادل دفعة جديدة فى القرن السابع . وجاء غزو العرب لبلاد السند فى القرن الثامن فدخل الاسلام الى الهند . وانتشر الاسلام بعد ذلك بثلاثة قرون فى شمال الهند فى اثر سلسلة الغزوات التى جاءت من ناحية أفغانستان والمغول ، ثم توثقت صلات الهند بالعالم العربى أكثر ما توثقت فى خلال حكم الأباطرة المغول فى الهند من سنة ١٥٢٦ حتى سنة ١٨٥٦ .

على أن قيام السلطة البريطانية فى الهند وغربى آسيا سرعان ما أدى الى تدهور العلاقات التى كانت بين الهند والعالم العربى ، حتى انقطع حبلها نتيجة للسيطرة الأجنبية . وشاء حسن الحظ بعد ذلك أن تعود هذه العلاقات فتحيا مرة أخرى ، حين ظفرت الهند باستقلالها فى عام ١٩٤٧ ، فكانت سفارة الهند بالقاهرة من أولى السفارات التى أنشأتها الهند

بعد استقلالها . ذلك أن الهند كانت تعلق أهمية كبرى على صلاتها بالعالم العربى . كذلك كانت الهند أول شعب يعترف بالثورة المصرية التى قامت فى سنة ١٩٥٢ اذ رأى فيها دليلا على نهضة العرب ووعيهم . أما موقف الهند من مسألة تأميم القناة وما أعقبه من العدوان على مصر فأمره معروف للجميع . وقد تحدث رئيس الوزراء نهرو مرة عن الدور المشترك لكلا البلدين فقال : « كان للهند ومصر فى وقت ما الفضل فى انشاء حضارات عظيمة، كلاهما أمد العالم بقسط وفير من المعرفة والحكمة والمحبة ، وقد آن الأوان لاستئناف ما بدأناه .

٢ ـ وهناك ، بالاضافة الى العلاقات التاريخية والتقليدية التى ربطت بين الهند والعالم العربى ، تشابه كبير فى أنماطهما الثقافية وفيما اعترضهما من قهر سياسى وتجارب مريرة على أيدى الدول الاستعمارية . يضاف الى هذه الصورة الخلقية المشتركة فى تاريخ البلدين ما يواجهانه فى الوقت الحاضر من مشكلات متشابهة ، مشكلات الدول التى لم تستكمل نموها ، وما تقتضيه هذه المشكلات من تعاون بينهما لخيرهما المتبادل . ثم هناك الى جانب ذلك رابطة الأخوة التى أحكم حلقاتها وجود ٥٠ مليونا من المسلمين فى الهند ينظرون الى اللغة العربية نظرة تقديس لأن القرآن الكريم نزل بهذه اللغة ، وتربطهم بالعالم العربى صلات القربى فى الدين والثقافة .

هذه الحقائق التاريخية وغيرها تحتم على شعبينا دعم الصلات القائمة بينهما . ولم يكن عجيبا ، والأمر كذلك ، أن تقوم فى كل من الهند والجمهورية العربية المتحدة ، منذ سنة ١٩٥٥، جمعية هندية عربية تستهدف زيادة التقريب بين البلدين ، وتؤكد المثل المشتركة التى تشد البلدين الى بعضهما ، وتعمل على تنمية العلاقات التربوية والاجتماعية والاقتصادية بين الشعبين ، وتشجع التجارة وتبادل السلع بينهما ، وقد خطب رئيس الوزراء نهرو فى الجمعية الهندية العربية فى الأسبوع الماضى فقال « اننا نلتقى ، لا كمعارف جدد ، بل كأصدقاء قدامى ـ أصدقاء تمتد بهم أواصر الصداقة الى عصور بعيدة ، وهذا هو السبب فى أن صلاتنا فى الوقت الحاضر قد نمت بخطوات سريعة ، وفى أن معرفة كل منا بالآخر ليست جديدة بالكلية » . ثم أضاف يقول « وقد تختلف الظروف فى الدول العربية وفى الهند غير أن بينهم جميعا من الظروف المشتركة ما يحتم عليهم أن يتعلموا التعاون مع بعضهم بعضا »

٢ ـ المسلمون فى الهند

والهند ـ حتى بعد التقسيم ـ هى الثالثة بين دول العالم من حيث عدد المسلمين فيها ، اذ تأتى أندونيسيا فى المرتبة الأولى ، تليها باكستان فى المرتبة الثانية ، ثم الهند فى المرتبة الثالثة ، ففى الهند اليوم خمسون مليونا من المسلمين ، وهكذا فان كل ثمانية من الهنود بينهم واحد مسلم . وقد ظل المسلمون فى الهند دائما يلعبون دورا بارزا فى كفاح الهند من أجل التحرر من نير الحكم الأجنبى ، فكانت حرب الاستقلال الأولى التى خاضتها الهند ضد البريطانيين فى سنة ١٨٥٧ بزعامة آخر الأباطرة المغول ـ بهادور شاه . وكذلك فى المرحلة الأخيرة من مراحل الكفاح من أجل استقلال البلاد كان مولانا أبو الكلام آزاد ، بوصفه رئيسا لمؤتمر جميع الهند ، هو الذى مثل الهند فى المفاوضات النهائية التى جرت مع البعثة الوزارية البريطانية وأسفرت عن استقلال الهند .

لقد أدى انشاء باكستان الى تقسيم طائفة المسلمين فى الهند قسمين ، ولكن الهند مع ذلك لا تزال ثالثة دول العالم من حيث عدد المسلمين فيها ، ولا تزال تتركز فيها بعد التقسيم المراكز والمعاهد الاسلامية الرئيسية التى انبثقت منها فيما مضى حضارة الاسلام وثقافته وعلومه فكانت شعاعا يضىء أرجاء العالم ، مثل دلهى ، ولاكناو ، وحيدر اباد ، وعليكرة ، وسريناجار ، وباتنا وغيرها ، ولا

تزال المعاهد التعليمية الاسلامية الهامة ، مثل جامعة عليكرة الاسلامية تتألق وتزدهر ، بل ان الجزء الأكبر من ميزانية جامعة عليكرة الاسلامية تدفعه الهند والجمهورية العربية المتحدة بأن يعهد بكرسى الدراسات الاسلامية بتلك الجامعة الى أستاذ مصرى . كذلك لاتزال أموال الوقف العديدة فى جميع أرجاء الهند تحظى بالرعاية والحماية ، ويهيأ لها من السبل والتسهيلات ما كان لها من قبل ، فاستطاعت أن تتولى نفقات عدد كبير من المعاهد الاسلامية الدينية منها والتعليمية . كذلك توفد الهند طلابها المسلمين فى اعداد متزايدة الى البلاد العربية ، ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة، للاستزادة من العلوم العربية والاسلامية ، كما توفد كل عام الى مكة أعدادا ضخمة من المسلمين لأداء فريضة الحج ، وكذلك يشغل عدد كبير من المسلمين المناصب الرفيعة فى الحكومة الهندية وفى مجالات الخدمات والحياة العامة . وقد انتخب الدكتور ذاكر حسين ، وهو من كبار المشتغلين بشئون التربية والتعليم ، نائبا لرئيس الجمهورية الهندية .

٢ ـ وقد أمكن تحقيق ذلك لأن دستور الجمهورية الهندية الذى وضع عقب الاستقلال أقام دولة زمنية لاتتقيد فيه الدولة بدين معين، مما كفل للأقلية المسلمة المساواة الكاملة أمام القانون وحرم التمييز بين أفراد الشعب الهندى بسبب الدين ، أو العنصر ، أو الطبقة ، أو الجنس ، أو المولد ، أو على حد قول رئيس الوزراء نهرو : « اننا جميعا ، أيا كان الدين الذى ننتمى اليه ، أبناء الهند ، ونحن لا نستطيع أن نشجع الطائفية أو ضيق الأفق ، فما من شعب يمكن أن يكون شعبا عظيما وأهله يضيق بهم الأفق ، فى الفكر أو فى العمل »

٣ ـ المعاهد الاسلامية

وعلى الرغم من أن التعليم العام فى الهند زمنى فى قوامه وطبيعته ولا يدرس أى دين معين فى المدارس والكليات والجامعات التابعة للحكومة فان الحرية مكفولة للمعاهد الخاصة لكى تمارس أو تعلم أو تدعو لأى دين أو عقيدة تشاء . ومن ثم كان فى الهند عدد كبير من المدارس التابعة لمختلف المذاهب الاسلامية تتخصص فى تدريس الفقه والعلوم الاسلامية، جنبا الى جنب مع المدارس المماثلة التابعة للهندوس والمسيحيين وغيرهم التى تقوم على نشر دعوتهم وثقافتهم الخاصة . وهكذا توجد مئات من الكتاتيب القروية الاسلامية التى تنتشر فى طول البلاد وعرضها وتعرف « بالمدارس » ، وتشمل الدراسة فيها من بين ما تشمل تحفيظ القرآن الكريم وبعض المعلومات المبسطة عن شعائر الدين وطريقة الصلاة وما الى ذلك .

والى جانب هذه المدارس توجد معاهد هامة، استوفت عدتها واستكملت وسائلها حتى أصبحت قادرة على أن تهيىء للمسلمين حاجتهم بما تقوم به من نشر ثقافتهم والمحافظة على تراثهم . ومن أشهر هذه المعاهد :

١ ـ **دار العلوم ديوباند** (سحارانبور) ، أنشئت فى سنة ١٨٦٧ ، أنشأها مولانا راشد أحمد جانجوهى ومولانا محمد قاسم ناتوتى . ويتلقى الطلبة فى هذا المعهد دراسات عليا فى التفسير والحديث والفقه والفلسفة وأدب اللغة العربية وغير ذلك . واقامة الطلبة وطعامهم فى هذا المعهد ـ وهم يأتون من كل فج من آسيا تقريبا ـ بالمجان . كذلك تصرف لهم الكتب مجانا ، كما تصرف لبعضهم منح مالية لمواجهة نفقاتهم الأخرى . ويضم هذا المعهد مكتبة غنية فيها كتب قيمة تبلغ مائة ألف كتاب، بالاضافة الى بعض المخطوطات القيمة باللغات العربية والأوردية والفارسية .

٢ ـ **مظاهر العلوم** (سحارانبور) . أنشىء هذا المعهد فى حوالى الوقت الذى أنشئت فيه دار العلوم ديوباند . وفى هذا المعهد كذلك تهيأ للطلبة الاقامة والطعام بالمجان ويدرسون فيه الفقه والتفسير والحديث وأدب اللغة العربية . وقد ألحق بهذا المعهد ثلاثة مساجد .

٣ – **دار العلوم ندوة العلماء (لاكناو) .** انشىء هذا المعهد فى أوائل القرن الحالى ، وهو يضم خمسة بيوت للطلبة ومكتبة عامرة بالكتب والمجلدات ومسجدا آية فى الجمال . ولاتقتصر الدراسة فيه على الحديث والتفسير وأدب اللغة العربية بل تشمل كذلك اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات . ومن بين الشخصيات الاسلامية البارزة التى كانت لها صلة بهذه الكلية مولانا شبلى نعمانى ، ومولانا سليمان الندوى ، ومولانا عبد الحى اللكناوى ، وهذه الكلية تصدر مجلة عربية تحت اسم « البعث الاسلامى »

٤ – الجامعة الاسلامية بعليكرة : أنشئت فى سنة ١٨٧٦ ككلية اعدادية فى بادىء الأمر، أنشأها السير سيد أحمد خان ، ثم تحولت الى كلية جامعية فى سنة ١٨٨١ ، وتدرجت بعد ذلك حتى صارت جامعة ، وتشمل مناهج الدراسة فى هذه الجامعة ، من بين ما تشمله من المواد الأخرى : الثقافة الاسلامية والفقه وأصول الدين الاسلامى . ويتلقى الطلبة المسلمون هذه المواد الى جانب المواد العامة الأخرى التى تمارسها مختلف الجامعات .

٥ – الجامعة الملية الاسلامية (دلهى) ، أنشأها الدكتور ذاكر حسين ، وهو الآن نائب رئيس الجمهورية الهندية ، فى أواخر العشرينيات من القرن الحالى . ولغة التدريس فى هذه الجامعة هى الأوردية .

٦ – **الجامعة العثمانية** (حيدر اباد) ، أنشئت فى سنة ١٩١٨ وتكلف انشاؤها ٢٠ مليون روبية وهى من أشهر الجامعات وأكبرها شأنا فى جنوب الهند .

٧ – **دائرة المعارف التابعة للجامعة العثمانية** بحيدر أباد . أنشئت فى سنة ١٨٨٨ وهى أول معهد من نوعه فى البلاد ، قصد من انشائه نشر الآداب والثقافة الاسلامية . وقد طبع ونشر هذا المعهد مجموعة من المؤلفات والمخطوطات العربية النادرة ، التى لم يسبق نشرها قبل الآن والتى وضعها مؤلفوها أصلا فيما بين القرنين السادس والرابع عشر . وقد بلغ رصيد هذا المعهد من الكتب التى تولى نشرها فى التفسير والحديث والفقه والتاريخ والعلوم والأدب وغيرها نيفا ومائة وخمسين كتابا تقع فى ٣٥٥ مجلدا . وكان من أهم ما أنجزه هذا المعهد من أعمال : نشر مؤلفات ابن سناء الملك ، ذلك الشاعر المفلق الذى ازدهر فى القرن الثالث عشر .

٨ – **الجامعة السيفية** (سوارت) وهى معهد ذائع الصيت لتدريس العلوم الاسلامية ويعنى عناية خاصة بتدريس الثقافة الاسلامية واللغة العربية . ويشرف على هذا المعهد مجلس أمناء بوهارا الاسلامى .

٩ – **مدرسة الباقيات الصالحات** وهى مركز هام من مراكز التعليم الاسلامى فى ولاية كيرالا

٤ – علاقة الهند بالدول الاسلامية

كان لابد لسياسة الهند الخارجية ، وهى تبغى المحافظة على السلام العالمى ، أن تكون على صلات ودية بجميع دول العالم ، وأن تعمل على تنمية أواصر الود بينها وبينها ، بغض النظر عما تدين به هذه الدول من دين وعما يقوم فيها من نظم سياسية أو اقتصادية فى الداخل . وقد عملت الهند ، تنفيذا لهذه السياسة ، على دعم صداقتها بالدول الاسلامية ، فأسهمت بقسط وفير فى تحقيق استقلال كثير من البلاد الاسلامية ، مثل أندونيسيا وتونس ومراكش وليبيا والجزائر . كذلك عطف الهند على قضية العرب فى فلسطين وقضية المهاجرين العرب أمره معروف لا يأتيه شك .

ففى سنة ١٩٤٧ ، عندما أنشأت الأمم المتحدة لجنة خاصة لبحث مستقبل فلسطين – وكانت الهند عضوا فى هذه اللجنة – وضعت اللجنة تقريرا بأغلبية الآراء يهدف الى

تقسيم فلسطين . الا أن الهند ، وقد تحملت هى نفسها ما تحملت من أوضار التقسيم ، عارضت تقسيم فلسطين من أساسه . فعلت الهند ذلك ، بالاشتراك مع يوغوسلافيا ، اذ تقدمت الدولتان بتقرير للأقلية اقترحتا فيه أن يكون انشاء اتحاد فيدرالى – لا تقسيم فلسطين – الأساس لحل المشكلة . وفى العام التالى لذلك ، أى فى سنة ١٩٤٨ ، عندما أصدرت الأمم المتحدة قرارا بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا ، يجعل لدولة اسرائيل كيانا، انبرت الهند هى وست دول عربية ، الى معارضة هذا القرار ، وأبت منذ ذلك الوقت أن يكون لها مع اسرائيل تمثيل سياسى .

ومنذ تلك الأحداث المؤلمة للعرب ، التى وقعت فى سنة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، ظلت مشكلة اللاجئين العرب تقلق بال العالم العربى . وان الهند لتعطف العطف كله على هؤلاء اللاجئين ، وتشارك الدول العربية شعورها بأن الحل الأمثل الوحيد لمشكلتهم هو فى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين .

وكذلك فى القضايا الأخرى الهامة تتعاون الهند تعاونا صادقا مع الدول الاسلامية فى الأمم المتحدة ، كما أبرمت معاهدات للصداقة واتفاقيات تجارية وثقافية مع عدد من الدول العربية والدول الاسلامية ، عوانا على رغبة الهند المتزايدة فى دعم علاقاتها مع شعوب العالم الاسلامية .

٢ – والاتصالات الثقافية بين الشعوب المسلمة فى جميع أرجاء العالم ، بما فيهم الهنود المسلمون ، أمر حتمى بقدر ما هو طبيعى ، وقد رحبت بها الهند وعملت على تشجيعها منذ أن أصبحت دولة مستقلة . أما ما يجافى الحكمة فهو أن يضفى أحد على هذه الدوافع الثقافية البحتة لونا سياسيا ، فان من شأن مثل ذلك أن يخلق عداوات وتوترات حيث لا توجد عداوات ولا توترات ، وأن يؤدى الى استغلال الدين فى شئون السياسة ، وهو ما لابد أن يكون الوضع فى بعض المقترحات التى تدور حول انشاء « كومنولث » اسلامية ، أو عصبة أمم اسلامية ، فهى فضلا عما تجره فى أعقابها من أوضار واضرار لابد مؤدية الى استبعاد الأقليات المسلمة فى كل مكان ، على الرغم من انهم يزيدون على نصف الأمة الاسلامية . بل الواجب أن تبحث قضايا العالم الهامة ، وأن تقوم العلاقات الدولية بين الشعوب ، على أساس من الأهداف الاقتصادية والسياسية ، لا على أساس من الانطوائية الدينية .

فى الأخلاق

الرياء

للأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد

أرأيت الذى يقول رأيه فى مسألة بعينها ، ولا يلبث أن يغيره من غير سبب الا شغفه بارضاء عظيم ينتظر نفعه ، ويخشى غضبه ، أو اتقاء أن يعلن عنه أنه غير محب لوطنه ، لمجرد حريته فى القول ، أو تحاشيا من أن يوصف عند العامة بقلة الذوق ، ومجانبة قواعد اللطف البلدية ، وبالجملة نعنى ذلك الذى يتخذ رأيه قميصا وقتيا يلبسه كلما كان متفقا مع « المودة » ويخلعه متى جاءت « مودة » جديدة ، يكره معها لبس ذلك القميص القديم .

لست أنتزع من الخيال صورة هذا الذى أصفه ، كما يصنع الشعراء ، ولكنى ناقل من الطبيعة صورة قد شاعت فى الناس شيوعا لا أظن السكوت على محاربتها الا ضربا من السكوت عن الحق والساكت عن الحق شيطان أخرس . نرى أحدهم نصيرا لتحرير المرأة عند أشياع قاسم أمين ، نصيرا لحبس المرأة فى بيتها من يوم دخولها الى يوم موتها ، اذا ضمه مجلس ذواتنا الأقدمين أو اجتمع برفقة من الذين ينتسبون الى علوم الدين ، يقول فى حضرة الشبان المتعلمين ما لتعليم المرأة وعفافها ، وأى علاقة بين شعورها وصونها ، وكيف يحرمون ما حلل الله للنساء من الزينة ، وما التبرج الا معنى اضافى يحدده العرف ، فيختلف باختلاف الزمان والمكان ، وطبيعة التمدن ودرجته . يقول أمامك هذا بحدة مدهشة ، لا تظن معها الا أنه أكثر غيرة على المرأة من قاسم أمين ، وأحرص على نشر مذهبه من فتاة تعلمت فى نيويورك أو فى كوبنهاجن فاذا ضمه مجلس الشيوخ المحافظين ، قال أعوذ بالله من هذه الفتنة القائمة ، ما سمعنا حين كان الناس أن المرأة يحل لها اللهو بآلات الطرب وهو محرم شرعا ، أو أن تبرز لغير محرم وهو محرم شرعا ، أو أن تتعلم ما يزيد قدرة على شعارها ، وهو المغزل ، أو أن تقرأ علوم الافرنج وأقاصيص الغرام ، كما يقول طبقة الشباب الحمقى الذين لا يعنيهم أمر الدين ، ولا يفكرون حقيقة فى أمر الوطن ، بل كل رغباتهم أن يلاقوا من فتياتنا ما يلاقون من الفتيات الأوربيات ، حتى ينتهى — والعياذ بالله — الى شهودهن الملاعب والمراقص !!

مثل هذا مع الاباحيين اباحى ، ومع الورعين المتحرجين هو ابن عباس بعينه . وما دينه الا العمل بعموم المثل السائر على اطلاقه « شرط المرافقة الموافقة » ، موافقة تعيسة ، ليست مسببة عن احساس المحبة ، ولاشعور الجاذبية والانعطاف ، ولا هى مسببة عن الاقتناع برأى الغير ، ولكنها مسببة عن استهانة المرء بنفسه ، والنزول عن شخصيته ، لينال من وراء ذلك كرامة ، وهيهات أن يكون لمن يهين نفسه كرامة على الناس .

هذه الرذيلة ، رذيلة الرياء يستخدمها بعض الناس وسيلة للنجاح فى الحياة ، وهى حقيقة وسيلة نافعة ، فى البلاد الاستبدادية ، التى يتوقف نجاح الفرد فيها مهما كان كفئا ، على

رضى السلطان وأعوانه ، وأنه لا شيء يرضى السلطان الا العبادة . وما الرياء الا ضرب من ضروب تلك العبادة . فالذى يرضى بأن يبيع نفسه عبدا ليشترى بثمنها قوتا يعيش به ، استبعد عليه جدا أن يكون حافظا للصورة التى خلقه الله عليها ، صورة الأنانية والشخصية ، صورة الحرية ، وما مثل هذا الناجح بريائه الا كمثل الذى ينجح فى الحصول على الثروة من طريق السرقة ، فبئست الوسيلة ، وبئست الغاية .

أما فى البلاد التى انتشرت فيها الحرية الشخصية وصار كل فرد آمنا على فوائد عمله من تعدى السلطان وأعوانه ، وحصل كل امرىء على النتيجة المناسبة لكفاءته ، فى مثل هذه البلاد يكون الرياء وسيلة عقيمة فى الغالب ، بل يكون ذلك الرياء مسبة للحرية الشخصية لأن بنى آدم لم يجنحوا الى هذه الرذيلة الا ليدفعوا عن أنفسهم بطش القاهر وتعديه عليهم ، فاذا أمنوا ذلك البطش والتعدى كان المراءون منهم ، كمن يأتى الرياء حبا فى الرياء ، لا وسيلة للنجاة .

قال أرسطو **« خلق بعض الناس ليكون حاكما ، وخلق بعض الناس ليكون محكوما »** ولكنا نظنه أخذ هذه القاعدة من ملاحظته الشخصية لأخلاق قومه وأخلاق الآسيويين جيرانهم ، وهذه الملاحظة ، لا تكفى وحدها لتقرير قاعدة عامة ، مثل هذه القاعدة . لذلك نقول ان الله فطر الناس على فطرة واحدة ، أو متقاربة الفروق جدا ، بحيث لا يترتب على التفاضل بينهما أحكام متخالفة ، وانهم جميعا قد فطروا على الحرية الشخصية والأنانية . فمن أين لهم اذن رذيلة الرياء ؟

الرياء مرض من أمراض النفس ، أى ضعف فيها يجعلها لا تثق بأن لها وجودا مستقلا يهولها أمر مستقبلها الدنيوى .

يوحشها ألا تعتمد فى حياتها على نفوس كثيرة ، تتخذها أربابا لها وحماة لبقائها . يخيفها أن يبيت زيد غضبان منها ، أو عمرو حاسدا لها . ذلك المرض اذا لم يعالج بالتربية ، تتضاعف أعراضه شيئا فشيئا ، حتى تموت فى النفس خاصة الذاتية ، خاصة الشخصية ، خاصة أن يقول الانسان **« أنا »** تلك الخاصة التى هى ضرورية لوجود الفرد ، ضرورية لسلامته ، لازمة لأن تجعل منه ذاتا تامة ، صالحة للدخول فى تكوين أمة سليمة قوية ، حقيقة بالحرية والاستقلال ، متى انعدمت هذه الخاصة ، خاصة الشخصية فى رجل ، وصارت ذاته تتراوح بين الذوات الأخرى ، يسلم فى رأيه من غير اقتناع لارضائها ، ويسلم فى ماله لارضائها ، ويسلم فى مصلحته لارضائها ، ويتهاون فى مصلحة قومه ووطنه ؛ فذلك انسان قد مات ، وانقطع وجوده ، وأصبح من الحمق أن يعد على أمته فردا ، يوم الاحصاء بل هو أضر على الأمة من الميت ، لأن الميت تموت معه أمراضه ، فلا تصل عدواها الى غيره ، ولكن بقاء هذا المريض ينقل داءه الى أبنائه وأزواجه وخدمه ومن لهم به اتصال من النفوس البريئة التى وضعها سوء الطالع تحت عنايته أو رعايته

علاج الرياء فى الصغر ، التربية الحرة ، وفى الكبر ، الموعظة الحسنة ، وأبلغ ماتكون الموعظة ، أن يعزز المرائى بالاعراض عنه ، وجعله يلمس بيده نتائج ريائه السيئة .

التجديد فى فن الشعر *

للأستاذ الكبير

عباس محمود العقاد

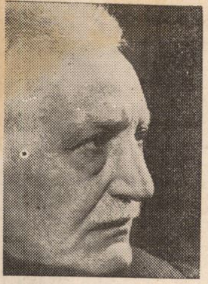

تحية الشعر تحيتكم ، وحفاوة المهرجان بكم، ومنكم واليكم

وحديث الشعر الى رعاته وحماته حديث معاد يندر أن يتسع لشىء جديد ، ولو دار كما يدور هذا الحديث على موضوع التجديد فى فن الشعر العربى

ولكننا نطمع فى بعض الجديد غير المعاد ، اذا وقفنا بالتجديد عند معناه الذى ينفرد به عن معنى التغيير أو مجرد التغيير

ففى هذا المقام يمكن أن يقال الجديد من غير الأحاديث المعادة ، بل الجديد الذى يفاجىء بعض الأسماع مفاجأة الاغراب والاغراق ، لأننا نزعم اذن زعما لا نشك فيه أن فن الشعر عندنا هو الفن الوحيد بين فنون الشعر العالمية الذى يقبل التجديد ، وهو باق على قوامه الأصيل .

ان التجديد فى البنية الحية هو التطور الذى يزيد فى عملها واستعدادها ولا يخل بكيانها أو يعتبر كيانا آخر مخالفا لذلك الكيان .

وبهذا المعنى لا يوجد فى آداب العالم فن يقبل التجديد غير فن الشعر فى اللغة العربية، أو لا يوجد فن للشعر مستقل بقوامه لايتوقف على فنون الغناء أو الرقص أو التمثيل ، غير فن القصيدة العربية .

ان التغيير فى بناء الشعر قد حدث كثيرا فى أشعار اللغات الغربية ، ولكنه كان فى كل مرة وضعا آخر من أوضاع الأوزان والمقاييس لا يجمعها كلها فن واحد قائم على قاعدة واحدة .

فهم — تارة — يعتبرون المقطع وحدة للوزن فى القصيدة

فاذا أحدثوا جديدا بطل وزن المقطع وحلت محله زنة النبرة ، وقد يبطلون الوزن بالمقطع والنبرة معا ليزنوا كلمات القصيدة بمايسمونه الأقدام ، استعارة من وقع القدم عند الايقاع

* أعدت هذه المحاضرة لالقائها فى مهرجان الشعر الذى تأجل موعده .

فى الرقص بحركة الرجلين ، ويهملون ذلك كله حينا ليعتبروا الوزن بالمسافة الزمنية فى امتداد السطور وامتداد سرعة التلاوة . وقد يتخذون غير ذلك زنات مختلفة لتقرير مكان الوقف والحركة فى الكلمات ومكان الوصل والفصل فى السطور .

كل هذا تغيير وليس بتجديد ، على المعنى الذى قدمناه ، للتفرقة بين تطور البنية الحية على قوامها وبين احلال اصطلاح من أسماء الوزن محل اصطلاح .

لكن فن الشعر العربى يتجدد وهو هو .. فن الشعر بقوامه من الوزن الأصيل فى تركيب اللغة العربية ، فليس للموشحة الأندلسية فن غير فن العروض فى القصيدة الجاهلية ، بل ليس للزجل العامى فن غير فن الموشحة والقصيدة فى أساس التركيب .

قامت قصائد المعلقات فى الجاهلية على ستة بحور ، وتطورت البحور حتى أحصى منها العروضيون العباسيون نحو العشرين ، وتطورت الأوزان بين التوشيح والتسميط حتى استطاع الشاعر أن ينظم الموشحة الواحدةمن شطور مختلفة البحور مختلفة القوافى مختلفة الأداء فى الغناء والايقاع ، وهى مع هذا قوام من الشعر كقوام البنية الحية فى مختلف الحركات والأوضاع .

وسبب هذا الفارق بين الشعر العربى والأشعار الغربية ، أن هذه الأشعار الغربية لم تستقل قط عن فنون الغناء والرقص والتمثيل وما يشبه التمثيل ، سواء فى انشاد الجماعة أو انشاد الأفراد .

فالجماعة اذا أنشدت فى المعبد أو فى المسرح أو فى حلقة الرقص ، لم يكن لها غنى عن الغناء والايقاع ، لأنهاحفظت مواضع الامتدادومواضع الوقوف بالنغمات ، ولم تحفظها بقافية واضحة ولا بتوقيت غير توقيت النغم للاتفاق على السرعة أو الاطالة فى امتداد الالقاء .

واذا تغنى الشاعر وحده فقد يحتاج الى القافية لأنه يقرر بها مكان الوقوف للسامعين الذين لا يشتركون معه فى حركة واحدة ، ومن هنا نشأت القافية المعادة فى المزدوجات وأشباه الموشحات التى سميت بالاستانزا Stanza من الوقوف . ولكن أوزان السطر بقيت على اختلاط مقاييسها من المقاطيع أو النبرات أو الاقدام أو الأطوال الزمنية ، لأن المعول فيها على نغمات الغناء ، وقد تستر النغمات خلل الوزن حتى فى الكلام المنثور .

أما العروض العربية فهى قائمة بذاتها حافظة لمقاييسها مع الغناء وبمعزل عن الغناء ، وفى حالة الانشاد المجتمع أو حالة الانشاد على انفراد .

وهذا هو الواقع المقرر الذى لايغيرهاختلاف الباحثين المؤرخين على أسبابه ، بل يجوز أن تظل أسبابه مجهولة كل الجهل ولا يختلف الحكم على العروض العربية فى استقلالها بأوزانها عن الغناء أو الرقص أو حركة التمثيل وما يشبه التمثيل ، من مواقف الشعائر والطقوس .

على أننا نذكر من أسباب هذا الاستقلال الفنىالذى اختصت به العروض العربية أسبابا مقبولة لا وجه للاعتراض عليها من الوجهة اللغوية أو من الوجهة التاريخية .

أهمها ، وأولها ، ان الوزن أصيل فى تركيب كلمات اللغة العربية من المشتقات وغير المشتقات ، وقد انتظم فيها الاشتقاق ، بتقدير معانيه على حساب أوزانه ، انتظاما لا نظير له فى لغة من أخواتها السامية ، وأصبح من القواعد المطردة أن تعرف الكلمة الجامدة - أيضا - بوزنها على قياس يشبه قياس الاشتقاق ، فنكتب الكلمة بغير شكل ويقال انها وزان كذا أو كذا من المشتقات .

والتفرقة بين الأوزان دقيقة فى الكلمات العربية حتى فى الكلم المنثور أو الكلمة المفردة . فلا تطول الحركة أو تقصر الا كان لذلك دلالة تتغير مع الزيادة والنقص على اطراد .

فحركة الفتح غير حركة الألف وغير حركة الألف التى عليها مدة أو همزة ممدودة .

فلا يستطيع المتكلم – مثلا – أن يخلط مقدار همسة بين امتداد الصوت فى كلمة « أمن » وكلمة آمن وكلمة آمين . لأن كل تغيير فى طول الحركة على الهمزة أو الميم يخرج بالكلمة من معناها الى معنى غيره ، وقد ينقلها من بنية الأفعال الى بنية الأسماء .

مثل هذه الدقة فى قياس الحركة لا يوجد فى لغة أخرى ، سواء منها اللغات الشرقية أو الغربية .

فالتركى ينطق بكلمة « طاقيم » على المد ، أو ينطق بها « طقيم » على القصر ، أو يسكن القاف مع السرعة ، ولا يختلف معناه

والانجليزى يكتب حرفين من حروف المد فى أربع كلمات ، ويخالف بينها فى حركة المد أبعد المخالفة ، وكذلك ينطقون كلمات goo و door و moon و Flood ، وكلها تكتب بواوين .

ولا تختلف اللغات هذا الاختلاف فى دلالة الوزن ثم لا يكون لذلك شأنه الواضح المميز فى فن الكلام الموزون

ومن أسباب الاستقلال بفن الشعر فى اللغة العربية أن الحداء وهو الغناء العربى الأصيل يستقل به حاد واحد يوقعه على حركة واحدة يقررها العدد كما تقررها السرعة على نحو واحد ، ولابد للحادى اذا انفرد بغنائه من مواضع وقوف تضبطها مواقع الحركة ، ومن علامة صوتية يحسها السامع الذى لا يشاركه فى اداء النغمات .

وقد تعرف للاستقلال الفنى ، فى الشعر العربى ، أسباب أخرى غير ما ذكرنا ، ولكن الواقع المقرر أن هذا الفن قد استقل بقوامه لهذه الأسباب أو لغيرها ، وانه يتقبل التجديد ، وقد تقبله غير مرة ، وهو محتفظ بذلك القوام .

وعلى هذا القوام نما فن العروض العربى وتعددت بحوره ، ومضى على سنة التجدد فى تعديد هذه البحور فى كل دور من أدوار الحضارات العربية ، منذ عهد الجاهلية الى عهد الدولة العباسية الى عهد الأندلس ، الى هذا العهد الذى بلغت فيه أوزان الموشحة مع أوزان الأغنية غاية ما تحتاج اليه للوفاء بأغراض المعانى ، وأغراض الموسيقى والتمثيل ، بل أغراض الملاحم الطوال ، اذا دعت ضرورة النظم الى تنويع البحر والقافية ، وتنويع وزن الشطرة والبيت فى أنماط من القصيد .

فبحور الرجز تتسع لنظم المطولات من مئات الأبيات فى الأغراض الشعرية التى تتطلب التبسط والاسترسال

والرواية الملحنة – من كبرى وصغرى – تنظم على جميع الأوزان وتؤدى فيها الأغانى الجماعية على حسب الأدوار ، بل على حسب الأشطر والسطور ، موزعة مع المشاركة أو مع الانفراد .

والملاحم التى تمتد الى ألوف الأبيات ، تنظم بغير صعوبة ، وتتألف من القصائد المتعددة والمقطوعات المتساوية أو المختلفة ، والقوافى التى تتكرر فى كل مقطوعة وتتغير بين مقطوعة ومقطوعة على نسق يوحد بينها فى الجملة أو على انساق لا وحدة بينها غير وحدة الفن العروضى كله ، وهو قابل للزيادة فى بحوره كيفما شاء الناظم ، مع المحافظة على قوامه الأصيل .

وقد كان مترجم الالياذة – **الاستاذ سليمان البستانى** – رجلا من العلماء الذين يقدرون على النظم ولم يكن من الشعراء المتفرغين لهذه الصناعة ، فنقل الالياذة من لغتها اليونانية ونظر أثناء النقل فى ترجماتها الى اللغات الأوربية الحديثة التى كان يحسنها ، ولم يقيد نفسه بفن واحد من فنون النظم فى تلك اللغات ، ولكنه توسع فى الاختيار واتبع أحسن المختار من شتى الأوزان ، ولم يعجزه أن ينقل الالياذة برمتها على مثال يضارع أحسن الأمثلة فى لغات الحضارة ... ولا يفوتنا فى صدد الكلام على الملاحم أن نشير الى ملاحم الغزوات الحديثة فى اللهجات العامية ، فان ناظمى تلك الملاحم من شعراء العامية لم

يستخدموا غير بحور قليلة من العروض لاتزيد على أصابع اليد الواحدة ، ولكنهم أودعوا فيها من فصول القصص ما احتاجوا الى نظمه ، فأسعفهم فى الالقاء كما أسعفهم فى الايقاع على الأوتار والمزامير

وتحقق فى هذه المراحل التاريخية الطويلة أن فن الشعر يتجدد وهو على قوامه الذى ينمو ويتنوع ولا يبطل أو ينقض ، وعلى هذه الوتيرة يتسع له مجال التجديد الى غير نهاية فى المستقبل ، ولا حاجة بأحد الى ابطاله أو نقضه لفرض من أغراض الفنون ، الا أن يكون هناك غرض سيىء لا يخفى على طلابه ، أو يكون هناك قصور عن القدرة الفنية يخفى على أنفسهم ، وهم يحسونه ولا يعلمون .

فالحجة التى لا تسمع فى تغيير الفنون أن يقال : ان الفن بغير قاعدة أسهل من فن القواعد ، وان سهولة عمل الشعر بغير أوزان العروض مسوغة للتخلص من صعوبة الأوزان، ان صح أن فيها صعوبة على الفنان .

ان الحديث أسهل من الغناء ، وان المشى أسهل من الرقص ، وان الأصوات المطلقة أسهل من الأصوات الموسيقية ، ومع هذا وجدت فنون الغناء والرقص والموسيقى ، لأنها لا تكون فنونا بغير قواعدها ، ولاتكون فنونا بالجانب الذى يتساوى فى القدرة عليه الفنان وغير الفنان ، ولكنها فنون ، لأنها فنون ، ولا معنى لكلمة الفن ان خلت من قدرة خاصة بها تتجلى فيها الملكة المطبوعة .

وقد درجت فطرة الانسان على ذلك من مهد الطفولة الباكرة ، فلا تجرى الأم فى الغناء لوليدها ولا فى هز مهده ، ولا فى ترقيصه بين يديها ولا فى استدعائه من بعيد ، على سنة السهولة المزعومة ، بل السهولة الحقة عندها هى هذه الأوزان الطيعة ، لأنها لا تنساق اليها مضطرة مغصوبة ، بل تحس سهولتها وتستريح اليها وتستجيب لها ويستجيب لها طفلها بوحى صادق من العطف والشعور .

ومن مهد التاريخ درج الانسان الأول بفنونه غير مضطر اليها ولا مغصوب عليها ، فليست هى قيدا تحطمه الحرية ، بل هى الحرية التى تستريح اليها الطباع الصادقة طواعية ، كما تستريح الوالدة والوليد معا لتلك المناجاة الصادقة بينهما من بواكير الحياة .

وان أحرى الناس أن يحتفظوا بفن من فنونهم لهم أناس بلغ هذا الفن عندهم مبلغه من الجودة والوفاء ، وأصبح لهم مزية ينفردون بها بين الأمم الانسانية جمعاء ، فان الأمم لا تستوفى التمام فى مزية من مزاياها لتنقضها وتلغيها وتمحوها من الوجود أبدا لغير ضرورة، بل حقيق بها أن تحتمل الضرورات لتحتفظ بها وتصونها وهى ثمن الجمال الذى لابد له من ثمن .. فاذا كانت مزيتنا فى فننا العربى تتجدد على قوامها الذى حفظه لنا الزمن فنحن أحق من الزمن أن نصون ما يضيعه .. لا جرم نصونه معه وهو عليه حفيظ أمين .

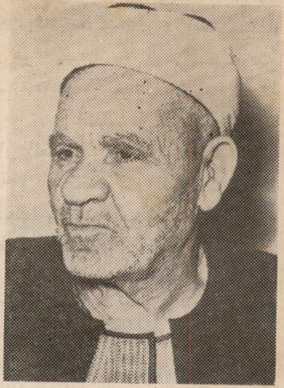

الإسلام ... وإعداد الأمة

فضيلة الشيخ محمد فرج السنهوري

نزل التشريع الاسلامى ليقرر أحكم النظم ويقيم بين الناس الروابط العادلة ، فلا جور ولا عدوان ولا صفار ولا استكانة وقد بين العلاقات بين الأفراد وبين الجماعات وبين الأمة الاسلامية والأمم الأخرى مسالمة كانت أومعادية **ومن قواعده المتينة العادلة نحو الأمم الأخرى هذه القواعد :**

أولا : هو يدعو أول ما يدعو الى السلم وصيانة الأمن حتى مع القوم المعادين ان أرادوا سلاما وأظهروا مهادنة وان أخفوا خداعا لم تظهر خفاياه .

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين »

ثانيا : وهو لا يغفل عن أمر الخب والخديعة والمكر والخيانة ويأمر باتخاذ ما يدفع الشر ويقى من العدوان **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »**

ثالثا : وهو يأذن فى الكفاح ، وخوض معارك القتال دفعا للظلم وردا للعدوان وحماية لحرية الرأى والعصبية وذودا عن الديار **« أذن للذين**

يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) .

رابعا : واذا جد الجد ووقع العدوان ودعا داعى الكفاح والقتال وجب على المسلمين أن يهبوا الى الجهاد مؤتلفى القلوب متحدى الكلمة فى ثبات ليس وراءه ثبات وفى صبر ومصابرة وايمان بأنهم على الحق وان عدوهم على الباطل وان الله معهم وهو لابد ناصرهم طال أمر الجهاد أو قصر وان كفاحهم ينتهى حتما باحدى الحسنيين . النصر أو الشهادة والجزاء الأوفى وأنهم من أجل هذا هم الأعلون فعليهم أن لا يهابوا كثرة العدو وقوته وان كانت أضعاف قوتهم فلهم من ايمانهم وعلو روحهم ونبل أهدافهم ونصر الله لهم ما يكفل لهم العزة والغلبة واذ ذاك يحرم عليهم أن يركنوا الى الضعف والوهن أو أن يستخذوا ويجنحوا الى طلب السلم والمصالحة : **((يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال .. الآية))** هذه هى قواعد التشريع الاسلامى المحكمة وتلك طرائقه العادلة تدعو الى الأمن والسلام ولا ترضى الذلة والهوان وتدعو الى الذود عن الأوطان والحرمات والحقوق وحماية العقائد فى ايمان صادق واستشراء وبطولة **وقد سرت هذه التعاليم فى نفوس المسلمين منذ كان الاسلام واستقرت ونمت واذا كانت أحداث العالم وتطوراته قد أصابتها بغفوة فى بعض الأحيان فانها بقيت مستقرة سليمة ،** فاذا جد الجد استيقظت من غفوتها واتقدت جذوتها واضطرم أوارها والتاريخ على هذا خير شاهد . تآمرت قريش وقبائل العرب واليهود على الدولة الاسلامية الفتية يريدون القضاء عليها وبسط نفوذهم على ديارها واجتمعت الأحزاب المتآمرة حول المدينة يحاصرونها بجيوشهم وخندق المسلمون واستعدوا للكفاح **وفى حديث جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عيينه بن حصن الفزارى والحارث بن عوف المرى عرف عليه الصلاة والسلام منهما أنهما يرضيان بأن ينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلان قريشا ويرجعا بقومهما عنهم على أن يكون لهما ثلث تمر المدينة وكتبا صحيفة بذلك واستشار عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا : يا رسول الله ، أهذا أمر تحبه فنصنعه لك ؟ .. أم هو شىء أمرك الله به فنسمع له ونطيع ؟ أو هو أمر تصنعه لنا؟ فقال لهما: بل أمر أصنعه لكم . فان العرب قد رمتكم عن قوس واحدة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله . قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة الاشراء أو قرى فحين أكرمنا الله بالاسلام . وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا . والله لا نعطيهم الا السيف . فسر بذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال : ((أنتم وذاك)) وقال لعيينة والحارث : انصرفا فليس عندنا الا السيف .**

ومحا سعد بن معاذ صحيفة المطالب والذلة وبقى المؤمنون على عزيمتهم الصادقة والاستعداد للقتال فى ايمان صادق لا يرهبون كثرة العدو ولا حصاره حتى هزم الله الأحزاب وحده . **((ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال . وكان الله قويا عزيزا))**

أيها العرب .. أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها . ان الغرب يريد القضاء على العرب وعلى الاسلام والمسلمين ويكيد لهم بشتى الأساليب منتحلا لذلك مختلف الأسباب وان فيكم لايمانا وقوة ولكم من الوسائل مالا تنفع معه الأساطيل البحرية والجوية ولا الدبابات والنفاثات فأحزموا أمركم وأعدوا لأعدائكم ما استطعتم من قوة فهى حرب صليبية فى ثوب تجارى وسياسى .

استمروا فيما أنتم عليه وزيدوه قوة ومنعة « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون » وسيرد الله المستعمرين ولن ينالوا خيرا .

الجاهلية والإسلام

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

(١)

- ظن الجاهلية
- حكم الجاهلية
- تبرج الجاهلية
- حمية الجاهلية

بهذه العناوين الأربعة حدد القرآن الكريم جهات البحث والنظر لمن أراد دراسة (عهد الجاهلية) .

وعهد الجاهلية هو العهد الذى سبق ظهور الاسلام ، وقد أطلق عليه القرآن هذه التسمية التى لم تعرف قبل اطلاقه اياها .

وكثير من الناس يظن أن عهد الجاهلية انما هو خاص بالعرب قبل الاسلام حسب هذا الاصطلاح ، ولكن الواقع من حيث المعنى أن كل أمة من الأمم مرت بعصر أوعصور من الجاهلية، وقد حفظ التاريخ أخبار تلك العصور للأمة الفارسية ، والأمة الرومانية والأمة الصينية

والأمة المصرية القديمة . ، كما أن الذى ينعم النظر فى الأسس التى يقوم عليها أى عهد من عهود الجاهلية الأولى ، يستطيع أن يحكم بأن الأمم قد تتخلص أزمانا من عهد جاهليتها ، ثم تعودالیه اذاعادت اليها نفس الأسس والأوضاع الأولى ، وبذلك نستطيع أن نقرر أن الأمم فى حاجة دائما الى التحصن من عوامل الانتكاس والعودة الى الجاهلية ، وأنها فى بعض الأحيان فى حاجة الى مقاومة هذه العوامل ومناضلتها اذا حلت بها لتتخلص من آثارها .

والعناوين الأربعة التى صدرنا بها هـذا البحث ، مستمدة كما قلنا من القرآن الكريم حيث يقول الله جل جلاله :

* **((يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية))** ١٥٤ ـ آل عمران

* **((أفحكم الجاهلية يبغون))** ٥٠ ـ المائدة

* **((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى))** ٣٣ ـ الأحزاب

* **((اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية))** ٢٦ ـ الفتح

وهى جماع البحث العلمى عن هذا العهد ، ومورد الموازنة بينه وبين الاسلام ، لبيان وجوه الرحمة الكبرى التى رحم الله بهـا العالمين ، حين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق **((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين))**

وانما كانت هذه العناوين الأربعة جمـاع البحث فى هذا الموضوع لأنها :

١ ـ اما راجعة الى العقيدة والتفكير العقلى الذى كان يسود عهد الجاهلية ، وهذا هو ما أشار اليه القرآن الكريم فى الموضع الأول من هذه المواضع الأربعة بقوله تعالى ((يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية))

٢ ـ واما راجعة الى الحكم الذى يسود الناس فى هذا المجتمع الجاهلى ، وما لهذا الحكم من انحرافات ، وهـذا ما أشار اليه القرآن الكريم فى الموضع الثانى من هذه المواضع الأربعة بقوله تعالى ((أفحكم الجاهلية يبغون))

٣ ـ واما راجعة الى حالة الانحلال الخلقى التى تصيب هذا المجتمع الجاهلى ، فتتبعها آثارها الحتمية من الضعف والفساد ، وهـذا ما أشار اليه القرآن الكريم فى الموضع الثالث: بقوله تعالى ((وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى))

٤ ـ واما راجعة الى تشبع المجتمع بفكرة العصبية المقوتة التى هى سناد الطائفية والاقطاع فى اية صورة من صورهما المختلفة .

وهذا هو ما أشار اليه القرآن الكريم فى الموضع الرابع والأخير من هذه المواضع بقوله تعالى **((اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية))** .

هذه هى المواضع الأربعة التى نراها جماع البحث العلمى عن هـذا **((العهد الجاهلى))** وليس هناك أى لون من ألوان الفساد العقلى ، أو السياسى ، أو الخلقى ، أو الاجتماعى ، الا وهو راجع الى واحد او أكثر من هذه الأربعة .

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم لم يذكرها بهذا الاستقصاء وبهذا الترتيب عبثا ، وانما ذكرها عن علم وحكمة :

والموضوع يستحق أن يفرد له مؤلف خاص لعلنا نتفرغ له ان شاء الله تعالى فى فرصة قريبة ، بيد اننا نعجل الآن بدراسة له موجزة فى **(منبر الاسلام)**

١ ـ ظن الجاهلية

ان استقامة المعارف والتفكير العقلى فى أمة من الأمم من شأنها أن تفتح أمام هذه الأمة مجالات من التقدم والترقى ، وأن تدرأ عنهـا كثيرا من أسباب الضعف الاجتماعى والخلقى والعلمى والعكس بالعكس .

وقد كان عهد الجاهلية العربية ـ كشأن جميع العهود الجاهلية فى مختلف الأمم ـ قائما على اعتناق الوان من الظنون والأوهام سرت فى عقول ابنائه ، واصبحت بين أفراد المجتمع كأنها حقائق مسلمة .

١ ـ فهناك الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، وهما ظلم عظيم للعقل الانسانى ، وللكرامة

البشرية ، لأن العقل يهدى الى الايمان باله واحد هو الذى يستحق أن يفرد بالعبادة لأنه هو الذى خلق ، وهو الذى أنعم ، وهو الذى بيده ملكوت كل شىء ، ولأن اذعان البشر لوثن من الأوثان أو لشريك من الشركاء المزعومين ايا كان ، فيه نزول بالمستوى الانسانى عما يجب بحكم الواقع أن يكون عليه .

ولذلك لم يكن من المنطق أن يتخذ مع الله آلهة أخرى مع الاعتراف بأن الله وحده هو الخالق المنعم المتصرف ، وكان العرب فى جاهليتهم يؤمنون بأن الله هو خالق كل شىء ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله)) ((ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله))

وقد ألزمهم القرآن الكريم الحجة من هذا الجانب ، وحرص على أن يثبت الألوهية لله جل جلاله ــ وهى استحقاقه وحده أن يعبد ــ باثبات الربوبية له ، وهى كونه رب كل شىء خلقا وانعاما وتصريفا ، وبين أن مخالفة هذا المنطق الفطرى انما هى اتباع للظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئا

ومن ذلك قوله تعالى : **((قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ، فأنى تصرفون)) . ((قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ، قل الله يبدأ الخلق ، ثم يعيده فأنى تؤفكون ، قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ، قل الله يهدى للحق ، أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى الا أن يهدى ، فمالكم كيف تحكمون ، ومايتبع أكثرهم الا ظنا ، ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ، ان الله عليم بما يفعلون)) .**

كما أنه لم يكن من الكرامة الانسانية أن يذل الانسان لمخلوق مثله ، فيعبده كما يعبد الله ، ولاسيما اذا كان وثنا من الأوثان ، **كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .**

ولذلك قرعهم القرآن فيماحكاه عن ابراهيم: **((اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم برب العالمين ، فنظر نظرة فى النجوم ، فقال انى سقيم ، فتولوا عنه مدبرين ، فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ، مالكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضربا باليمين ، فأقبلوا اليه يزفون ، قال أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون)) .**

وجاء فى وصية لقمان لابنه : **((يابنى لاتشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم))** وجاء فى سورة النساء **((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))**

وما ذلك الا لأن المشرك قد أخل بميزان العدل اخلالا عظيما ، وخرج على مقتضى العقل والفطرة خروجا بعيدا ، وظلم نفسه ، حين أنزلها من سموها الى هذه المرتبة الوضيعة ، وفى سورة الحج : **((فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق))** الى غير ذلك من الآيات التى تصور ظلم المشرك لنفسه واهداره لمنزلتها .

٢ ــ وهناك التخليط فى شأن القضاء والقدر .

وقد صورت لنا الآية الأولى من الآيات الأربعة التى ندرسها ، صورة من هذا التخليط الجاهلى ، اذ تقول :

((ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء ، قل ان الأمر كله لله، يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور))

فهذه الآية تتحدث عن الذين كانوا معرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد ، حين انهزم المسلمون فى هذه الموقعة ، بعد أن كانوا قد انتصروا فى موقعة بدر ، وهم فريقان :

* **فريق المؤمنين الثابتين**

* **وفريق الضعفاء المتزلزلين**

فأما المؤمنون الثابتون فقد نظروا فى أمر الهزيمة نظرة رشيدة ، اذ علموا أن لها أسبابا من تركهم مواقعهم « الاستراتيجية » المحددة بأمر قائدهم الأعلى ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان لله سننا فى النصر والهزيمة ، فاذا كانوا قد هزموا فى هذه الموقعة بتقصيرهم ومخالفتهم عن أمر قائدهم ، فانهم جديرون بأن ينصروا فى موقعةأخرى اذا جدوا والتمسوا أسباب النصر ولم يخرجوا عن أمر نبيهم وقائدهم .

وبهذا الروح اطمأنت قلوبهم وسكنت ، وزال عنهم الغم ، ولم يسترسلوا فى التشبث بروح الهزيمة المفضى الى اليأس ، فلما اطمأنوا عادت اليهم طبيعتهم البشرية فى الظروف المألوفة ، فهدأت أعصابهم ، وزال عنها التوتر ، فناموا واستراحت أجسامهم بعد أن أمنت قلوبهم واطمأنت ، وذلك هو قوله تعالى « **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم** »

وفى هذه الآية اشارة الى الحالة النفسية التى تصيب المحزون المقهور ، اذ يستولى عليه الغم والهم ، فاذا كان مؤمنا كان الايمان بلسما لجراحه ، ونورا يومض له وسط هذا الظلام النفسى الحالك ، وبذلك يعود اليه أمله واشراق نفسه ، ويعلم أن الله تعالى قد أجرى فيه سنته العامة من أن النصرانما هو بأسباب، فيعلم أن هزيمته التى حلت به لها أسباب قد أفضت اليها ، فيعزم على معالجتها ، وينفتح أمامه الأمل بهذا العزم فلا يصاب باليأس القاتل ، وبذلك يعيش ليعاود كفاحه ويستأنف نضاله فى ضوء دراسته لموقفه وأسباب هزيمته .

ثم تشير الآية الى أن الايمان بالله تتبعه الأمنة ، والطمأنينة ، وأن هذه الأمنة انما هى بفضل الله يجعلها نتيجة وثمرة للايمان ، فينزلها على الناس كأنها هدية من السماء .

والواقع أن الايمان سمو نفسى ، وأن ثمراته ونتائجه هبات فوقية علوية لا يمكن أن يصل اليها الناس الا به ، أو ينالوها الا عن طريقه .

وتشير الآية كذلك الى أن النعاس هو مظهر الأمنة والطمأنينة ، وأن الخائف لا يهدأ ، والمغموم لا ينام ، وذلك بسبب توتر الأعصاب واضطرابها ، فالقرآن الكريم يرشد الى هذه الظواهر البشرية النفسية والجسمية ارشادا واضحا .

ثم نرى الآية تقرر أن هذه الأمنة وهذا النعاس يغشى طائفة دون طائفة ، اذ تقول « **يغشى طائفة منكم** » وهى الطائفة الأولى ، طائفة المؤمنين الثابتين ، الذين استطاعوا أن يلجأوا الى ايمانهم فى وقت الشدة ، فيجدوا فيه الحصن الحصين ، والركن الركين ، الذى يحول دون انهزام النفس ، حتى بعد انهزام الحس .

أما الطائفة الثانية فهى التى تعبر عنها الآية بقوله تعالى « **وطائفة قد أهمتهم أنفسهم** » الخ ..

هذه الطائفة هى طائفة المتزلزلين الضعفاء الذين يتطلبون أن تستقيم الحياة على نمط واحد فى مصلحتهم، أليسوا قد آمنوا فى زعمهم أو ليسوا من هذا الفريق الذى يحارب المشركين ويناضل مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

اذن لماذا ينهزم جيش المؤمنين وقد كان من حقه ـ وهو جيش الحق ـ أن ينتصر ؟ وكيف تستريح نفوسهم الى ذلك ، وقد تصوروا أن امر النصر والهزيمة منوط بهذا اللواء دون ذاك، كهبة من الله ، لا كنتيجة وثمرة لأسباب وعوامل حسب سنة الله فى خلقه .

هذه الطائفة التى كانت بين المؤمنين ، وليست منهم الا بالمظهر والصورة ، وهى فى الحقيقة من المنافقين ، والتى لم ينزل عليها ما نزل على المؤمنين من النعاس والأمنة ، هالها أن تقع هزيمة المسلمين يوم أحد ، وهالها أن تلام على عدم متابعتها لأوامر الرسول ،

وخروجها عما رسم قبل المعركة للمسلمين ، فأخذت تتعلل بالأقوال المعسولة ، اعتذارا عما وقع ، وتدس فى نفس الوقت سموم الشك فيما تلقيه من القول .

انظروا الى قوله تعالى فى وصفهم : ((**وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**)) يشير الى أن كل همهم هو الدفاع عن أنفسهم ، والتدبر فى أشخاصهم لا فى أسباب الهزيمة ، ولا فيمايمكن أن يؤخذ من العبر كما يفعل المؤمنون – ((**يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء**)) .

وهذه العبارة وامثالها مما يقوله أمثال **هؤلاء فى تلك المواطن ينطبق عليها الوصف** المعروف : ((**كلمة حق يراد بها باطل**)) .

اما كونها كلمة حق ، فلأن هذا هو الواقع : ليس لأحد من الناس شىء من الأمر ، استقلالا وتحكما ، فالناس جميعا محكومون بأمر الله تعالى ولذلك عقب عليها القرآن بقوله فى اثر حكايتها فورا – ((**قل ان الأمر كله لله**)) **ولكن** هذه الحقيقة المعترف بها فى الظاهر تخفى وراءها معنى خبيثا ((**يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا**))

أى أننا مسوقون مجبورون فكيف نلام على شىء ، وكيف نحاسب على شىء ، واذا كنا مسوقين هكذا فما هو السر وقد كان من الممكن أن ينصر الله رسوله بعامل منه وقوة من لدنه دون أن نسخر نحن فى ذلك ، وأن نتعرض للقتل والهلاك ؟

ان هذه النغمة نغمة جاهلية كما أنبأنا الله سبحانه وتعالى وهو يعرضها فى هذه الآية ، اذ يقول ((**يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية**))

وخلاصة فلسفتها : ان النصر والهزيمة بأمر الله فليس لنا من الأمر شىء ، فنحن غير مسئولين عن الهزيمة اذا انهزمنا ، فما نحن الا مسيرون ، وهذا المعنى يقوله أهل الجاهلية فى عقيدة الايمان والوحدانية كما حكى الله تعالى عنهم ، نافين عن أنفسهم مسئولية الشرك جدلا ، اذ يقول جل شأنه : ((**سيقول الذين أشركوا لوشاءالله ماأشركنا ولا آباؤنا ولاحرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون**))

فهم يقولون : اننا فعلنا ما فعلنا من الشرك وتحريم بعض الأشياء بمشيئة الله ، ولو شاء الله ما فعلنا ذلك ، واذن فنحن غير مسئولين عن هذا الشرك وهذا التحريم ، يريدون بذلك الزام الاسلام بمقتضى احدى عقائده ، وهى أن الأمر كله لله ، وأنه لا يقع شىء فى هذا الوجود الا بمشيئة الله .

والقرآن الكريم يرد عليهم فى ذلك بأمرين :

الأمر الأول : تسجيل ان هذا هو شأن المكذبين فى التاريخ فقد جرت عادتهم أن يستمسكوا بالظواهر ويستغلوها فى نطاق مجادلة الرسل وتكذيبهم ، حتى يحل بهم العذاب ويذوقوا بأس الله .

والأمر الثانى : أنه يقول لهم : حقا ان الأمر كله لله ، ولو شاء الله ما أشركتم ولا آباؤكم ولا حرمتم من شىء ، فان الله تعالى لم يعص مغلوبا ، ولكن من أدراكم وأنتم تخاطبون بأمر الله وتكلفون بما تكلفون به أن الله شاء لكم العصيان ؟ هل عندكم من علم بهذا ؟

ان كان عندكم علم بهذافأخرجوه لنا ، وذلك تحد لهم بأنهم لا يعلمون فلا ينبغى اذن أن يتعللوا بأن الله شاء لهم ذلك ، فقد ستر الله عنهم المصير الذى يعلمه عنهم ، ويشاؤه لهم أى بخلقه فيهم حين يتجهون الى الفعل مختارين كما تقضى بذلك سنته فى الاختيار والتكليف ، وبذلك بطل أنهم يعلمون شيئا عن مشيئة الله وثبت أنهم انما يتبعون الظن وانما يتخرصون ويزعمون ما لا علم لهم به ليجادلوا ويكذبوا .

هذا هو أسلوب الجاهلية فى أهم مسألة تتعلق بأصل التكاليف الالهية للانسان ، يريدون بذلك هدم هذه التكاليف من أساسها وتقويض بنيانها الذى بنيت عليه .

وانما يصدر هذا عن روح انحلالى انهزامى يعترى الأمم فى ابان ضعفها النفسى ، فيحاول أبناؤها التخلص من المسئوليات ، والقائها عن

كواهلهم ، والاستسلام لما يحدث دون القيام بأية محاولة لدفعه أو اصلاحه .

واذا أصيب الناس بهذا اللون من التفكير فقد أصيبوا بمرض اجتماعى خطير ، وتعرضوا به الى ألوان من الشقاء ونكد الحياة

وهذا الأسلوب التفكيرى الانحلالى عميق الجذور فى تاريخ الجاهلية كما أخبرنا الله تعالى بقوله : ((كذلك كذب الذين من قبلهم)) وهو أيضا أسلوب المنافقين الذين ((يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)) وسيظل هو الأسلوب الذى يستمسك به كل متعلق بأهداب الجاهلية من الذين يريدون أن يعبثوا بالحقائق، ويهدموا التكاليف ، ويتحللوا من المسئوليات والأمانات .

وكل من اعتنق هذا الأسلوب فهو من أهل الجاهلية ولو كان فى القرن العشرين ، أو فيما بعده من القرون ، وكل من قاومه ورده على أصحابه ، فهو مؤد لحق الاسلام ، مضطلع بجزء من رسالته ، ضارب فى عنق الجاهلية بسهم من سهام الله .

٣ — وهناك ألوان أخرى من الظنون التى كانت تسود الجاهلية والتى يتخبط بها فى الضلالة من سار على طريقتهم فى التعلق بالأوهام ، وذلك كظنهم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا مما يعملون وهذا المعنى هو الذى زعمه بعض الفلاسفة بتعبير قريب من هذا ، حيث قالوا ان الله يعلم العالم على الجملة ، ولا يعلم التفاصيل، وهو قول باطل ، وظن لا أساس له من الحق، وقد هدمه القرآن الكريم فى قول الله عز شأنه **((ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة ، واليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون))**

ومثل ذلك ما أورده القرآن الكريم فى شأن المتخلفين عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما ظنوه من السوء بالمؤمنين اذ يقول: **((سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا ، بل كان الله بما تعملون خبيرا ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا))**

٤ — فاذا تركنا هذا الجانب المتصل بظن السوء بالله سبحانه ، فاننا نجد عهود الجاهلية تتسم دائما بالتعلق بالأوهام والخزعبلات ، فمن ذلك اعتقادهم أن من يحمل كعب ارنب يأمن شر الجن ، ومن ذلك اعتقادهم أن من قتل تظهر له هامة « طير صفير من البوم » فلا تنفك تنادى : اسقونى ، اسقونى . . حتى يؤخذ بثأر القتيل ، والسانح عندهم من الطير أو الظباء ما أتى من جانب اليمين والبارح ما أتى من جهة اليسار ، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح فربما خرج الرجل يريد سفرا فتلقاه بارح فيعود من حيث أتى معتقدا أن سفره غير سعيد ، وفى المثل « من لى بالسانح بعد البارح » يضرب فى توقع المحبوب بعد المكروه ، ويعتقد العرب أن لكل شاعر شيطانا يلقى عليه الشعر . ويعتقدون ان دم الرئيس أو الشريف يشفى من داء الكلب وعليه قول الشاعر :

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

كناية عن شرفهم

وكل ذلك قد أبطله الاسلام ، ونهاهم عنه ، وفيه وفيما يشبهه يقول القرآن الكريم : **((وما يتبع أكثرهم الا ظنا ، ان الظن لا يغنى من الحق شيئا))**

والى هنا ينتهى الكلام فى ايجاز عن **((ظن الجاهلية))** وسنتكلم فى المقال التالى ان شاء الله تعالى عن **((حكم الجاهلية))** وما عسى أن يتسع له المقال من بقية البحث ، والله المستعان .

الجانب الروحي في الإسلام

فضيلة الشيخ محمد احمد هريدى

يسيطر العقل على الانسان ويسيره فى هذه الحياة لأنه أداة الفكر وميزان التقدير ولكن الغرائز الحيوانية التى ركبت فى الانسان لها دورها فى تسييره ودفعه فى الحياة الى جانب العقل .. ومن هذه الغرائز الأثرة والأنانيـة والغيرة والخوف والشك . يضاف الى ذلك عوامل التفرق والاختلاف ذات الأثر البعيد فى توجيه الانسان الى الخير أو الشر .

وقد تقدمت الفلسفة فيمـا رسمت من مناهج للتفكير ووضعت من وسائل للبحث .. وقد تقدم العلم فى تجاربه المادية تقدما عظيما مدهشا . ووصل فى هذه التجارب الى نتائج تبهر العقول وتحير الألباب . ولكن التقدم الفلسفى والعلمى لم يستطع التغلب علـى نوازع فى الانسان وعوامل التفرق فى الحياة .. بل ان التقدم العلمى وان ساعد على ترفيـه الحياة وجعلها ذات بهجة الا أنه من جهـة أخرى قد عقد من مشاكلها وزاد من ويلات الانسانية بما كشف من وسـائل التدمير وأدوات التخريب وتركها تلهث وتهتز وتعيش فى فزع دائم ورعب مقيم .

والأديان تعتمد فى الانسان على غـريزة أصيلة متعمقة فى ضميره تدفعه الى الخـير وتصده عن الشر ، تلك هى غريزة التـدين والخوف من الله تعالى . لأن هـذا الشعور العميق يغلب فى الانسان نوازع الشر ويقهـر عوامل التفرق والاختلاف ويرتفع بالشـخص الى ما فوق الاعتـزاز بالجنس والعصبية والجاه والثروة ويبعث فى النفس من معانى الرضى والاطمئنان ما يقلل بطرها بالغنى والقوة ويهون عليها ألم الفقر والحرمان . ويشعرها بالعزة والكرامة الانسانية ويدفعها الى طريق العلم والمعرفة .

ومن ثم تناولت الأديان الجـانب المادى والمعنوى فى الانسـان ، ونزلت الشرائع السماوية تعالج فيه الجسم والروح «**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » .. « **ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك** » .

وقد فرض الله الصيام عـلى هذه الأمة كما فرضه على الأمم السابقة فى شرائع الانبياء السابقين الى جانب ما فرضـه من التكاليف والعبادات الأخرى . بعد أن جعل عقيـدة التوحيد والتنزيه أسـاس الدين ودعامة الايمان تحقيقا لغاية الاسلام . دين الانسانية الخالد فى تشييد بناء محكم يظل العـالم كله واقامة مجتمـع فاضـل متدين يؤسس حضارة ومادية تبسط سلطانها على البشرية جمعاء وتوجههـا الى الخير والسـلام والاستقرار .

وقد عنى الاسلام فيما رسمه لمجتمعه من حدود ومبادىء باصلاح الفرد وتوجيهـه الى

أسمى المعانى النفسية والخلقية باعتباره اللبنة الاولى فى بناء المجتمع ، وسلك فى هذا الاصلاح طريق التدرج ففرض عليه التكاليف والعبادات من عقائد وأعمال وجعل أساس الصلة فيها بين العبد وربه النية الخالصة ـ انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى . لتطهير القلب ورياضة النفس على التخلص من النزوات المتسلطة والتجرد عن الأنانية والفردية والاستجابة الى دوافع الألفة والاندماج فى حياة الجماعة .

ثم رسم له من المبادىء والتعاليم ما يعمق فى نفسه الشعور الدينى ويقوى لديه الاحساس بالكرامة الانسانية ليتجه بحبه ومشاعره الى الجماعة يعمل فيها ويتفاعل معها تفاعلا ايجابيا بناء .. يفعل الخير ويدعو اليه ويمقت الشر وينهى عنه ويقاوم الفساد والانحراف والطغيان ويناصر الضعفاء والمهضومين ويعاون الفقراء والمحتاجين .

((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) .. ((وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت)). وفى حديث قدسى قال ـ تبارك وتعالى ـ **((وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله . ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل)) .** وفى الحديث النبوى **((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان))**

ثم تسمو المبادىء والتعاليم بالفرد الى آفاق عالية تحلق فيها نفسه الواعية وتسمو مشاعره النبيلة فتتحول صلته بالناس الى أخوة فى الدين وفى الانسانية ترتفع فى عمق الاحساس وقوة الشعور بدافعها وآثارها الى مرتبة الأخوة فى النسب ، فتخلص العواطف من شوائب الغاية ، وتتجرد المحبة من البواعث الذاتية فيحب للجميع ما يحب لنفسه ويرى للجميع حقا مفروضا فى ماله وجاهه ونفسه ويتعاون مع الجميع على البر والخير والصالح العام .

((انما المؤمنون اخوة)) . ((يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)) . ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان)) . ((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) . ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) .

وفى مجال اعداد الفرد لهذا المستوى العظيم فرض الله الصيام عبادة روحية تعالج فى الانسان الروح وتصفيها من علائق الحياة المادية وتسمو بها الى مستوى الملائكة المقربين فيقوى سلطانها على الجسم وتتجه الى الخير العام والاصلاح الشامل . وتتربى عنده ملكة مراقبة الله تعالى وتعمق فى نفسه عاطفة الحياء منه أن يراه حيث نهاه فيصبح مسلما كاملا لا يعصى الله ما أمره ويفعل ما يؤمر به .

ومن هذه اللبنات القوية والأفراد الصالحة الكاملة يتكون المجتمع الفاضل المتعاون المتكامل .

وهذه زاوية من زوايا البناء الاشتراكى فى الاسلام . وعلى الذين يتقولون على الدين الاسلامى بما ليس فيه وينادون بأنه لا يعرف الاشتراكية أن يتدبروا ويفهموا حتى لا يظلموا دينهم وشريعتهم .

فأين المسلمون الآن من هذا المجال . وأين مكانهم فى التاريخ الحديث من مكان أسلافهم الأمجاد فى التاريخ القديم حين بسط المسلمون سلطانهم على العالم كله وحين سبقوا العالم كله بتقرير المبادىء الانسانية العالية .. الحرية والاخاء والمساواة .

تلك المبادىء التى وصل اليها العالم أخيرا وبعد قرون متطاولة وبعد ثورات دامية رهيبة وجلاد قاس مرير . ثم زعم أنها من ثمرة جهاده ووحى حضارته وما هى الا من مبادىء الاسلام الخالدة وومضات نوره المنبعث عبر القرون والأجيال .

الجزية في الإسلام

عدالة وسماحة

الدكتور أحمد الحوفي

— ١ —

لم يكن بد من صراع دموى ينشب بين الدولة الاسلامية الناشئة وخصومها فى الجزيرة العربية وما حولها ، لأسباب لا يعنينا تفصيلها فى هذا المقام ، وحسبنا أن نجملها فى أنها كانت فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين مواقف دفاعية لحماية العقيدة ، ولحماية الذين دانوا بها ، ثم صارت فيما بعد كذلك تارة ، وحركة سياسية اقتضاها الملك الوثاب تارة أخرى .

ولقد اتسم الفتح الاسلامى فى جميع أطواره بالسماحة والعدل ، اذ فتح المسلمون أقطارا عدة فى الشرق والغرب ، ولم يعرف فى تاريخهم الطويل الحافل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى ، أو أنهم أجبروا أحدا على الاسلام .

وقصارى ما كانوا يعملون حينما يتم لهم الفتح أن يخيروا سكان البلد المفتوح بين أمرين :

اما الاسلام ، واما البقاء على دينهم ، على أن يدفعوا الجزية للدولة .

فالجزية اذن نتيجة من نتائج الحرب ، وأثر من آثارها ، وليست دافعا الى الحرب ، ولا هدفا من أهدافها .

قال تعالى : « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** » .

ومعنى هذا أن المسلمين مأمورون بقتال أعدائهم اذا حدث منهم ما يوجب قتالهم ، كأن يعتدوا على ديار المسلمين ، أو على أشخاصهم أو أموالهم ، أو يدبروا المؤامرات لتهديد سلامتهم وتعويق دعوتهم وفتنتهم عن دينهم .

والمسلمون مكلفون أن يقاتلوا هؤلاء الأعداء حتى يأمنوا شرهم ، ولا سبيل الى هذا الا بالقلب الذى يعقبه الاسلام أو فرض الجزية .

― ٢ ―

فما الجزية ؟

لهذه الكلمة دلالتان :

فقد أطلقت فى عهد الرسول وأبى بكر وصدر من خلافة عمر على المال الذى يكلف أهل الذمة أن يؤدوه للحكومة الاسلامية ، سواء أكان ضريبة على الأشخاص ، أم ضريبة على الأرض الزراعية التى يملكونها .

فلما اتسعت الفتوح فى مملكتى فارس والروم دلت الكلمة على الضريبة المفروضة على الرءوس وحدها ، أما ضريبة الأرض فقد اختصت بلفظ الخراج .

على أن المؤرخين كثيرا ما أطلقوا لفظ الخراج على الضريبة المفروضة على الأشخاص وعلى الأرض معا ، باعتباره المال المحصل من الاقليم ، أو باعتباره بلغة العصر الحديث موارد الاقليم .

فممن تقبل هذه الجزية ؟

الفقهاء مختلفون فيمن تقبل منه . فالشافعى على أنها لا تقبل الا من أهل الكتاب ومن المجوس عربا كانوا أو عجما ، مستدلا بالآية الكريمة : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) وبأن النبى عليه الصلاة والسلام أخذ الجزية من مجوس البحرين .

ومالك والأوزاعى وغيرهما على أنها تؤخذ من كل كافر ، سواء أكان كتابيا أم غير كتابى ، عربيا أم غير عربى .

ولعل هذا هو الأوفق ، لأن الجزية ان لم تقبل من غير الكتابى والمجوسى نشأ عن رفضها اجباره على الاسلام ، والاسلام لا اجبار فيه قال تعالى : ((**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**)) ، ثم ان المجوس ـ على أن لهم شبهة كتاب ـ يعبدون النار على مذهب زرادشت ، فهم فى الواقع كفار ، فقبولها من سائر الكفار مثل قبولها من المجوس .

على أن التاريخ يحدثنا بأن الرسول والخلفاء الراشدين لم يفرقوا بين الكتابيين من العرب والعجم فى الجزية ، فقد أخذوها من نصارى العرب ، ومن مجوس هجر وهم عرب ، ومن يهود اليمن وهم عرب .

أما السبب فى أن الاسلام لم يقبلها من مشركى العرب كما قبلها من أهل الكتاب فيرجع الى أن أهل الكتاب كانت عقائدهم أدنى الى الحق والصواب ، من عقائد المشركين ، لأن فى كتبهم المنزلة ما يكفل صلاحهم ان اهتدوا به . قال تعالى: ((**انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور**))

وقال تعالى : ((**وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**)) .

لكن العرب كانوا وثنيين ، والاسلام لايقر الوثنية ، لأنها لا يرتجى منها خير .

ثم ان مشركى العرب تمادوا فى عدائهم للاسلام والمسلمين ، ولم يرعوا فى عدائهم رحما ولا مروءة .

وهم فوق ذلك كله قبائل متنازعة متناحرة ، والاسلام يريد أن ينشىء منهم أمة قوية متماسكة ، فلو أنه قبل الجزية منهم لعاشوا على نظامهم القبلى ، فلا وحدة ولا قوة .

ولا نستطيع أن نتناسى أنهم أشد الناس اختلاطا بالمسلمين ومعرفة بأحوالهم ، فهم أقدرهم على مباغتة المسلمين ، وتمهيد السبل لحربهم والمظاهرة عليهم ، فليس أجدى فى معاملتهم من السيف أو الاسلام .

واذن فقد اقتضت الحكمة أن يحاربوا أو يسلموا ، وهم المقصودون بالناس فى قوله صلى الله عليه وسلم : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة

فاذا قبلوا منى ذلك عصموا دماءهم وأموالهم الا بحق الله ، وحسابهم على الله)) .

فالمراد بالناس هنا مشركوا العرب ، لأن غيرهم من أهل الكتاب ومن المشركين يقاتلون حتى يؤدوا الجزية أو يعتنقوا الاسلام .

وكذلك الحكم فى العرب الذين يرتدون عن الاسلام ، لا تقبل منهم الجزية .

بقى شىء آخر أن الجزية كانت قد فرضت فى السنة الثامنة من الهجرة بعدغزوة تبوك، وفى هذا الوقت كان النبى قد فتح مكة ،وكان عرب الجزيرة قد أسلموا ، ولم يبق فيهم مشرك يعلن اشراكه ويصر عليه حتى تؤخذ منه الجزية .

ولم يأخذ النبى الجزية من يهود خيبر ، لأنه كان قد صالحهم على أن يقرهم فى أرضهم ليزرعوها مناصفة قبل غزوة تبوك بثلاث سنوات . ولم تكن الجزية قد فرضت بعد ، فمعاهدة صلحهم واقرارهم فى أرضهم أسبق من الجزية .

فيم تنفق هذه الجزية ؟

وأين يذهب الحاكم بما يجمعه منها ومن الخراج والعشر والعشور ؟

وكيف يتصرف فى هذا المال ؟

أيحتكره لنفسه ؟ أيخص به ذوى قرباه ؟ أيقصر النفع به على المسلمين ؟

لا شىء من هذا كله ، بل ينفقه فى المرافق العامة للدولة ، ويدخل فى هذا اصلاح حال المسلمين ، وأرزاق الموظفين والولاة والقضاة والجيش وتعبيد الطرق ، وعمارة الرباطات والقناطر والجسور ، وشق الترع واصلاحها، وما يشاكل هذا من المصالح العامة .

ومن هنا نعلم أن المرافق العامة ليست موقوفة على المسلمين ، بل ينتفع بها المسلمون وغيرهم .

على أن أهل الذمة كانوا ينتفعون بهذا المال انتفاعا لايدخل فى نطاق المرافق العامة ، فقد كتب والى العراق الى عمر بن عبد العزيز يخبره أنه قد اجتمعت عنده أموال عظيمة ، فأمره أن يوسع بها على المسلمين وذراريهم ، فكتب اليه أنه قد فعل ، وما تزال الأموال كثيرة فأمره أن يزوج أبكار النساء وأبكار الرجال . فكتب اليه أنه قد فعل ، وبقى مال فكتب اليه أن يقوى أهل الذمة على العمارة، ويجعله سلفا عليهم .

— ٥ —

وليس من شك فى أن الاسلام راعى فى فرض الجزية وفى جمعها مايتفق مع العدالة والرحمة والسماحة .

فقد كانت يسيرة صغيرة لا ارهاق فيها .

وأى ارهاق فى أن يدفع الفرد الغنى فى كل عام ثمانية وأربعين درهما ، وأن يدفع متوسط الحال نصف هذا المبلغ ، وأن يدفع الفقير ربعه ؟

وهذا هو القدر الذى غلب العمل به منذ عهد عمر .

أما قبل ذلك فى عهد النبى وأبى بكر فان الجزية لم تكن محددة المقدار ، بل كان تقديرها متروكا لهما حسب مقدرة المهزومين وأحوالهم والتراضى معهم .

وسنعرض فى المقال القادم مظاهر عدالة الاسلام وسماحته فى تشريع الجزية وتقاضيها والاعفاء منها .

دعوة الميثاق الوطنى
دعوة للاسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

حاولنا فى مقالنا السابق من منبر الاسلام أن نستوحى من كتاب الله الكريم ما يثبت بالبرهان المادى القاطع أن دعوة الميثاق الوطنى فى جوهرها . وآمالها . وأهدافها . ان هى الا من دعوة الاسلام الحنيف ونحن عند بحث موضوع كهذا لابد لنا أن نطرق ونغوص بين طيات الميثاق لنلتقى بدرر تلتقى مع القيم الانسانية التى ننشدها فى مجتمعنا الاسلامى وقد أفتقدناها قرونا عديدة . حتى بات الاسلام الصحيح غريبا عن الناس أو أصبح الناس غرباء عنه . وما لبثنا بتوفيق من الله. ورحمة من لدنه أن وجدنا فى الميثاق الوطنى مادة صالحة بناءة . ونداءات اصلاح وتقويم وتخطيط لعزة الاسلام واعلاء لشأنه واعلاء لكلمة الحق . فلم يأت الميثاق الا بكل ما من شأنه أن يعلى كلمة الدين ولو كره الكارهون . فكان لزاما علينا أن نشرف الميثاق بما يتواءم مع القرآن الكريم الذى جمع فأوعى والذى حفظه الله تعالى برحمة من عنده ولم يفرط فيه جل شأنه من شىء .

مفهوم الرجعية المستغلة للدين فى الميثاق .

ورد فى الميثاق الوطنى فى بابه السابع « أن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من **محاولات الرجعية** بأن تستغل الدين — ضد طبيعته وروحه — **لعرقلة التقدم** وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع كلمته الالهية السامية — فالرجعية أرادت احتكار الارض وخيراتها وحدها . فسترت مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لتوقف تيار التقدم .

ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى **الحياة** وفى **الحرية** ولا يرضى الدين **بطبقية تورث عقاب** الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم »

والشريعة الاسلامية لم يفتها أن تلقى أضوائها الباهرة على كل معاملاتنا **ومبادلاتنا وأموالنا** بالتنظيم الدقيق والوعى الصادق الذى يحكم العلاقات بين الناس فى تآزر وتآخ وتراحم لتؤكد حق الانسان فى حياته أن يحياها بكرامة وشمم . وحقه فى أن **يحياها بحرية** وحقه فى أن يعيشها دون أن يكون ضائعا بين ثنايا الفقر والعوز والشريعة السمحاء حين تفرض الزكاة **انما لتقتل الفقر فى مهده ولتدعم امكانيات الأمة الاسلامية** لخلق ما يكفل الانتاج والعمل والرغد حيث تتوقف عليها حياة الجماعة فى عيشها ونموها وتطورها .

والشريعة حينما **تمس الميراث بحكمتها** انما تبنيه على قواعد ثابتة مستقرة مع دراسة واعية للاصول والفروع تبنيه على قواعد العدل والحكمة وقد شرفنا الله تعالى وأنزل الآيات الجامعات فى الميراث « **فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما** » صدق الله العظيم .

ولا ريب أن الحياة . عمودها **الفقرى المال.** ونظرتنا الواقعية المجردة . التى تتسم بالدراية والسعة تدفعنا دفعا لأن نحس بأن المال زينة الحياة الدنيا وأنه روح الحياة المادية . وان لم يكن المال أهم ما فى الوجود فهو على الأقل من أهمها .. والاسلام كدين عملى واقعى . ينبع من فطرتنا الطيبة الخيرة لم يقف من المال الا موقفا صريحا حازما ليحمى المجتمع

من ضراوته ويأخذ المعتدين بيد من حديد فى الدنيا متوعدا اياهم بنار جهنم فى الآخرة .

والاسلام حينما بزغ نوره أضاء المعاملات الجارية بين الناس والتى ثبتت واستقرت على مدى الأجيال فدعم صالحها ورفع من قدرها وحذر من طالحها رحمة بنا وبكيان مجتمعنا الاسلامى . فنرى بديع آيات الله تعالى وهو يدفعنا للعمل دفعا ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))** **ويأمرنا تعالى أن ((يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . والعمل عبادة ،** وكل جهد فى عمل له ثواب وأجر ومغفرة .. والله تعالى ورسوله الكريم ضربا لنا الأمثال والعظات حتى يعمل الكل . وأين الحلم بعد **حلم الله حينما يقول جل شأنه ((فاقرأوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه)) فالضرب** فى الأرض ان هو الاسعى لابتغاء الرزق . وهذا السعى يرفع الحرج عن المسلم الذى لا يعكف على قرءة القرآن .

والعمل فى الاسلام مطلق . طليق . واسع الرحاب . غير مقيد بأطار . طالما ليس فيه أضرار بالغير فالمسلم له أن يعمل فى الأرض . وفى البحر وفى الجو وفى الزراعة والصناعة والتجارة منفردا أو مشاركا .

وينص الميثاق فى بابه الثامن « مع التطبيق الاشتراكى ومشاكله » أن العمل الانسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه . العمل شرف . والعمل حق . والعمل واجب . والعمل حياة . ان العمل الانسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم ـ ان العمل الوطنى المنظم القائم على التخطيط العملى هو طريق الغد .

حقا لقد رفع الميثاق العمل وقدسه تيمنا بكتابنا الكريم . واستمرارا لأحاديث رسولنا الصادق .

المال فى الاسلام :

المال أساس الوجود الاجتماعى للبيئة أو المجتمع الصغير أو الكبير على حد سواء . فلا قيام لجماعة بلا مال والمال والملك صنوان من أصل واحد . وغريزة الانسان فى حق التملك وحبه للمال لا تكاد تدانيها غريزة ((**وتحبون المال حبا جما ..**)) ومن المسلم به أن البقاء بلا مال كالبقاء بلا ماء . ومنذ القدم والمال يلعب دوره المرسوم . فسيدنا يوسف واخوته وقع بينهم ما وقع بسبب التملك لعاطفة يعقوب . وهذه النفس البشرية فى أعلى منازلها فى بيوت النبوة . انها النفس البشرية وكفى.. والنبى الكريم يشير الى ذلك ((**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب))** .

والفقر والغنى فى مجتمع ما هو الا ظاهرة طبقية .. ولكن كل الخطر فى أن يبقى الفقير على فقره والغنى على غناه . وان يورث كلاهما هذا فقره وهذا غناه .

ولما جاء الاسلام لم يشرع ليعالج مشكلة طائفية أو أزمة موقوتة وانما جاء ليعالج مشكلات الحياة ولحل أزمات الانسانية جمعاء على امتداد الزمان والمكان . فيعترف بسلطان المال على النفوس وأعطاه قدره وكشف عنه الغطاء فأظهره لنا نعمة من الله ورغدا . كما أبان نقمة ما فى نفوسنا من جشع وحب للتملك والأنانية ((زين للناس حب الشهوات من الناس والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب» ويقول تعالى ((انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم)) وقد ذكر المال فى القرآن الكريم ستة وسبعون مرة ولا شك أن الذكر المتكرر بهذه الصورة انما يعنى أمرا واضحا وهو نظرة الاسلام للمال لما له من عميق الأثر فى حياتنا ومعاملاتنا وآمالنا وأحلامنا ...

وقد يفهم البعض أن تحذير القرآن من المال انما يعنى أن المال فتنة وغوايه وأنه شر فى حد ذاته وعاشر مجتمعنا الاسلامى حقبة من الزمن وهو على اقتناع أن السلامة والخير فى البعد عن

المال وترك الدنيا وطيباتها وان الخير فى الزهد والقناعة والعزلة . فماذا كانت النتيجة .. خلت أيدى هؤلاء الناس من الدنيا ولكن امتلأت قلوبهم بحبها والحسرة على ما فيها . ونسوا أو تناسوا قوله تعالى ((**قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . وقال تعالى ((هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور))** .

والاسلام فى نظرته وتقييمه اعترف به . وبفاعليته . وبدوره الايجابى . ودفع الناس دفعا الى معترك الحياة ليحيوها ويعملوا فيها بجد وجهد . لتعميروجودهم وكفاية مجتمعهم والاسلام دين الفطرة جاء بالحق وأنارت رسالته طريق الناس كافة فجاءت أحكامه عامة حاسمة واضحة صريحة . لأنه يجب أن نسلم أن معاملات الناس . على امتداد الزمان والمكان فى تطور مستمر . ونمو وازدياد وان الشعوب معاملاتها تسير وفق نظمها وتقاليدها . فجاء الاسلام ليضع أصول هذه المعاملات من المنبع . ويوضح كنه الحلال والحرام ثم ترك للناس مجال التحرك والانطلاق . ومن الحق الواضح انه عند النظر فى قياس مسائل المال ما جاء به الاسلام فانما لابد أن تحدونا الثقة فى أن الاسلام احترم المال . كما قدر العقل الانسانى حق تقديره واستودع فينا هذه الأمانة التى خصنا بها عن المخلوقات أجمعين ولما كانت شريعتنا الاسلامية هى يسر وتخفيف فالله تعالى يشملنا برحمته ((**ما جعل عليكم فى الدين من حرج))** ويقول ((**لا يكلف الله نفسا الا وسعها))** كما يقول الرسول ((**عليكم من الأعمال ما تطيقون))** .

والاسلام عندما يفتح باب العمل على مصراعيه أمام المسلمين كافة انما يدفعنا للكسب الحر النظيف فى تجارة ورزق كبير ((لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)) كما أمرنا أن نسلك طريق الزراعة لنطعم وننعم ((فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم)) ووجهنا القرآن للصناعة وما فيها من أهمية ويشير الى صناعة الحديد ((فيه بأس شديد ومنافع للناس)) وصناعة الملابس ((قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ..))

وهنا .. وقد عرجنا على الدرب الاقتصادى فى الاسلام بايجاز ويسر فانما نخرج من ذلك ببديهية أوضح وأنصع من أن تناقش وهى أن القرآن لم يفته أن يضع أمام ناظرينا العمد الأصيلة للاقتصاد القومى لحفظ كيان الدولة الاسلامية .. حيث قرر علماء الاسلام أن كل ما لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا .. من فروض الكفاية . وانما يعنى ذلك أن فروض الكفاية ان لم تتحقق فى المجتمع الاسلامى فانما يعنى ذلك أننا أهملنا شعائر الدين وتركنا الفقير على فقره وذوى الحاجة على عوزهم وهذه الفرضية ان هى الا نداء للأمة الاسلامية للاستكفاء الذاتى حيث تطل الدولة على هذه الموارد فتقوم باعدادها وتنسيقها وتصهرها فى بوتقة التخطيط لدعم اقتصادنا القومى ومن هنا أيضا وبعد أن وقفنا على هذه الفرضية آن لنا أن نوقن بأن تدخل الدولة واشرافها لا يجمل أى ذرة من ذرات تقييد الحرية الملكية وانما هو تخطيط وتوجيه لازمين اقتضتهما الحاجة الماسة للمجتمع وأصبح ولى الأمر فى الدولة مسئولا أمام الله تعالى عن رعيته .. قال الرسول الكريم ((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ..))** ومسئولية ولى الأمر مسئولية جسيمة . تزداد وتتعقد كلما بعد المجتمع عن كتاب الله وسنة رسوله . ومجتمعنا وقد عاش قرونا طويلة وانصهر فى تجارب حققت أهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله اما لصالح رأس المال أو تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة بأجيال حية فى سبيل أجيال لم تطرق بعد أبواب الحياة **ـ باب ٧ من الميثاق ـ** ومجتمعنا حينما غاص فى تخلفه لم يستطع أن يفعل شيئا حاسما ليغير مقدراته . واضطر أن يعيش حياته لأن الشعب وهو يحاول الدخول فى معركة التطوير كان نصيبه الفشل ولا تلبث أن تتحول نتائج هذه الطفرات الى

أرباح للمستغلين لأنهم بامتلاكهم وتحكمهم كانوا قادرين على احتلال مواقع الاحتكار . فازداد الفقراء فقرا . وازداد الأغنياء غنى . فكان لابد من أن يتجه الشعب الى السيطرة على أدوات انتاجه . سيطرة تكفل له فرض الكفاية .

وهنا ينص الميثاق : فى بابه السادس « فى حتمية الحل الاشتراكى » « أن مواجهة التحدى للتخلف لا يمكن أن تتم الا بشروط ثلاثة :

١ ــ تجميع المدخرات الوطنية

٢ ــ وضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات

٣ ــ وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج .

ومن الناحية الأخرى المقابلة لجانب الانتاج هى **عدالة التوزيع** فان الأمر يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة « فرض الكفاية .. » وتصنع لها مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى يقترب يومه .

وهنا نحس من أعماقنا أن ما ورد فى الميثاق الوطنى جاء مصدقا للتنزيل الحكيم وآيات الله البينات وأن الحل الاشتراكى هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن تتلاقى عليه جميع العناصر فى عملية الانتاج على قواعد علمية انشائية لتحقيق الخير للمجموع .

والملكية .. وهى عصب أصيل فى مقدرات الحياة احترمها الناس وتوارثوها لما يشيع بينهم من أسباب الطمأنينة فينعكس ذلك على العمل والانتاج . ولكن رغم هذا بغى الناس وطغوا . فهذه سنة الحياة ويقول تعالى **« وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. »** فلم تتوان الشريعة الاسلامية أن تمد برشدها لتنير هذا الطريق .. فنظمت الملكية . وقومتها . وورثتها . وأقامت الحدود أمام الطغاة لايقاف سيل جشعهم .. ويقول تعالى **« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون »** والاسلام فى حمايته للملكية والمال اعتمد على عاملين رئيسيين أولهما ينبع من داخل المسلم . وهو ضميره وايمانه بالله ورسله وكتبه .. **وثانيهما وازع** السلطان الذى يفرضه المجتمع بقوانينه وأوامره ونواهيه . فالسرقة مثلا قطع الاسلام دابرها بقطع يد السارق وبالرغم من هذا فقد سبقت رحمة الله هذا الحد وأوجبت الشريعة شروطا لها أركان حتى يقام هذا الحد .. وهكذا .

فالملكية والمال ومايدور فى فلكهما من معاملات ومبادلات تجارية وزراعية وصناعية . نمت وازدهرت وتضخمت الى حد أعمى ضعاف النفوس الذين أقاموا قواعد السخرة والنهب وأضاعوا القيم الانسانية ــ فتفتتت الحريات السياسية والاجتماعية وأصبحت كل القيم شعارات زائفة تشترى بثمن بخس وشاع وعم اليأس وأصبحت البيئة صالحة لطغمة صغيرة كل همها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . ولم يكن الحاكم وقتئذ سوى ستار يحمى هذه المصالح الآثمة وهو من بينها يقتات على أرزاق الشعب ودمائه .

فيأتى الميثاق الوطنى فى بابه « الانتاج والمجتمع » ليقول ان الانتاج كله للمجتمع فى خدمته ولتحقيق سعادته ولتأمين رفاهيته . والمجتمع هو كل انسان فرد يعيش على تربة الوطن . وغاية الانتاج الحقيقية هى توفير أكبر قدر ممكن من الخدمات لتكون أعلام الرفاهية التى ترفرف على المجتمع كله .. وبقدر اتساع قاعدة الانتاج وبقدر الاستثمارات الجديدة من المدخرات الوطنية التى يمكن أن تضاف اليها بالعمل الوطنى مع كل يوم تتفتح آفاق جديدة لتكافؤ الفرصة بين المواطنين . حيث يصبح لكل مواطن حق فى الرعاية الصحية وحق فى العلم وحق فى العمل ليتناسب مع كفايته ــ ان الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة » . واذا كان الاسلام الحنيف قد احترم الملكية وقدرها حق قدرها كما أسلفنا فان الميثاق الوطنى اعترف بحق التملك ومنحه رعاية وعناية ارتفعت بالملكية لتنال حقها . الحق الذى قررته الشريعة . فينادى الميثاق فى الباب (٦) حتمية الحل الاشتراكى بقوله « هناك تفرقة بين نوعين من الملكية الخاصة . ملكية مستغلة أو تفتح باب

الاستغلال وملكية غير مستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة أصحابها - وفى مجال ملكية الارض الزراعية فان قوانين الاصلاح الزراعى قد انتهت بوضع حد أعلى لملكية الفرد لا يتجاوز مائة فدان ». وكذلك « فى ملكية المبانى تكفلت قوانين الضرائب التصاعدية على المبانى فى مكان يبتعد بها عن أوضاع الاستغلال »

اذن المحرك أو الأصل فى الملكية هوأن الميثاق اعترف وكرم الملكية كحق ولكنه أربأ بها من أن تقف موقف المتربص للشعب محاولة استغلاله أو توجيه مصالح خاصة على اعتبارات عامة . ويقول تعالى **« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا »** ويقول الرسول الكريم **« انما أنا بشر وانه يأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صادق فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها أو يذرها »** ولا شك أن هذه الأوامر الكريمة وما تحمل من وعد ووعيد لابد وأن تترك أثرها الطيب فى قلب المؤمن الطيب أما اذا كان الانسان لم يفتح قلبه للايمان وأعمته الدنيا - بعجيجها وضجيجها وغرته الحياة والسلطان - ولم يستطع أن يتسلل بنفسه هربا من رحاب الشيطان لينعم بسلطان نفسه على نفسه فى اطار من هدى الله وسنة رسوله . فهنا وخاصة اذا كان المجتمع قد امتلأ بأمثال هؤلاء البؤساء الأشقياء الذين بدءوا يكشرون عن أنيابهم لينهشوا عروض المعاملات والتبادلات التجارية للشعب فمما لا شك فيه ان الحاكم الذى يحمل بين جنباته وازع من ضميره . ويسترشد بنور كتاب الله ورسوله . نقول اننا لا نشك فى أن هذا الحاكم لو تقاعس لحظة واحدة فى اقامة الحد على هؤلاء المستغلين . لحاد هذا الحاكم عن الصراط المستقيم . ولشارك هذا الحاكم فى هدم المسلمين . حيث نبحث عن الاسلام فلا نجده الا فى قلوب باهتة تنتظر الرحمة من الرحمن الجبار . وهنا يشير الميثاق فى بابه السابع **« الانتاج والمجتمع »** .

« ان حرية كل فرد دون استغلال - فى صنع مستقبله وفى تحديد مكانه من المجتمع وفى التعبير عن رأيه وفى اسهامه الايجابى فى قيادة التطور وتوجيهه بكل فكره وتجربته وأمله ، حقوق أساسية للانسان ولابد أن تصونها له القوانين » .

ومن هنا - أقول ما من عاقل بيننا لا يؤمن بأن الاسلام يحرم استغلال حاجة المجتمع فكل مسلم مطالب بأن يعمل وان يكسب قوته ومن أتاهم الله المال من فضله وان كان معقودا فى ملكيته بأسمائهم الا أن حق الانتفاع به مشترك بينهم وبين اخوانهم الفقراء . والا فبالله كيف تعقد مصالح المجتمع وتسير مركبه لخير هدف الجماعة . كيف يمتلىء كتابنا المنزل بالتحذير من الاسراف . وبالعطف والرحمة على المسكين . تارة بالوعيد وتارة بالوعد . الا ليربط بين أبناء المجتمع الاسلامى ربطا مشدودا بالايمان والاحساس بالوجود . لقد صح قول الرسول **« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن تركه يجوع ويعرى - وهو قادر على اطعامه وكسوته - فقد أسلمه »**

واذا كان الاسلام رائده الأول هو التعاون والتآخى والتآزر فمن باب أولى أن الاسلام لا يسمح بقيد شعرة بأى استغلال أو احتكار أو أى لون من ألوان تشديد الخناق على المسلم . وهنا يجدر بنا أن نشير أنه ما من آية من آيات التحذير عن مبادىء الاستغلال الا وبجانبها آيات بينات تعلى من شأن البذل والمعونة والتراحم يقول تعالى **« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم »** .

ان هذا المجتمع الجديد الذى يبنيه الشعب العربى فى مصر على دعائم الكفاية والعدل يحتاج الى درع واق فى عالم لم يقبل مبادئه الاخلاقية الى مستوى تقدمه العقلى . **(الباب الثامن من الميثاق)** .

وهذا الدرع الواقى ان هو الا احساسنا جميعا وايماننا بدور الحاكم الثورى الذى جعل دعوة الميثاق الوطنى من دعوة القرآن الكريم ولنا عودة .

التظاهر بالإسلام

بين الجد والهزل

لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو ألد الخصام »

١ ـ المسلم الحق يعرف أن دين الله جد لا هزل فيه ، وأنه اخلاص لا يشوبه تدليس ، ويتذكر دائما أن الله قد وضع لنا حدودا معلومة فى تشريعه ، ثم وقف بنا عند مبدأ فصل ، يبعد بنا عن النفاق ، ويضعنا فى جانب صريح : اما ايمان صادق ، واما كفر واضح ، حتى لا يلتبس على الناس شأن بشأن « فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر »

ولهذا كان المنافق بغيضا الى الله أكثر من الكافر : على ما بالكافرين من سخط .

ولهذا كان القرآن ناعيا على ذوى النفاق مثل أو أشد من نعيه على الكافرين

٢ ـ ونحن أمام ظاهرة لا تتلاقى مع الدين ، ولا مع الكفر : فهى فى أقبح الأوضاع ..

ظاهرة تبدو حينا فى جانب المسلم القديم .. وأحيانا فى شأن المسلم الحديث العهد

أ ـ فالمسلم القديم آخذ بدعواه الاسلام ، وزاعم أنه أحسن السلوك ، شاغل فراغه فى المجتمع وبعيد عن المساس بالقيد فى مال ، أو سواه

وحينما تعرض لنا خبرة به نراه على غير ما زعم .. فهو آخذ فى فمه بدعوة الاسلام ولكنه مأخوذ فى مسلكه بالتخلف عنها كثيرا .

تملكه الأنانية والحقد ، وهو يحدثك كثيرا عن حبه الخير للناس ، وصفاء قلبه لهم ..

أو تبدو فيه البذاءة والحمق ، ثم هو يتراءى بالأدب والتسامح الواسع الفضفاض أو هو ناشىء على التطلع والجشع ، ثم يعلن عن تعففه ورضاه ، وقناعته بما لديه ، أو فيه نظرات خائنة ، وهو يخادعك ، ويخادع سواك بالحياء والغيرة على الأعراض أو يرتشى ، ويخون وطنه وأمته ، ثم يسرف فى الاعلان عن نزاهته وأمانته ، وتعصبه لوطنه ، وهكذا من كل ذى آفة أصيلة فى طبعه ، أو نقيصة فى تربيته ، ثم يزاحم بدعواه الكاذبة أصحاب الخلق الكريم النبلاء ، ويتمسح بالاسلام وأخلاق الاسلام .

« ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة ـ اختبار ـ **انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين »**

وهذا هو تصوير القرآن للمسلم المتلون بأقوال يناقضها عمله فى الحياة

ولا يمكن أن تتسع مرونة الاسلام لاحتضان هذا الزيف ، والا كان النفاق نمطا معترفا به فى مسالك الأدعياء ، وهذا تناقض تأباه طبيعة الاسلام .

ب ـ المسلم الحديث

وأحيانا تبدو ظاهرة التصنع فى المسلم الحديث .. فمن هو ذلك الحديث فى اسلامه؟ وعندئذ أقف أمام رجلين : كلاهما مسلم حديث .

رجل نصب نفسه للاصلاح الاجتماعى ، وشهر قلمه للتوجيه الأدبى ، فهو يدعو الى

التقدمية ، وينشد حرية الاختيار ، وينطلق بالجيل الناشىء فى سبيل الاباحية ، ويحتمى بالاسلام ، لأنه دين لا يقف فى وجه التجديد والتحضر !!

ونحن مع هذا فى كراهية التزمت ، ونتحاشى كثيرا أن نصور الاسلام فى تعاليمه وتوجيهاته بصورة مخبأ مظلم : لا تشرق فيه شمس ، ولا يطيب فى داخله مقام !!

ولكنا لانرى تقدمية الاسلام فى تجاوز نطاقه، ونبذ آدابه والأخذ بكل ما ترمينا به التقاليد الموبوءة ، ثم نسمى هذه الأخلاط مرونة اسلامية !!

واذا طاوعنا هذه النزعة التقدمية المفرطحة، وأخذنا بكل ما يدعوننا اليه ، فى التقاعد عن واجبات مقدسة ، وفى اختلاط ، وفى حياة منزلية مطلقة ، وفى ملابس مهلهلة ، وفى معاملات غير مكيفة بنظم الاسلام : اذا طاوعنا هذه الدعوة الطليقة من كل اعتبار : فماذا بقى لنا من اسلامنا الذى ندين به ؟؟

وهل يستريح العقل الى الجمع بين دين ندعيه ، وانطلاق من حدود هذا الدين ؟؟ ان المسلم المتحلل أو الداعى الى التحلل مخطىء فى مزاعمه ، وهذا أيسر ما نقول فيه :

وهو أشبه بانسان يعلن وطنيته ، وانه مصرى صميم ، ثم هو يناوىء وطنه فى الحفاظ على سمعته ، وعلى خصائصه التى تعتبر عناصر مجده ، ومظاهر امتيازه ، ووسائل سيادته .. كيف يكون هذا مصريا ـ مثلا ـ وهو حرب على مصريته ؟؟

أو كيف يكون ذلك مسلما ، وهو ينقض بناء الاسلام عن قصد ، أو غير قصد ؟؟ هذه الاعيب لا يهضمها الاسلام ، ولا تدخل فى حظيرته

ذلك هو مسلم حديث فى نزعته ، وهذه منزلة من الدين !

ومسلم حديث آخر

هو ذلك الكتابى الذى يدخل علينا بوجه مقنع بقناع الاسلام الجديد بعد يهودية أو مسيحية فيدعى أنه قرأ ، وسمع عن الاسلام ، حتى اهتدى ، واعتزم ، وأسلم ، وأنه قائم فعلا بالشعائر الاسلامية ، وأنه فى سبيل عقيدته محارب من أهله الخ .

فاذا تحريت قليلا وجدت فى الأمر خدعة خبيثة ، واحتيالا شيطانيا فهو رجل يجمع المعونات ، ويستدر العواطف بتحايله ، ولاحرج عليه أن يحصل فى يده على ورقات رسمية بشهر اسلامه ليصل الى هدفه ،

أو هو رجل يحتال على فتاة مسلمة ليتزوجها ، وما دامت العلاقة بينهما قائمة فلم يبق الا التظاهر بالاسلام لدفع الملامة ، والتخلص ظاهرا من المعرة للفتاة ونحن نصادف كثيرين من هؤلاء الأفاكين ، يدخلون علينا مجالس الفتوى فى الأزهر ، ويحاول الرجل ، وتحاول المرأة بجانبه أن يؤكدا أصدق عزيمة فى اسلامه .

ثم يكشف لنا التفاهم عن غواية جمعت بين هذا الخبيث ، وتلك الساذجة ، الغريرة ، المتساهلة

وانه ما جنح الى اسلامه الا درءا للاقاويل

وماذا يصنع المفتى فى محاولات وقعت بعيدا عنه ، وما جاءته الا فى ثوب مرقوع يستر فى داخله مخزيات لا يتناولها بحثه ، ولا تخضع لتصرفه

ثم ينساق حديث هذين الملفقين الى امور عجب : منها : ان الزواج تم وانسجمت العشرة قبل أن يشهر اسلامه رسميا ، وان أهله يهددونه بالتبليغ عنه لأنه زيف فى أوراق رسمية فماذا يصنعان ؟؟

ومنها أنهما أنجبا أطفالا قبل تسجيل الاسلام ، فهل تكون التبعية للاسلام أو للمسيحية ؟؟

وهكذا من تخبطات ، وعثرات ، تعرضا لها اختيارا ، وأصبحا يلتمسان اضطرارا ان يتخلصا من آثار فعلتهما هذه

فما ذنب الاسلام يكون الع‍وبة فى ايدى الماجنين ؟؟

أولئك الأصناف الثلاثة ـ مسلم قديم متخلف ، ومسلم جديد فى نزعته ، ومسلم محتال ـ وغير هؤلاء ـ ممن لانطيل بذكرهم ـ يجدون فى مسالكهم ترضية لأهوائهم وحصولا على رغباتهم

والاسلام دين ناهض فى تعاليمه الواضحة ، ومبادئه القويمة الناهضة ولا يتسع هذاالدين لشىء من الزيف ، أو التلاعب ، وانما هو منهج يسير ، مبسط ، وانه مع يسره جد لا هزل فيه ، واخلاص لا يشوبه تدليس

ومن تحايل باسمه فى دعوة تنافى مبادئه ، أو دخوله لمأرب غير جدى فهو مخادع لنفسه ، أو مخادع لله فى ظنه **« وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ، ولا فى السماء »**

٣ — ولعل من مسوغات هذا التلاعب للناس قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — **« من قال لا اله الا الله دخل الجنة »** ففى هذا الحديث ضمان لله فى الآخرة كما زعموا ، فهم يكتفون بقولها ، ويطمعون فى ثمرتها ، ولايعنيهم من وراء هذا من اهمال .. والأمر على غير ما ظنوا

فهو حديث يراد منه الاكتفاء من المشرك أو نحوه أن يعلن كلمة التوحيد ، لنعلم أنه تنصل من اشراكه ، وصار موحدا لله تعالى فلا نقاتله حين القتال ولكن هل تغنيه هذه الجملة عن كل شىء يتحقق به اسلامه ؟؟

بمعنى أنه : لو لم يشهد لمحمد بالرسالة ، أو لم يقتنع بتشريع الاسلام ، أو فعل مع النطق بها فعلا ينافيها ، كعبادة وثن ، أو تكذيب لرسول، هل يكون حقا من أهل الجنة كما هو ظاهر الحديث ؟؟ لا .. لا

ان ذلك يكون من قبيل التلاعب بكلمة التوحيد ، ومن قبيل استغلالها فى التضليل

فقد علمنا الله — تعالى — أن للاسلام أركانا خمسة لا يتحقق الا بها ، فلا يكفى واحد منها مع التكذيب بغيره ولاتكون كلمة التوحيد وسيلة الى الجنة بمفردها بل بما يتمم الاسلام بها حقا

بعد وفاة الرسول تخلف قوم عن دفع الزكاة لأبى بكر ، وزعموها غير لازمة بعد وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — فاعتبرهم أبو بكر مرتدين شرعا ، واقتنع بذلك من كان يعارضه من الصحابة وحاربهم حتى أخضعهم .. وكان المعارضون يظنون أن كلمة التوحيد تعصم دماءهم وتكفى فى تحقيق اسلامهم لقول النبى — صلى الله عليه وسلم — **« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم ، وأموالهم »** فأوضح أبو بكر أن لهذه الكلمة حقوقا تستلزمها ، وهى بقية الأركان العملية ، فمن تقاعس عن التنفيذ فهو غير معصوم الدم والمال ولا يكفه مجرد النطق بالشهادة متلاعبا بها .

وهكذا نجد فى المجال العلمى الواسع كثيرا من المعارف التى تؤكد لنا ألا نفتر بكلمة زائفة ليست عن عقيدة ، وألا نخدع بمظهر يخالفه مسلك واقعى

ومن هذا القبيل أن بعض السابقين الى الاسلام هاجر مع المسلمين الأولين من مكة الى المدينة حاسبا أن له ثواب الهجرة خالصا

ونظرا لأن هجرته كانت لهذا ولرغبة الزواج بامرأة فى المدينة أو لربح مادى يصيبه ، بين النبى — صلى الله عليه وسلم — لأصحابه أن الهجرة المعتد بها هى الهجرة المحضة لنصرة الدين

وأما للتزوج ، أو للربح ، فليست من قبيل الهجرة التى قصدت لله ، وأشاد بها ، وبأهلها القرآن **« .. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه »** يعنى ليست جهادا لله

والخلاصة ان ديننا دين قويم ، لا يرضى بالخداع ، ولا يتجاوز عن التدليس والقرآن يصدع أسماعنا بتلك الآية ليدلنا فى قوة على أن من يعجبك قوله عن نفسه فى دنياه ، أو يعجبك قوله ولباقته فى شئون الحياة ، وأمور الناس ، ومسالك العيش لايكفيه أن يكون كذلك بالنسبة للتدين ، وعلاقته بالله

بل قد يكون كذلك : اعجابا ونضوجا ، ولكنه على عداوة لدينه ، وخصومة لربه فليت لنا نظاما ماديا يكفل منع التلاعب على أى نحو كان وخاصة أولئك الذين يستمرئون التغرير بالفتيات المسلمات على حساب الاسلام فهى ظاهرة خبيثة ، وكأنها مدبرة ، أو هى خدعة من خدع التبشير الماكر ، ولكنها تروج شيئا فشيئا بيننا ، فى ظل الدعوة التقدمية التى تقف فى وجه الدعاة الى صيانة الدين وتقاليده

المصادفات الحسنة في الكشوف العلمية

للدكتور عبد الحليم منتصر
مدير جامعة الكويت

كثيرا ما تلعب الصدفة دورا بارعا فى بعض الكشوف العلمية ، وكثيرا ما يكون الكشف العلمى نتيجة ملاحظة لماحة لأحد العلماء ، لشىء عارض أو حادث وقع بمحض الصدفة فكم من الناس طفا جسمه فى الماء أثناء الاستحمام ، ولكن (أرشميدس) وحده ، هو الذى وضع القاعدة المعروفة باسم قاعدة (أرشميدس) عندما قال اذا غمر جسم فى سائل فانه يدفع من أسفل الى أعلى بقوة تساوى وزن السائل المزاغ ، واذا طفا الجسم فان وزنه يساوى وزن السائل المزاغ ، وكم من التفاحات سقطت من أشجار التفاح ، ولكن (اسحق نيوتن) وحده ، هو الذى ربط بين سقوط التفاحة وجاذبية الأرض ، فوضع قانونه المشهور عن الجاذبية .

وكم من الناس ، صنع لنفسه الشاى ، بغلى الماء فى قدر ذى غطاء ، ولكن (جيمس وات) وحده ، هو الذى ربط بين ارتفاع غطاء القدر وقوة ضغط البخار ، واستطاع أن يستغل ضغط البخار فى تيسير الآلات البخارية . لقد انقضت حقب طويلة قبل هذه الكشوف الثلاثة .. وتعرف أهميتها ، والاستفادة من تطبيقاتها ، ولكنها المصادفة الحسنة ، أن تقع الظاهرة أمام الذهن المتفتح اللماح .

وان قصة البنسلين ، لتحكى هى الأخرى أروع الأمثلة ، على أثر المصادفة الحسنة فى هذا الكشف الذى كان له أكبر الأثر فى الطب وفى العلاج .

لقد لاحظ **ألكسندر فلمنج** أن مستنبتا بكتريا قد تلوث من عفن قريب منه ، وكأنما كانت لحظة الالهام ، فقد كان الطبيعى أن يلقى (فلمنج) بالمستنبت الملوث بعيدا فى سلة المهملات ، ولكنه تابع التجريب ، ولاحظ أن العفن يفرز مادة لها تأثير فعال فى ايقاف نمو كثير من الميكروبات المسببة لبعض الأمراض بل للقضاء عليها . وكذلك عرفت الانسانية البنسلين ، ذلك العقار الذى يعد من أعظم الكشوف العلمية فى القرن العشرين ، نعم عرفت البنسلين ، ونسيت اسم كاشفه « فلمنج » الذى أتاحت الصدفة الحسنة لذكائه اللماح أن يهدى الانسانية نصرا علميا مؤزرا ، ذلك الذى يؤدى للطب والانسانية أعظم الخدمات ، بل لقد أدى الى خلق فرع جديد من العلم هو علم المضادات الحيوية ، كذلك يرجع الفضل الى الصدفة الحسنة فى اكتشاف الأنسولين ، وبه استطاع عشرات الألوف من مرضى السكر ، أن يتحملوا أوضار هذا المرض ، وأن يقاوموه سنين طويلة .

وقد شاءت الصدفة الحسنة لعالمين كانا يدرسان فى الحقبة الاخيرة من القرن الماضى ، وظائف البنكرياس فى عملية الهضم ، وكانا قد فصلا البنكرياس من عدد من الكلاب ، وقد لاحظ أحد مساعدى المعمل أن أسراب الذباب قد تجمعت حول بول هذه الكلاب التى انتزع البنكرياس من جسمها وبتحليل بول هذه الكلاب ، وجد أنه يحوى كمية كبيرة من السكر ، وكانت هذه هى الومضة الأولى لمعرفة أسباب هذا المرض .

وكذلك كان كشف الفيتامين الواقى من مرض « البرى برى » الذى يصيب الذين يعتمدون فى غذائهم على الأرز المقشور وتوقف حركة المعدة والأمعاء فى فترات القلق والانفعال وكذا الاسراع فى دقات القلب ، عند قطع نهايات الأعصاب المتحكمة فيه .

كما قادت الصدفة الحسنة العالم (باستير) الى طريقته المستعملة حتى اليوم فى التحصين ضد بعض الأمراض بالتطعيم ، الذى يكسب الجسم المناعة الكافية التى تقيه من المرض . فقد استعمل ذات يوم مزرعة بكتيرية كان قد مضى عليها زمن طويل فى تطعيم الدجاج ،

ومرض الدجاج ولكنه لم يمت ، وكان هذا الحدث هو الشعاع المضىء لامكان استعمال المزارع البكتيرية الموهنة بتكرار الحقن بها ، تستطيع الحيوانات أن تقاوم العدوى ،وبذلك استطاع (باستير) أن يحقن الأغنام ضد الجمرة والكلب ثم الجدرى وغيرها من أمراض كانت تفتك بالانسانية أفظع فتك وأقساه .

ومن الأمثلة العظيمة لأثر الصدفة الحسنة فى الكشوف العلمية، كشف (ريشيت) لأمراض الحساسية ، التى تنشأ نتيجة تناول الانسان لأغذية معينة ، فمن الناس من تظهر عليه أعراض الحساسية اذا أكل بيضا أو فراولة أو غير ذلك من الأطعمة .

لقد كان ريشيت يجرى تجاربه على مستخلص من زوائد أحد شقائق البحر ، لدراسة أثر الجرعة السامة على هذه الحيوانات ، وقد أعطى بعد فترة من الزمن للحيوانات التى ظلت حية بعد اعطائها الجرعة السامة ، أعطاها جرعة أخرى ضئيلة لاتزيد على عشر الجرعة السابقة . وكانت دهشة ريشيت عظيمة عندما وجد أن هذه الجرعة قد قضت عليها ، وكذلك كشف ريشيت الحساسية الموجهة أو المستحدثة .

ولعلنا لا ننسى ونحن بسبيل الحديث عن أثر الصدفة الحسنة على الكشوف العلمية لاننسى **(كولمبس)** الذى أبحر من أسبانيا متجها نحو الغرب ، يريد أن يختصر طريقه الى جزر الهند الشرقية ، ولعله لم يكن يدرك قيمة كشفه ، ولم يتبين أهمية العالم الجديد الذى اهدته الصدفة السعيدة ، الى العالم على يدى (كريستوف كولمبس) لقد كانت مغامرته فريدة تلك التى أدت الى كشف الدنيا الجديدة التى أضافت الى امكانيات العالم ومناشطه ما ليس الى نكرانه من سبيل .

ولعل من أجمل الصدف تلك التى أدت الى كشف الكهرباء التى تنشأ من تلامس معدنين مختلفين فقد كان أحد العلماء يجرى تجاربه على بعض الضفادع، وكان قد علقها من أرجلها فى سلك نحاسى فى سور حديدى ، وقد لوحظ أن الضفادع ترتجف بملامستها السور الحديدى ، نتيجة اهتزازها بفعل الريح .

وكان الذى أبدى هذه الملاحظة (لوسيا جلفانى) وتتابعت البحوث التى أدت الى كشف هذه الكهرباء ، وبذلك اكتشفت البطاريات الكهربائية ، وما زلنا نستعمل (الجلفانومتر والفولتامتر) وما أشبه ذلك من مصطلحات ، احتفظ فيها العلم بأسماء هؤلاء الأعلام الذين تمت على أيديهم هذه الكشوف العلمية الرائعة فى ميدان الكهرباء ، نتيجة لمثل هذه المصادفة الحسنة حين لاحظت زوجة (جلفانى) اهتزاز الضفدع عند تلامس السلكين المعدنيين، وتتابعت بعد ذلك البحوث فى هذا الاتجاه مما أسدى للانسانية البرق والهاتف وغيرهما من مستحدثات العلم .

ولقد سئل **((فاراداى))** يوم أن ابتكر كشفه الرائع فى توليد الكهرباء من المولد ،وكان يومئذ تيارا ضعيفا لايؤبه له، سئل عن فائدة هذا الكشف ، فأجاب اجابته الخالدة **وما فائدة الطفل حديث الولادة ساعة ولادته .**

ونحن اذ ننظر اليوم الى الخدمات العظيمة التى قدمها العلم للانسانية ، مما جعلها ترقى فى مدارج الرقى بخطى جبارة فاننا لن نستطيع أن نحصى ما قدمه العلم فى خدمة الانسانية مما جعله يرقى أسباب السماء ، يحاول أن يغزو فضاءها ، وأن يصل الى كواكبها ، وأن يستكنه أسرارها ، ومن يقرأ قصص الكشوف العلمية ، يجد الكثير من آثار الصدفة الحسنة وخاصة فى كشوف أشعة **(اكس)** والمواد المشعة وانشطار الذرة وما أشبه .

ومن المحقق أن كثيرا من هذه الكشوف العظيمة ، من رادار ، ومذياع ، وتليفزيون ، والكترونات ، وصواريخ قد لعبت الصدفة الحسنة دورها فى الاهتداء اليها ، ومع ذلك فلا ينبغى أن ننسى فضل العقول الجبارة والأذهان المتوقدة اللماحة ، التى استطاعت أن تهتبل الفرصة ، وتستفيد من الصدفة الحسنة فى كشف روائع العلم ، وتطبيقها فى الطب والصناعة ، فى السلم والحرب ، فى رفع مستوى حياة الانسان ، وتوفير أسباب الرفاهية له وقبل كل ذلك ، وفوق كل ذلك، فى الاضافة الى المعرفة البشرية ، وانها لشرف يبتغيه العلماء ، وان متعتهم بها لا تدانيها متعة أخرى من متع الحياة .

التطورات الدستورية
فى السنوات العشر الأخيرة

الدكتور طعيمه الجرف

ومارست الثورة أعباء الحكم فى فترة الانتقال فى ضوء هذه المبادىء . واتخذت طريقها فى المعركة السياسية داخليا وخارجيا بقصد التمهيد لنظام ديمقراطى سليم ودستورى مستقر .

وتأكد للثورة أنه فى سبيل دعم الديمقراطية السليمة ، فانه لابد من خوض ثلاث معارك متلازمة ومتكاملة هى :

أولا — ضرورة تطهير الجبهة الداخلية من قواعد الخيانة وركائز العمالة التى صنعها الاستعمار لحسابه فى بلادنا . وخططت الثورة لهذه المعركة الداخلية بكثير من التروى والحكمة حقنا للدماء ومنعا لحمامات الدم .

ورأت الثورة أن توجه أولى ضرباتها فى هذه المعركة ضد فاروق رأس القائمة من عملاء الاستعمار والمستغلين ، نظرا لما لاقته البلاد فى أواخر عهده من فوضى شاملة عمت جميع المرافق ، نتيجة لسوء تصرفه وعبثه بالدستور وامتهانه لارادة الشعب ، لدرجة ساءت معها سمعة مصر بين شعوب العالم ، وأفسحت المجال للخونة والمرتشين أن يجدوا فى حمايته الأمن والسبيل الى الثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير .

ودفاعا عن كرامة الشعب وسمعته ، وردعا للخونة والمستغلين من الرجعيين وعملاء الاستعمار والملكية ، توجهت الثورة الى الملك فاروق بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ تطالبه بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد .

ولم يملك فاروق أمام هذه الرغبة الشعبية التى تسندها قواتنا المسلحة المتحررة الا أن يستسلم للانذار .

ثم اتجهت الثورة بعد ذلك فى ٣١ يوليو سنة ١٩٥٢ الى الأحزاب السياسية تدعوها الى تطهير صفوفها حتى تصبح قوة تركيز للوحدة القومية بعد أن كانت فى الماضى قوة تركيز للتدخل الأجنبى ، مما سبب فساد الحياة الدستورية وأفسح المجال واسعا لاستهتار الملكية وعبثها بالدستور وبكرامات الناس .

غير أن الأحزاب السياسية — وقد وقف بها فهمها القاصر — لم تكن تتصور أن ثورة يوليو تتعدى أن تكون انقلابا عسكريا مؤقتا ، ولذلك لم تقابل دعوة التطهير بما تقتضيه الروح الثورية من جدية وفاعلية . وأخذت تنتظر الفرصة علها تسنح لها فتتخلص من الثورة ليعود اليها حكم الاستغلال من جديد .

وكان طبيعيا لذلك أن تخطو الثورة خطوة جديدة ، بعد أن قطعت على نفسها العهد بأن الحكم النظيف لا يمكن أن يقوم على طبقة محترفى السياسة ومحترفى الحكم . وتنفيذا لذلك أصدرت الثورة فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ قانونا فى شأن تنظيم الأحزاب السياسية ثم قررت فى ١٠ ديسمبر الغاء دستور سنة ١٩٢٣ .

وبالغاء دستور سنة ١٩٢٣ بدأ الطريق مفتوحا أمام الثورة لتخوض ثورتها السياسية

التحررية دون معوقات ، واتجهت الثورة فى سبيل ذلك وجهتين : الأولى حل الأحزاب السياسية والثانية الغاء النظام الملكى واعلان الجمهورية .

ففى ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ أذاع القائد العام للقوات المسلحة بيانا ذكر فيه كيف أن الأحزاب السياسية أفسدت أهداف ثورة سنة ١٩١٩ وكيف أنها قد أرادت أن تنتهز فرصة ثورة سنة ١٩٥٢ لتسعى سعيها القديم للتفرقة . ولما كانت البلاد تمر بفترة تستلزم أن يسودها فيها هدوء شامل ، كان واجبا أن تحل تلك الأحزاب التى فشلت والتى ضيعت من مصالح الوطن ما ضيعت وأن توجه أموالها لصالح الشعب .

وتنفيذا لذلك صدر فى ١٨ يناير سنة ١٩٥٣ المرسوم بقانون رقم ٣٧ متضمنا حل الأحزاب السياسية ، ومبينا كيفية تصفية أموالها وحاظرا القيام فى المستقبل بأى نشاط حزبى من أى نوع .

وبدأ يتبلور الاتجاه الدستورى الجديد القائم على ((اللاحزبية)) ، تأسيسا على أن الديمقراطية السليمة لا يمكن أن تستقيم فى مرحلة تحولنا الثورى الحالية الا فى اطار من الوحدة الوطنية الشاملة التى تجمع كل الشعب على هدف واحد ، وعلى طريق واحد للوصول الى هذا الهدف . ومن ثم فلامجال فى بنائنا الدستورى الجديد لدعوات التفتت القديمة أو لدعوات التعصب الحزبى الذى دفع ثمنها فى الماضى النضال الشعبى . فقد جرت علينا الحزبية فى الماضى الكثير من الانحرافات السياسية ، حيث كان النظام الحزبى حينذاك انعكاسا للأوضاع الاقتصادية التى قامت على التحالف الرجعى بين الاستعمار والاقطاع ورأس المال المستغل .

وكان ذلك الاتجاه هو المصدر الفلسفى للاتحاد القومى **فقد كانت المادة ١٩٢ من دستور يناير سنة ١٩٥٦ والمادة ٧٢ من الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة تنصان على أن ((يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف القومية التى قامت من أجلها الثورة ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية)) .**

ومقصد هذا الحكم ـ كما هو واضح ـ أن الثورة قد حرصت على جمع صفوف الأمة فى منظمة شعبية واحدة تقضى على مخلفات الحياة الحزبية الماضية ، كما حرصت على أن يدور نشاط هذه المنظمة الشعبية الجديدة فى اطار أهداف الثورة ، وذلك لحث الجهود لبناء مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى متحرر من الاستغلال السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

وبين من القرارات الجمهورية الصادرة فى شأن تشكيل الاتحاد القومى كيف كانت عضوية هذا الاتحاد مفتوحة لجميع المواطنين دون تمييز ، من بلغ منهم من العمر ١٦ سنة وكيف كانت منظمات الاتحاد القومى تأخذ شكلا هرميا يبدأ بالمنظمات المحلية ووحدتها لجنة القرية أو الشياخة ، وتتدرج هذه المنظمات تصاعديا حتى تأخذ على المستوى القومى شكل المؤتمر العام للجمهورية ولجنته العامة ولجنته التنفيذية العليا . وكانت القاعدة فى تشكيل هذه المنظمات فى المستويات دون المستوى القومى تقوم أساسا على الانتخاب والتعيين استثناء فى بعض الحالات ، أما على المستوى القومى فكانت القاعدة للتعيين والاستثناء للانتخاب .

ومن ناحية أخرى فقد رأى مجلس قيادة الثورة ، أنه منذ الغاء الأحزاب ، وجدت بعض العناصر الرجعية فرصة حياتها مستمدة من النظام الملكى الذى أجمعت الأمة على المطالبة بالقضاء عليه قضاء لا رجعة فيه . وأن تاريخ أسرة محمد على فى مصر كان سلسلة من الخيانات التى ارتكبت فى حق هذا الشعب ، ولذلك أعلن مجلس قيادة الثورة بتاريخ ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ ـ باسم الشعب ـ الغاء النظام الملكى وحكم أسرة محمد على مع الغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة ، واعلان النظام الجمهورى .

وكان اعلان النظام الجمهورى من أهم المبادىء الدستورية التى استحدثتها الثورة نزولا على المنطق الديمقراطى الصحيح من ناحية ، وتصحيحا للمفاسد التى تركها النظام الملكى من ناحية أخرى ، فقد كانت مصر وهى ما زالت فى عراك مع الاستعمار والاقطاع ، فى حاجة الى نظام للحكم يرد للشعب سيادته الحقيقية ، ويدعم سلطان الجماهير الواسعة ويفهم الاستعمار والاقطاع أنه لم يعد فى البلاد ملك يمكن عن طريقه استعباد الشعب أو استغلال ثرواته .

وكان دستور يناير سنة ١٩٥٦، ثم الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ، تسجيلا لهذا الانتصار السياسى والقومى ، حيث نص كلاهما فى مادته الأولى على أن مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة وأنها جمهورية ديمقراطية

ثانيا ـ ضرورة القضاء على الاستعمار والتحرر من التبعية السياسية : ذلك أن الشعوب لا تستطيع أن تبنى نفسها تحت أقدام الدول الكبرى ، أو بالاستكانة والخضوع وراء أسوار مناطق النفوذ . وقد تأكد بالتجربة أنه لن تقوم فى مصر ديمقراطية سليمة وحقيقية طالما بقيت قوات الاحتلال رابضة فى القنال ، وطالما بقيت قضية الاستقلال والجلاء هى الشغل الشاغل للشعب . ومن هنا كانت معركتنا ضد الاستعمار رهيبة ومستمرة ، وكانت خطتنا فى هذه المعركة تقوم على مبدأين أساسيين :

أولهما : رفض أية محاولة من بريطانيا لفرض تحالف عسكرى أو أى نوع آخر من أنواع الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ، باعتبار أن مثل هذه المحالفات ليست الا ستارا خادعا للاحتلال العسكرى .

وثانيهما : أن تجرى المباحثات مع بريطانيا على أساس التسليم بمبدأ الجلاء ، لتنظيم عملية الجلاء هذه ، سريعا وبصفة نهائية .

وحين تكشفت الثورة فى المباحثات التمهيدية سنة ١٩٥٣ أن بريطانيا لا تزال تتصرف بعقليتها القديمة ، القائمة على المراوغة والمناورة وكسب الوقت ، أخذنا نعد العدة لتنظيم مقاومة مسلحة ضد جنود الاحتلال ، وبذلك أرغمت انجلترا على عقد اتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ ، وبدأت تجلو بقواتها عن أرضنا فى ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦، وفى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ رفع الرئيس جمال عبد الناصر العلم المصرى على مبنى البحرية فى بورسعيد ، وتقرر أن يكون يوم ١٨ يونيو من كل عام عيدا قوميا للجلاء .

وحين اعتدت بريطانيا بالاشتراك مع فرنسا واسرائيل على مصر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ كان ذلك منها نقضا لاتفاقية الجلاء . وهو ما أتاح لشعبنا الفرصة لكى يعلن الغاء هذه الاتفاقية وكل ملحقاتها، **وبذلك زال آخر قيد كان يهدد حرية بلادنا الدولية وينتقص من استقلالها وسيادتها . وهو ما مهد لهذا البناء الضخم الذى بدأته الثورة لتحقيق مقاصدها فى الاصلاح والانشاء والتعمير فى جميع قطاعات حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية.**

غير أن حربنا ضد الاستعمار لم تنته بهذا النصر الحاسم الذى حققه شعبنا فى بورسعيد سنة ١٩٥٦، فقد كانت معركة تثبيت الاستقلال أشد ضراوة وعنفا . ووجدنا طريقنا لتثبيت الاستقلال فى سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

ولم يكن هذا الطريق هو أسهل الطرق وانما كان أصعبها ، فقد تملكت الاستعمار نوبة من نوبات العناد دفاعا عن كيانه المتهدم فى المنطقة العربية ، ففكر فى طريقة توقف الانطلاقة الثورية وتعزل مصر عن أن تؤثر فى المحيط العربى أو أن تمتد بثورتها الى خارج الدائرة العربية . ووجد الاستعمار وسيلته فى سياسة الحصار، الحصار السياسى والحصار الاقتصادى .

فقد أخذ الاستعمار من ناحية، يلوح بدعوى الخطر الشيوعى ، وبفكرة الفراغ السياسى فى المنطقة العربية ، بعد خروج انجلترا من مصر، وكان يهدف من كل ذلك الى أن يفرض على

الدول العربية قبول سياسة الأحلاف العسكرية ،وكان حلف بغداد واحدة من هذه المحاولات .

وقد بدأت سياسة ضغط كبرى على الدول العربية ، وكانت سورية ولبنان مسرحا لهذه السياسة ، لمحاولة دفعها قهرا الى عضوية هذا الحلف .

وكانت مقاومتنا لحلف بغداد واحدة من علامات نمو وعينا الثورى المتحرر ، كما كان انتصارنا على هذا الحلف وتجميدنا له ـ بعد ثورة العراق سنة ١٩٥٨ ـ واحدة من أهم انتصاراتنا الثورية .

وقد كان نجاح الشعب السورى الرائع فى الحفاظ على استقلاله فى مواجهة المؤامرات والمناورات التى زحفت تهدده من هذا الحلف سببا فى احتفاظ هذا الشعب بارادته التى استطاع أن يفرض بها التجربة الأولى للوحدة العربية باقامة الجمهورية العربية المتحدة .

وردا على سياسة الحصار الاقتصادى ، والامتناع عن تمويل مشروعات التنمية وعلى رأسها مشروع السد العالى ، كان قرارالثورة فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بتأميم شركة قناة السويس .

وكان هذا القرار من أهم ما اتخذته الثورة من اجراءات دعم استقلالنا السياسى والاقتصادى ، ولتخليص وطننا من كل علامات التبعية للاستعمار الغربى ، فقد كان شق القناة فى أرض مصر واحدة من جملة أسباب كثيرة أسهمت فى الوقوع بنا فى حبائل الاستعمار، كما كانت حجة الدفاع عن مواصلات الامبراطورية البريطانية عبر القناة ، واحدة من كثير من الحجج التى ادعتها بريطانيا لتبرير احتلالها لمصر والسيطرة عليها .

ومن هنا كان تأميم شركة قناة السويس اجراء اقتضاه استرداد مصر لكامل سيادتها على نفسها وأرضها ، كما كان واحدا من أهم ما اتخذته الثورة لدعم هذه السيادة ولتأكيد فكرتنا فى الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

ثالثا ـ ضرورة تحرير المواطن اجتماعيا واقتصاديا : فقد ثبت من تجربة الماضى أن أسباب الفساد الاجتماعى والاقتصادى التى عاشت فى مجتمع ما قبل يوليو سنة ١٩٥٢ ، كانت واحدة من بين جملة عوامل أسهمت كلها فى افساد حياتنا السياسية ، وفى الحكم على ديمقراطية سنة ١٩٢١ بالفشل . ذلك أن الأوضاع حينذاك وقد قامت على تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ، قد سلبت الجماهير الواسعة الضمان الحقيقى لممارسة حقها فى الحرية ومن ثم فقد اتخذت العناصر الرجعية من قوتها سلاحا رهيبا سيطرت به على قوت الشعب وأرزاقه، واستطاعت عن هذا الطريق ، أن تفرض سيطرتها على الحكم وعلى جميع أجهزته وأدواته ،وسخرتها جميعا ـ باسم الديمقراطية والانتخابات ـ لخدمة مصالحها الطبقية على حساب مصالح الجماهير المحرومة .

ولذلك كان أمرا حتميا أن تتجه ارادة التعبير الثورى الى اسقاط هذه القوى الرجعية المتحالفة ، والى تجريد فلولها من كل أسلحتها ضمانا لتحرير لقمة العيش للجماهير ، فذلك هو الشرط الأساسى لتحرير تذكرة الانتخاب.

ومن هنا ثبت فى مفهومنا الثورى بعد يوليو سنة ١٩٥٢ ، أن التلازم بين الديمقراطية والاشتراكية أمر حتمى. فاذا كانت الديمقراطية تحتاج الى مزيد من الديمقراطية ، لأنها هى التى تفسح فرصة التجربة وفرصة الخطأ والصواب ، فانها تحتاج كذلك ، بل انها تحتاج فى المحل الأول، الى مزيد من الاشتراكية ذلك أن الاشتراكية فى مفهومها القائم على الكفاية والعدل ، هى وحدها القادرة على تحرير لقمة العيش للجماهير ، ومن ثم تكون وحدها القادرة على تحرير ارادة هذه الجماهير حتى تستطيع أن تمارس فرصتها فى السيادة دون ما ضغط أو تحكم أو سيطرة .

نفسية الإنسان العربي

الدكتور احمد فؤاد الأهواني

- **الحل الصحيح للعقد النفسية ـ مشاركة المرأة للرجل على أساس الزواج**
- **الصراع الطبقى وحل العقد النفسية**
- **الشعب العربى عاطفى وانفعالى وضرورة تهذيب العواطف والتحكم فى الانفعالات**
- **عقلية الشعب العربى مصورة فى القرآن بشدة الجدل وقوة الحجة وسرعة البديهة**
- **اللغة العربية من اسرار المنطق العربى**
- **الايمان بالله جزء لا يتجزأ من نفسية الانسان العربى**
- **الايمان بالله أساس الطمانينة النفسية فى عصر الماديات**

ان السر الحقيقى فى العقد النفسية ليس فى انعدام الصلة الجنسية المادية ، وانما فى نقص العاطفة الجنسية التى تنشأ من انعزال الجنسين ، وانعدام التكافؤ الثقافى بينهما ، وقيام العلاقة بينهما على استبداد الرجل بالمرأة ، واستعباده لها ، لا على التعاطف والمحبة .

ان الحب أقوى عاطفة تضىء أرجاء النفس وتبعث على الاستقرار والاطمئنان ، وتدفع الى الكفاح والعمل والدأب والمثابرة ..

ان الحب أعظم سبيل الى اصلاح النفوس المريضة ، بشرط أن يكون حبا سليما ، ولا يستقيم حب سليم الا مع الزواج وتكوين الأسرة . ولقد كانت الأسرة جزءا لا يتجزأ من تاريخ الشعب العربى . ولذلك فشلت الفلسفات التى تنادى بالغاء الأسرة أو تستهين بها فى التأثير على الانسان العربى .

ان الحب الصادق فى أساسه ايثار وتضحية ، والايثار نزول عن مطالب النفس وتضحية بها فى سبيل الغير ، ومن هذا الحب الصادق ينشأ حب المجتمع ، وحب الوطن ، وحب العلم ، ومحبة الحكمة وهى الفلسفة ، وحب الله .

ان شعور الطفل بالحرمان من عطف أمه ومحبته فى الصغر هو السر الحقيقى فى العقد النفسية التى يعانيها حين يكبر ، فينعكس هذا الحرمان على سلوكه فى الحياة ، من اهمال فى العمل ، وتخبط فى علاقاته بالناس وسوء حكم على الأشياء ، ونظرة سوداء الى الدنيا ، وانحصار فى داخل نفسه وانطوائه عليها .

ان العبء الذى يقع على المرأة فى هذه المرحلة الحاضرة من تاريخ الانسان العربى عبء عظيم ، اذا صلحت واستقامت وفطنت الى حقيقة دورها ، استقامت نفوس أفراد الشعب العربى .

ان المتتبع لتاريخ الثورات الكبرى فى التاريخ ، وتاريخ عظماء الرجال ، يجد المرأة من وراء كل ثورة ، والملهم لكل عظيم .

وليست العقد النفسية ناشئة عن الدافع الجنسى فقط ، اذ لها عند الانسان العربى أسباب أخرى .

لأن العقدة النفسية صراع ينشب داخل النفس ، ويكمن وراء اللاشعور ، لا يستطيع المرء له حلا ، انها حرب داخلية بين مايتطلع اليه المرء من أمل يلعب بخياله وبين الواقع الذى يعيش فيه . الأمل فى الثراء الفاحش وواقع الفقر المدقع . والأمل فى الجاه والسلطان وواقع التخلف وسوء المنزلة . ومن هنا ينشأ الحسد والحقد والكراهية . ولا يمكن أن يستقيم حال فرد يأكل نفسه الحقد والحسد والكراهية ، ولا يمكن كذلك أن تستقيم حال أمة .

وقد جرب الفقراء المعدمون أن يصلوا الى شىء من الثروة ، فلم يستطيعوا لأن سلطان المال فى يد طبقة الرأسماليين المنعزلين بأنفسهم عن الطبقة الدنيا ، وجربوا كذلك بلوغ الجاه والمركز فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ، للعلة نفسها وهى تربع الطبقة التى تسمى نفسها الارستقراطية، أو الراقية، فى كراسى السلطان واحتلالهم أهم المراكز .

هذه العقد النفسية ، التى يمكن تسميتها بالدوامات النفسية ، تؤدى الى أن يكون سلوك الفرد أما التوقف للعجز عن الخروج من هذا الصراع بنتيجة ، واما الى الاستسلام والسلبية والتواكل ، واما الى ثورات مؤقتة تخريبية يحطم فيها الفرد كل شىء حتى نفسه، وهذه الآفات كلها يعانى منها الانسان العربى وهى : التوقف ، والسلبية ، والتخريب .

وكان لابد للخروج من هذا الصراع النفسى من اجراءات ثورية حاسمة تعالج أسباب هذا الصراع ، وهذه الاجراءات هى التى اضطرت ثورة ٢٣ يولية أن تتخذها ، أى القضاء على الاقطاع فى جميع صوره بغية تذويب الفوارق بين الطبقات ، واستبعاد التطلعات الطبقية . وبذلك يزول الحسد والحقد والكراهية ، وتنحل العقد النفسية، ويشعر كل فرد بالأمن، فيتفرغ لعمله دون توقف ، أو سلبية ، أو تخريب .

ان الشعب العربى فى جملته جزء من شعوب البحر الأبيض ، التى تمتاز بسرعة الانفعال ، وحدة العاطفة، حقا لاغنى للانسان عن العاطفة وعن الانفعال ، لأنه مركب من العقل والعاطفة والارادة ، الا أن الحياة السليمة تقتضى التوازن بين هذه النواحى الثلاث ، فاذا طفت احدى النواحى على الناحيتين الأخريين اضطربت النفسية ولم يستطع المرء أن يسلك السلوك الواجب فى الحياة مما يحقق أغراضه .

ولا يمكن ونحن نرسم فلسفة الانسان العربى من جهة نفسيته أن نغفل من حسابنا هذه الطبيعة المتأصلة فيه ، وهى التأثر بالانفعال والجرى وراء العاطفة ، وهذه مزية الانسان العربى ترفعه الى مرتبة الانسانية فى العصر الآلى الذى نعيش فيه ، كل ما نطلبه أن تهذب الانفعالات ، وأن توجه العواطف ويرتفع بها ناحية السمو ، وأن يحكم العقل فى الحياة الوجدانية حتى لا تخرج عن الطوق، وتنحرف بالمرء جهة الشطط .

ان شعور الانسان بالألم واللذة ، والغم والفرح ، والهم والمرح ، والخوف والغضب، والارتياح والغيظ ، وغير ذلك ، هى الشحنات الوجدانية الضرورية لحفزه على العمل البناء الخلاق ، ومن الخير أن نترك للانسان يسبح فى هذه المشاعر اذا شئنا له أن ينطلق فى طريق الخلق والابتكار . وما أحوجنا فى مرحلتنا الحاضرة الى تكوين أفراد الأمة العربية بحيث يكون كل واحد منهم مبدعا خلاقا .

كل ما نتطلبه فيما يختص بالانفعالات والعواطف أن تخضع لهذه الكلمة الجامعة وهى الاعتدال ، ولا يتم الاعتدال الا بضبط النفس ، وسبيل هذا الضبط الوعى ، ثم تحكيم العقل .

نريد من الانسان العربى أن يتحكم فى عواطفه وأن يوجهها ، بدلا من أن تسيطر هى عليه فينساق معها دون وعى .

وليكن شعار الانسان العربى قول الله تعالى : « **والكاظمين الغيظ** » .

وللانسان العربى عقلية خاصة به تختلف عن عقليات الشعوب الأخرى .

وقد تميز بهذه العقلية نتيجة تفكيره باللغة العربية .

انها لغة فصاحة وبلاغة ، تصور المحسوس كما تعبر عن المعقول .

وهى غنية بألفاظها ومعانيها ، حافلة بالتعابير المصورة لأدق أحوال النفس .

أرتقت هذه اللغة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، واكتملت ، واتسعت للتعبير عن جميع الحاجات الأدبية والفنية والعلمية .

اكتملت مع نزول القرآن الكريم ، ولايزال كتاب الله هو الأصل الذى يرجع اليه الناطقون بالضاد حتى اليوم ، لا يجدون فى فهمه مشقة ولا عسرا ، وهو الذى يقوم ألسنتهم ، ويهدى أنفسهم ، ويبصر عقولهم .

ومنطق القرآن الكريم منطق الحياة الدائمة الحركة والنمو ، والصراع بين أفكار الناس ، والتقابل بين أهدافهم وقيمهم . ولذلك اصطنع منطقه أسلوب القصص تارة ، وأسلوب الجدل تارة أخرى ، ليصل الى الاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة . وقد فطن القدماء الى الخلاف الأساسى بين منطق القرآن ومنطق اليونان ، فأشار الكندى فيلسوف العرب فى بعض كتبه الى ذلك ، فقال ما فحواه : **انظر الى الحجة القرآنية ضد المنكرين للبعث بعد الموت فى قوله تعالى : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »** .

يريد بذلك أن الخصم الذى يسلم بأن الله قد بدأ الخلق فلا بد له أن يسلم أنه قادر على أن يعيده مرة أخرى .

المهم فى العقلية والمنطق الذى تتبعه أن تصدر أحكاما صائبة على ما يجب قبوله من القضايا المتعارضة . وليس الحكم بين هذه القضايا يسيرا ، لأن كلا منها يعتمد على حجج قوية ، خذ مثالا لذلك ما يواجهه الانسان فى الوقت الحاضر من قضايا خطيرة ، الحرب أم السلم ، المادة أم الروح ، اباحة النسل أم تحديده ، فناء النفس بعد الموت أم بقاؤها ، مجتمع طبقات أم طبقة واحدة ، الى غير ذلك مما نحسه ونواجهه فى حياتنا الراهنة .

ولقد كانت العقلية العربية ، ولاتزال قادرة أن تفصل بين هذه القضايا بما يحقق صالح الفرد وصالح الانسانية كلها .

الواقع أن الاتجاه الى الحكم لا يعتمد على مقدمات منطقية بحتة بل تتدخل فيها عوامل نفسية تعتمد على المزاج الشخصى .

ان الذى يحكم بأحقية الحرب على السلام ، انما يعبر عن نفسيته الخاصة ، من ميل الى العدوان أو سخط على العالم .

والذى يقضى بوجوب وجود طبقات اجتماعية ، انما يعكس مصلحته واتجاه نفسيته .

وعندما قسم أفلاطون المجتمع ثلاث طبقات فى جمهوريته ، وهم الحكام والجند والشعب ، وجعل الحكام أعلى طبقة ، كان يصور نزعته الخاصة ، لأنه سليل أسرة من الأشراف .

وهكذا نرى أن النفسية تتدخل فى العقلية . فاذا كانت النفسية سليمة أصدر الانسان أحكاما سليمة صائبة ، وان كانت نفسيته مريضة معقدة اتسمت عقليته بالالتواء والهوى والانحراف .

فلا مناص للانسان العربى من أن يصلح نفسيته حتى يقوم عقليته .

ولا مناص له من أن يسمو بلغته المعبرة عن تراثه ليسمو تفكيره ، باعتبار أن اللغة أداة الفكر .

ولا سبيل له الى الاحتفاظ بسلامة لغته الا بالتمسك بالقرآن ، ديوان العرب اللغوى والأدبى والأخلاقى والنفسى والدينى .

الايمان بالله جزء من مكونات نفسية كل انسان عربى .

ولذلك أسباب عميقة الجذور من تراثه ، لا يمكن أن يضرب عنها صفحا .

وليس ايمانه بالله ايمانا نظريا من قبيل الاعتقادات فقط ، وانما هو ايمان صادر عن تجربة نفسية هى ثمرة العبادة وعلى رأسها الصلاة بمظاهرها الخارجية من ركوع وسجود وطهارة ، وهذه المظاهر مشتركة بين الأديان الثلاثة الكبرى ، التى نبعت فى قلب العالم العربى ، وهى اليهودية والنصرانية والاسلام .

فالدين يشكل النفس العربية ، ويتدخل فى سلوك الانسان العربى .

ولكن الدين حين كان صافيا صادقا لم يكن عائقا للانسان العربى عن حرية الحركة ، والتقدم والرقى ، ومن اتساع أفق الفكر ، والأخذ بالعلم منهجا للمعيشة فى هذه الدنيا .

كان الايمان بالله توكلا على الله ، حتى انقلب التوكل تواكلا .

وكان التدين تقوى ، ثم أمسى التدين تجارة

وكانت العبادة خالصة لله ، ثم أصبحت مظاهر لخداع الناس .

والانسان العربى فى حاجة الى احداث ثورة دينية، لن يغير بها الدين، أو يستحدث دينا جديدا ، بل يرجع بالتدين الى صفائه الأول ، ويسره الذى يبغى صلاح النفوس ، مع الابتعاد عن الجمود الذى اصابه على مر الأجيال ، والتمسك بالمظاهر والرسوم دون اللباب الصحيح .

الدين فى جوهره هدى للنفس البشرية ، ونور يضىء لها طريق الخير كى تسلكه وتسير فيه .

كان الدين اسلاما ، فأصبح على مر الزمن استسلاما ، والثورة النفسية التى نريدها اليوم يجب أن ترد الاستسلام الى اسلام ، حتى يسلم الانسان وجهه لله ، بدلا من أن يتجه نحو الشهوات والمطالب الدنيوية .

هذه العملية النفسية التى ترفع النفس من حضيض الدنيويات الى مرتبة الروحانيات، عملية شاقة عسيرة ، ولكنها على مشقتها ضرورية لرقى الانسان العربى الدين ، بهذا المعنى لا جرم يندفع بطاقات مضيئة نحو الخير والسلام والتقدم والرقى .

وفى هذا يقول الميثاق الوطنى فى الباب السابع : « **ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الايمان قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة** »

ان الفصول التى قدمناها عن نفسية الانسان العربى ، من جهة احساسه بذاته ، وتنظيم انفعالاته وعواطفه ، واستقامة عقليته ، وايمانه بدينه ، كلها تلتقى عند نقطة واحدة ، وتجتمع حول محور واحد هو **شخصية الانسان العربى** .

الانسان العربى له شخصيته المتميزة عن غيره من أفراد الأمم ، وهى شخصية متميزة فى الزى والعادات واللغة والنظرة الى الحياة والحكم على الأشياء . انها تاج نفسيته .

ولقد كانت هذه الشخصية الى عهد قريب ضعيفة متخلفة مستكينة مستسلمة ، حتى جاءت الثورات المتلاحقة منذ أواخر القرن الماضى ، والتى توجتها ثورة يولية سنة ١٩٥٢ باجراءاتها الحاسمة ، فعملت على احداث ثورة عميقة الجذور فى شخصية الانسان العربى ان فى مصر أو فى سائر أجزاء الوطن العربى .

ان بناء الشخصية القوية السليمة أصعب من بناء المصانع وشق الترع والمصارف وانشاء الطرق وغير ذلك . والشخصيات القوية التى أحسن تكوينها هى التى تستطيع بعد ذلك أن تبنى المصانع ، وأن تحسن رعايتها ومتابعة الانتاج .

وهذه هى الخطوط العريضة التى يجب أن نضعها نصب أعيننا ونحن نبنى شخصيات الانسان العربى فى مرحلته الحاضرة .

أولا ــ أن يشعر بذاته .

ثانيا ــ أن يعتمد على نفسه .

ثالثا ــ أن يأخذ بنتائج علم النفس الحديث فى تقويم سلوكه .

رابعا ــ أن يتحرر من العقد النفسية العائقة له عن العمل والكفاح .

خامسا ــ أن يكون سبيل الرقى بالنفس كسب العلوم والمعارف .

سادسا ــ أن يتخذ من العمل سبيلا الى اصلاح النفس .

ان اصلاح النفوس لا يمكن أن يتم بالقهر والاستبداد ، بل بالاقناع الحر ، لينمو الانسان حرا من كل قيد ، صانعا لنفسه الى غير حد .

ان النفس كالنبتة التى تحتاج فى نمائها الى أن تتنفس فى جو حر طليق حتى تمتد جذورها فى باطن الأرض وترتفع فروعها الى السماء .

وفى ذلك يختتم الميثاق الباب الخامس بقوله فيما يختص بالديمقراطية :

« ان العمل الديمقراطى فى هذه المجالات سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، عميقة فى احساسها بالانسان ، صادقة فى تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك كله على اضاءة جوانب فكره وحسه ، وتحريك طاقات كامنة فى أعماقه خلاقة مبدعة، ينعكس أثرها بدوره على ممارسته للديمقراطية ، وفهمه لأصولها ، وكشف لجوهرها الصافى النقى ».

من أدب القصة في القرآن الكريم

الأستاذ
البهى
الخولى

– ١ –

يهمنا بادئ ذى بدء أن نقرر أن ثمة فارقا أساسيا يميز قصص القرآن من القصص المتداول بين الناس ، ذلك أن هـذا الأخير مخترع لا أصل له – الا الذى يمت بصلة الى حادث تاريخى – مخترع الحوادث ، مخترع الأشخاص ، ولا أقول مخترع الفكرة ، فـان الفكرة دائما من وحى الحياة – أما قصص القرآن فحق كله ، واقعى كله ، شـهدت الأرض والسماء أحداثه ، وعهدنا أفـراده جميعا ، رجالا ونساء ، شيبا وشبانا وولدانا .. ((تلك من أنباء الغيب نوحيهـا اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)) .. فمن زعم أنه مخترع لتقـرير حكمة أو عرض عبرة ، فقد افترى على الله الكذب ، فان منزل الكتاب نفسه سبحـانه يقول : ((لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى)) . ((ان هذا لهو القصص الحق ، وما من اله الا الله ، وان الله لهـو العزيز الحكيم)) .

– ٢ –

ومن المعروف أن القـرآن كتاب رسالة لا كتاب قصص .. كتاب رسالة جامعة تنتظم الحياة بأسرها ، ظاهرها وباطنها ، مادتهـا وروحها .. وقد خط لنا الحق سبحانه فيـه ما ينظم صلتنا بآفاق تلك الحياة ، حقهـا وباطلها، دنياها وأخراها. .وذكر ما فيهامن قيم وارزاق حسية ومعنوية ، وما فيها من كائنات روحية وغير روحية .. وشرع لنا منهـاج الاستقامة والسلامة بين تلك المجاهيل الغيبية الخطيرة ، وبين لنا ما يعتور النفوس والأذهان خلال ذلك من جهل وغفـلة وفتن وآفات صارفة عن النهج السوى .. وبين لنا غـير ذلك مما لا نطيل بذكره .

تلك فى ايجاز شديد جدا رسالة القـرآن الكريم ، فى أحكامها ، ومبادئها ، ومثلهـا ، وعقائدها ، وتوجيهاتهـا ، وما تضمنت من نواميس المجتمعات وسنن الكون ، وقد شاء الحق – سبحانه – الى تقرير ذلك فى كتابه الحكيم ان يكون للقصص شـأن فى ايضاحه

بأسلوبه التصويرى ، فاختار من أنباء الأمم ، والأفراد ، والطوائف ، والجماعات ، مثلا تطبيقية لما أوجز من أصول تلك المقاصد ، والمبادىء ، والسنن ، وساقها فى صورها التى شهدها الواقع ، ومثلتها تجارب الناس ، فكانت هى قصص القرآن الذى نعرض اليوم لبيان بعض جوانبه ..

ذلك مكان القصص من القرآن ، وتلك مهمته ، فهو ليس يسير المئونة كالذى يعهده الناس من قصصهم المألوف ، فهو القرآن مصورا فى مثل ، فاذا قرأته ، قرأت النواميس فى قصص ، والعبر فى سير ، والمبادىء فى تاريخ ، والعلم والحكمة فى أحداث .. وكنت بازاء ديوان من الأنباء ، تتمحص به العزائم ، وتتحرج به الضمائر والأفهام على أصدق حقائق الحياة .. ولأمر ما يقول سبحانه : ((**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**)) ، وحسبك من قصص كان من شأنه تثبيت أكمل الناس ايمانا ، وأرجحهم ميزانا ، محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ـ ٣ ـ

ومن أجل هذا التزم القرآن الكريم الايجاز الدقيق ، وترك الاطالة فى تفصيل الحوادث وذكر الجزئيات ونحوها مما لا يتعلق بجوهر العظة ، فقد قلنا ان القرآن ليس كتاب قصص ، وتلك الاطالات انما يعمد اليها أهل الفن لتصوير البيئة المكانية ، أو تهيئة الذهن بذكر الملابسات ، أو ادماج القارىء فى تجربة من التجارب .. الى غير ذلك مما تقرره لهم أصولهم الفنية ، دون أن يترتب على حذفه نقص شىء من موضوع القصة ..

ان المقصود هو سياق عبر القرآن فى صورة واقعية ، فالاكتفاء منه بالقدر الذى يحقق الهدف هو الحكمة التى يقتضيها المقام ، أما الاطالة بغير ذلك فخروج بالقرآن الى طبيعة كتاب آخر ، وهيهات ان يتسع كتاب فى مثل صفحات القرآن لقصة واحدة من قصصه الخطير اذا أرسلت على نسقها الفنى المعروف ..

واذ وكل الى الايجاز الدقيق أن يعرض أجل المعانى وأخطر الحقائق ، كان حقا على مرتاد قصص القرآن أن يحشد له كل ما لديه من طاقات التدبر والتنبه ، والا مضى وليس له من التلاوة سوى حظ الغفلة عما ذخر له من نفائس الخير والحكمة ..

وكم قرأ القراء قصة فرعون ـ مثلا ـ فلم يجدوا فى قطاعاتها المختلفة سوى لذة التفكه بسرد أنباء الغيب ، وحوادث التاريخ فى قصة طويلة تنتهى بغرق الطاغية ، ولكنك بنفوذ بصيرتك جدير أن ترى فى قطاع واحد منها ما يملأ المجلدات شرحه وتفصيله .. انك جدير أن تتبين فى موقف فرعون من الرجل المؤمن بسورة غافر طبيعة الحكم المطلق وأثره فى اهدار مصالح الأمة ، وتبديد طاقات الشعب ، فان النظم الكريم يكشف لنا فى ذلك عن حقيقتين متميزتين :

يكشف لنا فى أمر فرعون عن لب طباع كل طاغية دكتاتور ، فهو عدو حرية الرأى ، اذ يعلن ذلك لقومه بقوله :

((**ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد**)) فهو لا يذهب فى عداء حرية الراى الى كم الأفواه واعتقال الألسنة فحسب ، بل يذهب الى الحجر على العقول نفسها أن تفكر الا بعقله هو ، ولا يسمح لها أن ترى فى أمر من الأمور الا ما يرى هو ، على حد ما قال : ((**ما أريكم الا ما أرى .. وما أهديكم الا سبيل الرشاد**)) .

ويكشف النظم الكريم عن الحقيقة الأخرى ، اذ يكشف عن ((طبيعة الحكم الفاسد)) ببيان الاهداف التى تدار عليها أجهزة الدولة حين يتولاها مثل ذلك الفارغ ، فيختار القرآن مثلا عجيبا نرى به المدى الذى تهدر فيه مصالح الأمة فيما لا طائل وراءه الا مرضاة غرور الطاغية ، وذلك اذ يقول فرعون لرئيس دولته ((**فأوقد لى يا هامان على الطين ، فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى**)) . ((**يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب ، أسباب السموات فاطلع الى اله موسى**)) .. فهو لا يذهب فى فساد الحكم الى اهدار مصالح الأمة فحسب ، ولا يقف عند تحقيق رغباته ورغبات شيعته فى جمع المال وحيازة الثروات فقط ، بل يذهب فى جنون سيطرته وتفاهة كبريائه مبددا طاقات الأمة الفكرية ،

والعلمية ، والفنية ، وامكاناتها المادية حتى يبلغ مدى لا شأو بعده لتفاهة أو جنون .. وليست اقامة بناء شاهق يذهب به الى أسباب السماء ليبحث هنالك عمن عساه ينازعه عبادة الخلق الا صورة التفكير الذى أفلت من زمام الحق ، والاهداف السلبية التى تدمر بها معنويات الشعوب ..

ولا شك ان الشعب يفقد بذلك القدوة الصالحة ومناهج التوجيه السليم ، فلا يكون له من أثر فى تربيته الا تفريغه من كل مزية ، فيصير فى خفة غثاء السيل ، يتوجه ، ولا يوجه ، ويحمله التيار الى حيث يريد ، والتيار هنا هو ارادة الطاغية ، والله سبحانه يصور ذلك بقوله : « فاستخف قومه فاطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين » .

ونرى خفة وزن الشعب فى خفة أهدافه ، وتفاهة غاياته ، اذ انحصرت قيم الحياة فى تفكيرهم واحلامهم فى اعراض المال ، وجاه القرب من السلطان .. وذلك ما نلمحه فى محاورة تبدو كأنها عابرة لملء فراغ فى جو القصة ، ولكن حاشا لله أن يكون فى كلامه الذى فصله على علم مكان لمثل ذلك ، فانه العرض الدقيق للأهداف التى ربى عليها الشعب ، وذلك اذ يقول السحرة لفرعون : « **أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ؟** » قال « **نعم وانكم اذا لمن المقربين** » .. فالأجر أو المال هو الهدف المرموق بين طوائف الشعب المحروم المكدود .. ويعرف فرعون ذلك فيطمئنهم عليه ، ويضيف اليه هدف القرب والجاه الذى لا يناله كل من رامه ، فيقول : « **نعم ، وانكم اذا لمن المقربين** » .. فالأمر دائر بينهم وبينه على ما ربوا عليه ، والفته البيئة من هوان الأهداف ورخص الغاية ، وذلك بعينه هو أعراض ما تصاب به الشعوب والحضارات من انحلال وتحطم .. وهو الذى عناه الحق - سبحانه - بقوله : « **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** » ، فان حجرا واحدا فى مصر لم يلحقه دمار ما مما ألحقه - سبحانه - بصنيع فرعون ، انما هو الدمار المعنوى الذى يلحق الشعوب حين تبتلى بقيادة خاطئة تفرغها من طاقاتها المبدعة ، وتدعها قشورا تافهة لا روح فيها ..

ذلك قطاع من القصة نتبين به أصولا فى فلسفة الحضارات وبناء الشعوب تكفلت بها موسوعات علم الاجتماع ، ولعلنا عرضنا به مكان قصص القرآن من القرآن ، وعرضنا مهمته ، ونهجه فى السياق والايجاز ، وتبين انه ليس ضحضاحا يسير المئونة كالذى نعهد فى القصص العادى « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » .

- ٤ -

على أن قصص القرآن اذ خلا من الاطالات الفنية وغير الفنية ، لم يتخلف اطلاقا عما يقتضى المقام بيانه من الجزئيات الضرورية اذ جعل التصوير الفنى سبيله الى عرضها ، ولكن فى ايجاز دقيق يغنى عن الصفحات ، فانه ليذكر العبارة ، بل الكلمة ، الواحدة فى سياق القصة فاذا هى تعمل فى خيال القارىء وفى لبه ما لا يدركه أبرع القصاصين بمختلف حيل الاثارة والتنبيه .. وكلنا يعرف قصة ابراهيم - عليه السلام - يوم كسر اصنام قومه ، فأرادوها له محاكمة جامعة ، يحضرها عامة الناس وخاصتهم ، بحيث يكون هو بمنظر ومرأى من الجميع ، ليعرفه منهم من سمعه يتوعد الآلهة فيشهد عليه .. ويراه منهم من يراه فى معرض المخذول الذى يتلقى جزاء تمرده على الآلهة ، فتقر عينه بالانتقام لقدسية العقيدة ، ويراه منهم من كان على مثل رأيه ، فيزجره سوء المصير عما هو عليه.. فكيف صور القرآن ما أرادوا لذلك كله من هيئات ظاهرة ، وأغراض فى الذهن والضمير؟ « **قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون** » ، فاختصر ما هنالك من مقدمات ومناقشات عن يوم الجمع ومكان المحاكمة ، وأراك الصورة حية جياشة بمختلف الانفعالات والمشاعر ، وقد أدرج فيها ما كان هنالك من مناقشات ومقدمات ، وانظر قوله : « **فأتوا به على أعين الناس** » فانها تريك ابراهيم وقد برز للجمع فى مكانه الواضح ، وتريك طوائف الجمع وقد تحولوا الى أعين مثبتة فى اهتمام

على ذلك الفتى العجيب .. وتأمل كلمة «**على**» فى قوله « **على أعين الناس** » فانهـــا مركز الاعجاز فى التعبير والتصـوير ، اذ جاءت « **بالاستعلاء** » الذى يتمـكن من كل عين ، ويريك انظار الجمع مشدودة الى هـدف واحد .. وهى دقة عجيبة فى بيان طبيعـة الجمع الذى حشد لمثل هذا الغرض بأوجز لفظ ممكن فى وضـوح لا يبلغ شأوه أبرع الفنانين فى صفحات وصفحات ..

وكلنا يعرف قصـة موسى مع الخضر — عليهما السلام — ويعرف شأن القـرية التى ابت أن تضيفهما « **فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه** » .. ولولا كلمـة « **يريد أن ينقض** » ، لولا اسناد الارادة الى الجـدار ، لاحتجنا الى من يصف لنا قدم هذا الجدار ، وما عراه من البلى حتى تفتتنت لبناته، ونخر السوس خشبه ، فلم يبق منه الا معـالم لايمسك بعضها بعضا الى آخر ما لدى محترفى البرقشة وتزيين الالفاظ باسم الادب والبيان .. وما كان شىء من ذلك يبلغ من وجدانك بعض ما تبلغه كلمة « **يريد أن ينقض** » .. فالجدار قد طال به العمر ، وانتابته العلل ، وحنته السنون فهو « **يريد أن ينقض** » .. ان اسناد الارادة للجدار ، اعجاز فى التعبير ، وشأو فى التصوير ، يبعث الحياة فى الجماد ، ويرد صداها فى الحس الآدمى ، فاذا هـو يشعر بما يشعر به الجدار .. وهيهات أن يبلغ قصاص او اديب بعض هذا الشأو بكلمة واحدة منه او بما شاء من كلمات .

واننا لنعرف قصة أصحاب الجنة — اى الحديقـة — فى سورة « **ن** » « **اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنـــون** » .. وتواطئوا انيكتموا عزمهم على جنى ثمارها ، حتى لا يشعر بهم مسكين ، فيدخلها سائلا شيئا من فضل الله .. ولقد كانوا فى تدبيرهم هذا ، والله من ورائهم محيـط ، فاذا بهم يفاجئون بحديقتهم قد أحيط بثمرها فأصبحت كالصريم .. وشاهدنا فى القصة ذلك التصوير الفنى الرائع الذى يصور لك القوم فى طريقهم الى ما عزموا عليه « **فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** » فانك تشعر ان كلمة « **يتخافتون** » قد أرتك القوم وقد لفهم غبش الصبح كأنما يمشون فى حذر على أطراف أقدامهم ، وقد أخذ يوصى بعضهم بعضا فى همس خافت ، حذر أن يفطن اليهـم من لا يريدون .. كلمة واحدة فى مقطعها بعثت الحياة ، ورسمت الأشباح ، وأبانت عن مكنون السرائر ، وأرتنا حركات الحذر فى خفة الخطو ، والاصابع على الأفواه تحبس الهمس ، وتطلب المخافتة .. وليس من التعصب للقرآن اذا قلنا ان أبرع القصاصين لينقطع عجزا عن مستوى هـذه الصورة الدقيقة الرائعة التى رسمتها كلمة واحدة ، ولو حشد لها ما حشد من صـور الشعر والخيال ..

— ٥ —

ومن الفروق الأساسية الواضحة ان المراة فى القصص العادى ، عنصر أصيل لا بد منه عادة فى كل قصة طويلة أو متوسطة .. أما القصة فى القرآن فالمراة غير ملتزمة فيها .. فقصة نوح ، وهود ، وصالح ، واسماعيل ، وأصحـاب الكهف ، وذى القرنين ، وداود وغيرهم لم تدخلها المراة ..

ولكنها قد دخلت فى بعض القصص مدخلا كريما فى غير افتعال أو تكلف ، لتكون مظهر آية من آيا تالله وقدرته فى عجائب الخلق .. فامراة ابراهيم — عليه السلام — ، ومريم ابنة عمران ، وام موسى واخته ، مكانهن معروف فى القصص الذى دخلن فيه ، فقـد ولدت العجوز العقيم من زوجها الهرم بعد أن امعنت فى سن الاياس .. وحملت العذراء الحصان بدون رجل على غير المعهود فى سنن الحمل والولادة .. وسعت اخت موسى باحثة عنه ، لتقول لآل فرعون « **هل أدلكم على أهل بيت يكفاونه لكم ، وهم له ناصحون** » .. ليقيم الوليد وامه فى كنف الطاغية ولتتم كلمة الله ، فيرعى الطاغية بنفسه فى داره ، ما يحـذر من اسباب بواره وهلكته ..

اما علائق الجنس ، والتخوض فى آثامهـا على ما هو معروف فى القصص العادى ، فقد تنزهت عنه قصة القرآن ، وبرئت منه ، لأن

الله يكره أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا، بل يكره للمؤمنين أن يستمعوا الى أنبائها، ويسن لهم أن يردوا ما يجيئهم من اشاعاتها، قضاء عليها، وتنزيها للمجتمع أن يستمرىء ترديدها أو يترخص فى تأثيم ذويها ..

وحين دخلت امرأة العزيز فى قصة يوسف — عليه السلام — انما دخلت لاثبات مدى ما يحرز الشاب من حصانة عن الاثم، اذا هو اعتصم بايمانه بالله بازاء الفتنة التى تدعوه الى الجمال والمال والجاه .. **((معاذ الله، انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون)) ..** ولقد عرضتها القصة، فى مثال من أذلها شبق الشهوة لرقيقها الخادم، حتى طرحت عن نفسها كبرياء المرأة، وراحت تهدد فى جنون من طاشت الغلمة بحلمه **((ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)) .**

فلا يكون منه الا أن يلوذ بربه **((رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه))** .. ويدخل الشاب العفيف السجن وكل جريمته انه لم يقبل الجريمة .. فلما أرادوا أن يفرجوا عنه، قال لا .. لماذا أنا هنا .. وتتم القصة الزاجرة أن تقبل المرأة فى هوان الخاطىء، وانكسار النادم، لتعلن: **((الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه، وانه لمن الصادقين)) ..** ويكون فى ذلك كمال القدوة لكل شاب يبتغى معالى الأمور .. وكمال الزجر والردع لكل امرأة تحاول أن تبذل عرضها، وتخون أمانتها .. وما أبعد هدف القرآن فى ذلك، عن هدف سواه .

وقد دخلت المرأة فى قصة سليمان — عليه السلام — ، وكان عليها أن تؤمن بالله، فتنقذ نفسها وقومها والا زحف عليهم بجنود لا قبل لهم بها يذيقونهم الصغار والذلة .. ولسنا ندرى لماذا أجرى سليمان — عليه السلام — لتلك الملكة اختبارا من اختبارات الذكاء .. وأثار فيها غريزة الانثى ؟.

لعله افترض استعصاء الملكة عن الايمان .. وأراد فى الوقت نفسه أن يحقن الدماء بما يحقق دخول الجميع فى الايمان بالله .. وهل يتسنى ذلك الا أن تصير الملكة زوجا له ؟ وهل يعقل أن ترفض تلك الملكة ملكا أتاه الله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ؟.. ولكنه — عليه السلام — يريد أن يعرف قبل ذلك ما لديها من ذكاء، فكان ذلك الاختبار الطريف: لقد أحضر عرشها الذى تركته وراءها فى بلادها البعيدة، وقال لمن معه: **((نكروا لها عرشها، ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون))** أى غيروا لها معالم هذا العرش .. فلما جاءت عرضوا عليها العرش وقد نكروه لها، فغيروا معالمه بالزيادة والنقصان، وقالوا لها **((أهكذا عرشك ؟))** .. ودهشت للمفاجأة وأسعفها الذكاء اللماح، فلم تقل: انه هو .. لأنها تركته وراءها فى بلاد بعيدة .. ولكنها فى الوقت نفسه لم تقل انه ليس عرشى، لأنها تراه بكثير من معالمه وصفاته .. ولم تقل لا أدرى، لأنه غباوة وبلادة ذهن .. فخرجت من هذا السؤال المحرج، بهذه الاجابة الكيسة اللبقة، التى ما كان يصلح للموقف غيرها .. فقالت: **((كأنه هو))** .. واطمأن سليمان الى هذا الذكاء، وأراد أن يخرج ضيفته من تزمت الملك، ليلفت فيها اليه غريزة الأنثى، فوجهها الى الصرح الذى تأخذ زينته وحلاه بلب الأنثى .. وشهدت الضيفة منظرا عجيبا .. انهم يقولون لها: **((ادخلى الصرح))** ولكنها لا ترى أمامها سوى لجة من الماء، فتضطر أن تكشف عن ساقيها لتخوضها .. وهنا يقول لها عليه السلام: انها ليست لجة **((انه صرح ممرد من قوارير))** تنعكس منه الأضواء على أرضه البلورية، فتعطى منظر الماء .. وهنا تنتبه غريزة الأنثى، وتفطن لما يريد سليمان، وتحس بقلبها يتحرك فى صدرها حبا لله، وحبا لسليمان .. ولم يكن مما يعبر عن احساسها ذلك أن تقول أسلمت لله رب العالمين .. بل **((اسلمت مع سليمان لله رب العالمين))** فان اعلان الاسلام، بدون اعلان تلك المعية، لا يعبر عن حقيقة وجدانها الذى يشغل سليمان حيزا كبيرا منه، فكان اعلان تلك المعية هو المقتضى الذى يطلبه المقام لصدق التعبير عن تلك التجربة الوجدانية **((رب انى ظلمت نفسى، واسلمت مع سليمان لله رب العالمين)) ..**

ذلك طرف من حديث المرأة فى قصص القرآن الكريم، وطرف من أدب هذا القصص عامة، والى اللقاء لتكملة الحديث .

الإسلام والنظام التعاوني

بقلم

الدكتور محمد غلاب

اذ نقبنا عن الظاهرة العـــامة التى تقلق الضمير العالمى فى هذا العصر ، ألفينا أنهـــا هى الدخل بلا مشقة أو الربح بلا عمل ، وذلك القلق ناشىء من أن الفطرة الشـعبية لاتعنى بتفهم المشكلات النظرية ، ولا تأبه للاصلاحات الاجتماعية ، وانما هى تتوق الى أمنية أساسية مجملها وجود حالة اقتصادية تنتهى بأن يتجاوب كل دخل مع خدمة واقعية تؤدى الى المجتمع ، وأن تكون موازية لذلك الدخل ، لأن هــذه الفطرة تشعر بعزة العمـــل الذى اعترفت المجتمعات أخيرا بأنه خير وظائفها ، وانتهت بأن تنزل فى هذا عند هدى القرآن الذى سجل الاتجاه الفطرى لهذه الظاهرة قبل أن تمنـح جهود علماء الأخلاق والاجتماع الصدارة فى الأهمية للعمل بزمن طويل اذ يقول : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب ممـــا اكتسبن » .

وكذلك جعلت الفطرة البشرية تحس بمهانة التبطل بعد أن كان موضع فخر ومباهاة وقد نشأ ذلك الانزعاج لدى الضمير الاجتمــاعى من أن تقدم الديمقراطية السياسية الذى فتح أمام العقول أبواب المثل العليا للعدالة ، لـم يتبعه تقدم للديمقراطية الاقتصادية يتناسب معه ، اذ أن العالم لايزال حتى الآن يرزح تحت نير نظام اقتصادى مستبد تستنده الرأسمالية المجاملة التى عرفت كيف تداهن الديمقراطيـة السياسية وتهادنها حتى جعلتها بالنسبة اليها سلبية ، بل شلت سلطانها عن مناضلتهـا ، وصيرت قواعدها الخاصة بالمساواة غير منتجة ، وما أبدع السخرية المرة التى يصور بها «أناتول فرانس» هذه الحالة اذ يقول :

« أية مدعاة للفخر بل للكبرياء أن يكون المرء مواطنا فى دولة رأسمالية ، فذلك ينحصر بالنسبة الى الفقراء فى أن يحتفظ الأثـرياء بقوتهم وتبطلهم ، وأن يلزم أولئك الفقراء بأن يعملوا أمام المساواة القانونية الجليـلة التى تحظر على الأثرياء والفقراء أن يناموا فوق المعابر ، وأن يتسولوا فى الطرقات وأن يسرقوا الخبز وهل يعقل أن يأتى الأثرياء واحدة من هذه الهنات الثلاث ؟ الحق أنها مساخر تشير الى

العبث بالقانون فى ظل الاستبداد الاقتصادى تحت بصر الديمقراطية السياسية وسمعها .

ومن هذا يتبين أن جزءا كبيرا من العالم لا يعيش فى نظام ديمقراطية اقتصادية كما يتبادر الى ذهن ذى النظرة السطحية ، بل هو يرزح تحت عبء ملكية اقتصادية مرهقة تسود فيها الرأسمالية العمل وتخضعه لسلطانها متحدية بذلك الأخلاق كما عبر عن هذا الوزير الفرنسى جودار فى مؤتمر براغ المنعقد فى سنة ١٩٢٤ حيث قال :

« ان الثروة تنشأ فى الوقت الراهن من أثر عاملين اثنين وهما رأس المال والعمل ، وان رأس المال هو المادة والعمل هو الانسانية ، وان من مجافاة الأخلاق الى أبعد حد ، أن تفضل المادة الانسانية وتسودها . »

من هذه النظرة الدقيقة اقتبست النظريات الاشتراكية جوانبها الاجتماعية والأخلاقية التى تبدو جلية فى اهتمامها بأن يكف العامل عن أن يكون آلة سلبية ، لكى يرتفع تدرجيا الى دور الموجه المدرك المسئول عن عمله الشخصى كما حدث ذلك ويحدث فى بعض البلاد العربية ذوات الاتجاهات الاشتراكية ، وكما بدأ ذلك ينمو وينتشر فى مصر بفضل الوثبة القوية التى خلقتها ثورتنا الحاضرة

ومما هو غنى عن البيان أن هذا النمو الذى نشاهده فى النشاط والأهلية لدى العمال المعنيين بتثبيت أفضل الانظمة الاقتصادية معتمدين فى ذلك على أنفسهم ، لا مدفوعين بعوامل الضغط أو الاكراه ، كان هو أساس الجمعيات التعاونية الخاصة التى عندما تنتشر فى جميع أنحاء البلاد تنتج نظاما اشتراكيا تعاونيا . ولا جرم أن هذا النوع من الأنظمة هو الذى يلتئم مع طبيعة بلادنا ، وهو الذى لم يكد يظهر فيها حتى استقر وتثبت ، وبدأ ينتج أروع الثمار ، ومن ثم فان الجمعيات التعاونية بهذا العنوان تستحق أن نلقى شيئا من الضوء على فوائدها العملية والأخلاقية والاجتماعية التى تظفر كل يوم من التقدير العالمى بقسط لايستهان به . واليك شيئا من هذه الفوائد .

مما لاريب فيه أن الجمعيات التعاونية على اختلاف صورها ، تهدف الى غاية أساسية واحدة وهى الغاء الوسطاء ، والربط المباشر بين المنتجين والمستهلكين أو بين الذين لديهم أموال يريدون توظيفها ، والذين هم فى حاجة الى الاقتراض ، أى بين جميع من تصل بينهم الحاجة المتبادلة بهيئة مباشرة تستهدف الاقلال من الوساطات بقدر المستطاع ان لم تتمكن من محوها نهائيا ، اذ أن الجماعات الرأسمالية الاحتكارية المتعارضة مع النظام التعاونى ، تتطلب بالطبيعة من أعضائها - رغم احتياج بعضهم الى بعض - اقامة أنواع من الحواجز السميكة التى تحول دون اتصالهم أو تعكر صفاء هذا الاتصال على أقل تقدير ، بل قد يصل الجشع بهم الى أن يحجب عن عيونهم فوائدهم الشخصية ولا يترك بينهم الا أحاسيس الخصومة والكراهية ، بينما أن النظام التعاونى لايكتفى بأن يربط ربطا مباشرا بين الذين قد تتعارض مصالحهم كالمنتجين والمستهلكين والمقرضين والمقترضين والملاك والمستأجرين بل هو يتجه الى أن يزيل كل الفرص التى تؤدى الى النزاع بالعمل على تعويض مصالح الطوائف المتباينة التى ظلت الى عهد نشوء النظام التعاونى ، سببا فى الخصومات والمنازعات .

هناك فائدة أخرى للنظام التعاونى وهى الانتهاء الى هذه النتيجة القيمة التى تحد من وحشية الأنانية حين تسمح للضعفاء بالاستفادة من انتاج الأقوياء . وذلك فى نظر الأخلاق من أجمل ثمار التماسك الانسانى وهو أساس النظام التعاونى الذى شعاره : **« الفرد للمجموع والمجموع للفرد »** .

الحق أن تلك النتيجة القيمة التى تسمو بالانسانية الى تحقيق فضيلة الغيرية هى فى النظام التعاونى واضحة لكل ذى عينين ، بل هى احدى مميزاته الرئيسية . نعم ان كل الذين اتصلوا بالجمعيات التعاونية يعرفون أنها لاتستطيع أن تخصب وتؤتى أكلها فى رغد الا اذا كانت على رأسها شخصية أو شخصيات قوية تنجح مشروعاتها . ونعم أيضا أن تلك

الشخصيات القوية لو أبدت نشاطهـــا فى ظل النظام الرأسمالى ، لكان من الراجح أن ينجح وأن ينتج خير الثمار ، ولكنها كانت هى التى ستستفيد وحدها من تلك الثمار ، بينما ان تلك الفائدة - فى ظل النظام التعاونى - ستقسم بين عدد كبير من الأفراد المتوسطين الذين لولا تلك الشخصيات لهووا بين براثن الفاقة والشقاء .

على أن هذه المبادىء قد لاتتفق مع الفكرة العامة التى يتمثلها السواد الأعظم من الجماهير عن العدالة التى تنادى بأن لكل شخص الحق فى الاحتفاظ بكل نتائج أعماله ، ولكن التربية التعاونية قد بلغت من السمو والبعـــد عن الأنانية الفردية الى حد أنهـــا تعلن أن تلك النتائج الاجتماعية العالية تدفع أولئك الأقوياء المتعاونين الى الاعتزاز بأفعـــالهم ، وتجعلهم يشعرون بالغبطة والسعادة لأنهم هم الذين ظفروا بالنجاح للمجموع ، وبأنهم يشـعرون بكونهم صاروا دعائم أساسية فى ذلك البناء الاجتماعى العملاقى الذى أقيم بفضل التعاون فى الخير والصالح العام لا فى البناء الدميم البشع الذى هو نتيجة الأنانية أو التعاون فى الشر الذى يضر ويؤذى دون أن ينفع ويسر

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـاونوا على الاثم والعدوان » « المؤمن للمؤمن كالبنيـان يشد بعضه بعضا » .

غير أنه اذا كانت جماهير المساهمين فى الجمعيات التعاونية ، لاتطالب الا بوسـائل العيش الميسور الكريم ، ولا تنتظر من النظـام التعاونى أكثر من ذلك ، فان الصفوة المثقفة تتوقع من هذا النظام شيئا آخر أسمى وأدخل فى باب الانسانية المهذبة ، وهو تحقيق أكبر قسط من العدالة فى جميع العلائق الاقتصادية عن طريق التقييم الدقيق لجميع السلع موضع البيع والشراء والمبادلة ، وتثبيت تلك القيـم بصورة منزهة عن الشبه والشكوك بعـــد تجريدها من التطفيفات والنوافل التى تنـوء بها فى ظل النظام الرأسمالى .

وعلى هذا النحو تستجيب الجمعيـــات التعاونية لنداء القرآن الذى يدعو فى هـــذا كما فى غيره ، الى الحقيقة والعدالة والاعتدال والقناعة ، ويأمر بهذه الفضائل كلها فى جميع العمليات التجارية والاقتصادية بوجه عـــام اذ يقول :

« يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »

ومما لايخفى على ذى لب من العارفين بأسرار التشريع الاسلامى أن التجارة المغالية الجشعة هى نوع من الربا ، أو هى تأخذ حكم الربا فى أوضح صوره ، وبالتالى هى تدخل ضمن النهى الصريح العنيف الوارد فى هذه الآية الكريمة:

«يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنـوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون »

ومما لاتنبغى الغفلة عنه فى هذا الصدد أن هذا الختام البديع الذى ختمت به الآيـــة : « **لاتظلمون ولا تظلمون** » مشتمل على اشارة لبقة الى أن المغالاة فى ربح البيع - فضلا عن انها تحوله الى ربا - هى ظلم « **والله لا يحب الظالمين** »

ومن هذا النوع أيضـــا الغش فى الوزن والكيل وما الى ذلك من ألوان أكل أموال الناس بالباطل أيا كانت صوره ومظاهـره ، لأن الصور والمظاهر لاتظفر من التقـــدير الالهى بشروى نقير ولا وزن قطمير ، وانما المعتبر هو الحقيقة الواقعية والنيات التى تسـبقها وفى هذا يقول القرآن « **والسماء رفعها ووضـع الميزان ألا تطغـوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** » « **ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يسـتوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** »

من هذا يتبين أن تحقيق التقييم الصحيح للمبيعات والمشتريات ، وعدم الافـــراط فى الربح ومحو الاستغلال ، والغاء الغش والظلم على اختلاف صورهما ، وابعــاد التحايل فى المعاملات واستعمال الاعتدال والرحمـــة بالمقترضين ، كل ذلك هو معنى التعاون الذى أمر به القرآن وهو أعز أمنيات الاشتراكيين

العدول المعتدلين فى ماضى العصور وحاضرها

ومما يسترعى الانتباه فى هذا المجال أن النظام التعاونى – الى جانب فوائده الاقتصادية والاجتماعية – هو تقدم ملحوظ فى الطريق الاخلاقى لانه كفاح مجيد فى محو الكذب والغش ، ولأن مايدعو اليه من الاعتدال ينتهى الى القضاء على الربا وتخفيف الضغط عن المقترضين ، وهذا يستلزم انقاذهم من الفقر ، ويقتضى تفتيت الفوارق بين الطبقات ، وبالتالى يقضى على الأحقاد والحفائظ بين المواطنين .

كل ذلك يتضمن الدنو من نهاية سلطان المنفعة الشخصية بوصف أنها هى العامل الأول أو الوحيد للنشاط الاقتصادى ، واستبدالها بدراسة حاجات المجموع ، والمبادرة الى ارضائها

أما مصرفنا الزراعى التعاونى « أى بنك التسليف الزراعى التعاونى المصرى » فانه قد ارتفع الى درجة اجتماعية يغبط عليها وقطع فى الطريق الأخلاقى شوطا بعيدا بفضل توجيه السيد رئيس الجمهورية الذى يقضى بتطهير قروضه من الفوائد والذى جعله فى هذه النقطة يلتقى بتعاليم القرآن التى تهدف الى أن يكون القرض مساعدة وعونا لا استغلالا وانتهازية وفى الحق أن هذا التوجيه السليم قد سما بمصرفنا على أرقى مصارف أوروبا وأمريكا وأشدها تباهيا بالتعاون .

بعد هذا كله نستطيع أن نجزم بأن النظام التعاونى – من بين جميع الأنظمة الاصلاحية الاجتماعية – يمتاز بطابع خاص اذ هو فى الوقت ذاته جد مثالى وجد عملى كما يقول العالم الاقتصادى الفرنسى شارل جيد : « انه ينقب عن الطائر الأزرق « وهو رمز المثالية » ولكنه بدلا من تعقبه اياه فى جزر وهمية – هو يحبسه فى حانوت ، انه يهدف الى اصلاح العالم ولكنه لتحقيق ذلك يبدأ بالتنظيف أمام بابه « أى يبدأ بتطهير المجتمع من المرابين والوسطاء والغشاشين والنهازين والمحتالين ومن اليهم » ، انه يتجه نحو النجوم « أى نحو المثالية » ولكنه ينظر موضع قدميه على الأرض لكى لايتعثر فى سيره وهذا منتهى الحكمة والسداد » .

حول الدعوة الى استخدام
اللغة العامية في الكتابة

الدكتور علي عبد الواحد وافي

تبدو فى جميع البلاد العربية ظـاهرة الازدواج اللغوى · فالناس فى هذه البـلاد يستخدمون في تعبيرهم وتفاهمهم وتسجيل أفكارهم أداتين لغويتين : احداهمـا العربية الفصحى التى تدون بها المؤلفات والصـحف والمجلات وشئون القضـاء والتشريع والادارة ويدون بها الانتاج الفكرى على العموم ، ويؤلف بها الشعر والنثر الفنى ، وتستخدم فى الخطابة والتدريس والمحاضرات وفى تقرير المسـائل التى تمت بصلة الى الآداب والعلوم ، والأخرى اللغة العامية التى تستخدم فى الشئون العادية ويجرى بها الحديث اليومى · وكلتـا هاتين الأداتين تختلف عن الأخرى اختلافا غير يسير فى كثير من مظاهر أصواتها ودلالة ألفاظهـا وأساليبها وقواعدها وتصريف مشتقاتها ··· وما الى ذلك ·

ويبدو هذا الضرب من الازدواج فى نظـر بعض الناس بمظهر حالة شاذة لا يصح السكوت عليها وينبغى تدبير وسيلة لعلاجها ، وخاصة لأن احدى هاتين الأداتين ، وهى العربية الفصحى ، لا تنتقل من السلف الى الخلف فى سن الطفولة عن طريق التقليد كما تنتقل العامية ، وانما نتعلمها تعلما فى مراحل دراستنا كما نتعلم لغة أجنبية تقريبا ، ونقضى سنين طويلة فى سبيل الالمام بمفرداتها ومناهج أصواتهـا وقواعدها وأساليبها ، ولا يتاح لنا الانتفـاع بها على الوجه الكامل الا بعد أن نجتاز معظم مراحل التعليم ، واللغة كما نعلم وسيلة للتفاهم والثقافة والعلم ، لا غاية مقصودة لذاتهـا ، واضطررنا الى قضاء هذا الوقت الطويل وبذل هذه الجهود فى سبيل الالمام بالوسيلة يبدو فى نظر بعض الناس اسرافا كبيرا فى الوقت والمجهود وحالة شاذة ينبغى أن تتضافر الجهود على علاجها ·

ويقترح بعض الناس لعلاج هذه الحال أن نهبط بلغة الكتابة والآداب الى لغة الحديث ، فنستخدم اللغة العامية فى الشئون التى تستخدم فيها الآن العربية الفصحى ، ونقضى بذلك على هذا التعدد فى أداة التفاهم ، ونسير على الطريق نفسها التى تسير عليها أمـم الغرب ، ونذلل أمام جمهور الشعب سبل العلم والثقافة ، ونوفر على المتعلمين قسطا كبيرا من الأوقات والجهود التى يبذلونها فى الاحاطة بلغة غير اللغة التى انتقلت اليهم من آبائهـم فى مراحل الطفولة ·

ومن المنتصرين لهذا المـذهب الـكونت كرلودى لندبرج الاسوجى فى تقريره الذى تلاه بمجمع اللغويين فى مدينة ليدن سنة ١٨٨٣ ، واللورد دوفرين السياسى الانجليزى فى التقرير الذى رفعه الى وزير خارجية انجلترا بشـأن لهجة مصر العامية · ومن هؤلاء كذلك ولهلم سبتا (يك) الألمانى الذى كان أمينا لدار الكتب بالقاهرة (توفى سنة ١٨٨٣) ، وقد مهـد لتحقيق هذا المشروع باستنباط حروف افرنجية

تكتب بها لهجة مصر العامية وبتأليف كتاب ألمانى فى قواعد الصرف والاشتقاق التى تسير عليها هذه اللهجة . وقد كثر الداعون الى ذلك فى الوقت الحاضر فى كثير من البلاد العربية وبخاصة فى مصر ، وأخذ بعض أدبائنا يجرب تطبيق هذه الطريقة بالفعل ، فكتب بعض رواياته الأدبية باللغة العامية . بل لقد جنح الى هذا الاتجاه بعض قدامى الباحثين أنفسهم ومنهم العلامة ابن خلدون . كما يبدو مما كتبه فى مقدمته عن اللغة العامية للمجتمعات البدوية فى عهده اذ يقول : « اننا نجد هذه اللغة فى بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى (يقصد اللغة العربية الفصحى وهى لغة مضر) . ولم يفقد منها الا دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد . ومازالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب (يقصد البدو) ومذهبهم لهذا العهد . ولا تلتفتن فى ذلك الى خرفشة النحاة أهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربى فسد اعتبارا بما وقع أواخر الكلم من فساد الاعراب الذى يتدارسون قوانينه . وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم ، وألقاها القصور فى أفئدتهم . والا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الابانة موجودة فى كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة فى مخاطباتهم .. ولم يفقد من أحوال اللسان المدون الا حركات الاعراب فى أواخر الكلم فقط الذى لزم فى لسان مضر طريقة واحدة ومهيعا معروفا وهو الاعراب ، وهو بعض من أحكام اللسان .. ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد (يقصد اللهجات العامية المستخدمة لعهده فى المجتمعات البدوية فى التخاطب) واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها » .

وينطوى هذا الاتجاه على عدة أضرار بليغة :

فاللغة العامية التى يرى أصحاب هذا الاتجاه استخدامها فى الشئون التى تستخدم فيها العربية الفصحى لغة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها ، فلا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى ، وهى الى ذلك مضطربة كل الاضطراب فى قواعدها وأساليبها ومعانى ألفاظها وتحديد وظائف الكلمات فى جملها وربط الألفاظ والجمل بعضها ببعض . وأداة هذا شأنها لاتقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة . ولا عن حقائق الآداب والعلوم والانتاج الفكرى المنظم . لاأدل على ذلك من أننا فى حديثنا العادى نفسه كثيرا مانضطر الى استخدام العربية الفصحى حينما نكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وأفكار مسلسلة : لانفعل ذلك للمباهاة أو اظهار القدرة على التعبير الفصيح ، وانما نفعله مضطرين اضطرارا ، لأننا نرى أن العامية لاتسعفنا فى مفرداتها ولا فى قواعدها بما يضبط تفكيرنا وينقله نقلا صحيحا الى الأذهان - فاذا لم نجد أمامنا الا اللغة العامية نستخدمها فى جميع شئون تفكيرنا وتعبيرنا لتقطعت بنا أسباب الثقافة ، ونكصنا الى الوراء قرونا عديدة ، وقضى على نشاطنا الفكرى قضاء مبرما . لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية فى التعبير خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفاسف التأملات . فاللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير : فكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ، ضاق نطاق الفكر واختل انتاجه .

هذا الى أن اصطناع العامية فى الآداب والعلوم والكتابة من شأنه أن يحول ، عاجلا أو آجلا ، بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى المدون بالعربية الفصحى ، اذ تصبح هذه اللغة غير مفهومة الا لطائفة قليلة من خاصة الناس ، وهم الذين يتوفرون على دراستها كما يتوفر بعض علماء الفرنجة الآن على دراسة اللاتينية أو اليونانية القديمة . ولسنا فى حاجة الى بيان الكارثة التى تصيب الثقافة العربية

بضياع هذا التراث وعدم استطاعة الانتفاع به لمعظم المتعلمين ٠

وبجانب هذه الأضرار الثقافية والفكرية ينطوى هذا الاتجاه على ضرر قومى وسياسى بليغ ٠ فاللغة العربية الفصحى هى أهم دعامة تعتمد عليها القومية العربية ويشترك فيها أبناء العروبة ، ففى القضاء عليها قضاء على أقوى رابط يربط شعوب أمتنا بعضها ببعض ٠

وفضلا عن هذا كله ، فان اللغة العامية فى بلد ما غير ثابتة على حال واحدة ، بل هى عرضة للتطور فى أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها ٠ وتطورهاهذاسريع جدا ، حتىأننا لنجد فى العصر الواحد فروقا غير يسيرة بين عامية الشبان وعامية الشيوخ ٠ وتتسع هذه الفروق كلما تقادم العهد : فكثير من الكلمات والعبارات العامية التى استخدمها الجبرتىمثلا فى تاريخه والتى كانت متفقة مع لهجة القاهرة فى عهده ، قد أصبحت غريبة علينا فى العصر الحاضر ٠ فاذا فرضناأننا اصطنعنا فى الكتابة اللغة العامية التى نستخدمهاالآن ، فاننا لانلبث بعد وقت غير طويل أن نرى أنفسنا أمام المشكلة نفسها التى التجأنا فى حلها الى هذه الوسيلة ٠ وذلك أن لغةالحديث تتطور وسوف ينالها كثير من التغير فى أصواتها ودلالاتها وقواعدها وأساليبها ، ولن تزال كذلك حتى تبعد بعدا كبيرا عن لغة الكتابة ، فنصبح واذا بنا نكتب بلغة ونتخاطب بلغة أخرى ٠ فاذا صبرنا على هذا الازدواج ذهب كل ماعملناه فى هذا السبيل أدراج الرياح ٠ واذا أخذناعلى أنفسنا العمل على القضاء عليه كلما ظهر باستخدام الوسيلة التى استخدمناها فى المرة الأولى ، كان معنى ذلك أننا نضطر على رأس كل خمسين سنة أو كل قرن على أبعد تقدير الى تغيير لغة الكتابة بلغة أخرى ٠ وهذا هو أقصى مايمكن أن تصل اليه الفوضى فى شعب انسانى ٠

يضاف الى هذا كله أن اللغة العاميةتختلف باختلاف الشعوب العربية ، وتختلف فى الشعب الواحد باختلاف مناطقه ٠ فعامية العراق لايكاد يفهمها المصريون ولا المغاربة ، وعامية المصريين لايكاد يفهمها المغاربة ولا العراقيون وفى البلد الواحد تختلف اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس وباختلاف المناطق فعامية المنيا غير عامية سوهاج ، بل ان المحافظة الواحدة لتشتمل على كثير من المناطق اللغوية التى تختلف فيما بينها اختلافا غير يسير فالقضاء على الازدواج لايكون اذن الا بأن تصطنع كل منطقة ، بل كل مدينة ، بل كل قرية ، لغة كتابة تتفق مع لغة حديثها ٠ وبذلك يصبح فى البلاد العربية آلاف من لغات الكتابة بمقدار مافيها من مناطق ومدن وقرى ولا أظن عاقلا ينصح بمثل هذه الفوضى ٠ واذا لجأنا الى جعل لغة الكتابة فى العالم العربى كله مماثلة للهجة واحدة من اللهجات العامية الحاضرة ، كلهجة القاهرة مثلا ، فاننا بذلك لانكون قد قضينا على الازدواج الا فى منطقة واحدة من المناطق ، وهى المنطقة التى جعلنا لغة الكتابة متفقة مع لغة حديثها ، أما ماعداها من المناطق فستظل مشكلةالازدواج قائمة فيها وذلك أنها ستكتب بلغة غير اللغة التى يجرى بها حديث أهلها ٠ ولقد خيل الى بعض موظفى وزارة التربية والتعليم أن تعليم الأطفال الهجاء باللغة العامية أيسر من تعليمهم اياه باللغة الفصحى ، فابتدعوا طريقة سموها طريقة (شرشر) وألفوا كتبها باللهجة العامية السائدة فى منطقة القاهرة وضواحيها ، فجاءت مفرداتها وعباراتها غريبة على كثير من بلاد الصعيد والوجه البحرى ، وأشد غرابة على البلاد العربية الأخرى ، حتى ان الأطفال فى هذه البلاد كانوا لايفهمون عباراتها الا بعد أن تشرح لهم ويبين لهم مرادفها بلهجاتهم العامية هذا الى أن هذه الكتب كانت معول هدم لأهم دعامة تعتمد عليها القومية العربية ويستمسك بعروتها الوثقى جميع أبناء العروبة وهى العربية الفصحى ٠

على أن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث ينطوى على شيء من الشذوذ حتى نتلمس علاجا له ٠ بل هو السنة الطبيعية فى اللغات فاللاتينية القديمة مثلا كانت الى عهد قريب

لغة الكتابة فى فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال ورومانيا وجزء من بلجيكا وسويسرا بينما كان سكان كل بلد من هذه البلاد يجرى حديثهم بلهجة عامية متشعبة من اللاتينية القديمة ولكنها تختلف عنها اختلافا جوهريا فى أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها ، واختلافها عنها فى هذه الشئون قد بلغ فى العصور الحديثة مبلغا لايذكر بجانبه اختلاف لغاتنا العامية عن العربية الفصحى ، حتى ان الفرنسى مثلا الذى لم يكن قد تعلم اللاتينية ماكان يستطيع أن يفهم شيئا يعتد به من اللغة التى كان يكتب بها الناس فى بلده وهى اللاتينية ، وقد ظلت اللاتينية لغة كتابة لديهم حتى نضجت لهجات محادثاتهم وكمل نموها ، فاستطاعت أن تنحى اللاتينية عن وظيفتها وتحتل مكانها • فأصبحت الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية التى كانت لهجات عامية تستخدم فى المحادثة فحسب ، أصبحت لغات كتابة وآداب وقد تم ذلك حوالى القرن السابع عشر الميلادى • ولكن ظاهرة الازدواج القديمة لم تلبث أن انبعثت مرة أخرى • وذلك أن لهجات الحديث فى هذه البلاد التى كانت فى المبدأ متفقة مع لغات الكتابة فيها ، قدأخذت تتطور شيئا فشيئا ، وتنحرف عن أصولها الأولى ، بينما ظلت لغة الكتابة فيها جامدة على حالتها القديمة أو مايقرب منها. وبذلك أصبحت لهجات الحديث فى هذه البلاد تختلف اختلافا غير يسير عن لغات الكتابة • صحيح أن الفرق بينهما لم يصل بعد الى مقدار الفرق بين لهجات حديثنا والعربية الفصحى ، ولكن الهوة بينهما سيزداد اتساعها شيئا فشيئا حتى تصل هذه الأمم الى حالة شبيهة بالحالة التى كانت عليها وقت أن كانت لغة الكتابة فيها هى اللاتينية •

فاختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب ليس اذن أمرا شاذا حتى نتلمس علاجا له ، بل هو السنة الطبيعية فى اللغات : ولن تجد لسنة الله تبديلا

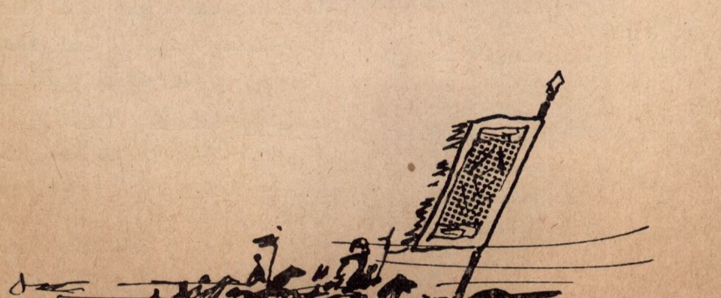

الأجنة

من آيات الله

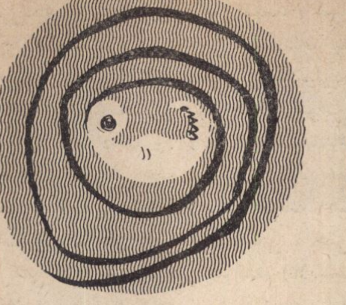

الأستاذ عبد الرزاق نوفل

أثبتت الدراسات العلمية ان كل تقدم وصل اليه العلم فى كافة قطاعاته انما سبق اليه القرآن الكريم ، بل ان ما جاءت به آياته الشريفة من حقائق علمية لم يكن العلم يعرف عنها شيئا اطلاقا . وتعتبر آيات الأجنة فى القرآن الكريم من أهم الادلة التى تثبت معجزة القرآن العلمية اذ أن العلم لم يصل الى الحقائق التى أوردها القرآن فى هذا الفرع من العلم الا بعد ان اكتشفت المجاهر واستخدمت الأشعة وتقدمت وسائل التشريح ولم يتم ذلك الا فى أوائل القرن الحالى فوصل العلم الى ما جاءت به آيات القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا وأفرد لها ميدانا خاصا به أطلق عليه علم الأجنة .

لقد أورد القرآن الكريم خطوات تكوين الجنين علميا فى مثل الآية الكريمة : ((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)) .

وأثبت العلم حاليا أن هذه هى حالات تكوين الجنين فعلا بعد أن صورت التطورات التى تمر بها النطفة الى أن يتكون الجنين ، كما سبقت الآية الشريفة **((يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث))** العلم بعشرات المئات من السنين اذ قرر العلم ان الجنين عند اكتمال نموه يكون محاطا بثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة وكذلك مكان وجود الجنين وغير ذلك مما سبق ايضاحه .

ومن ضمن آيات الأجنة التى وردت فى القرآن الكريم والتى لم يصل اليها العلم الا فى السنوات القليلة الأخيرة آيات ترتيب **خلق الحواس فى الجنين منذ ولادته الى أن يصبح طفلا ثم يكتمل** ، ففى جميع الآيات التى وردت فيها الحواس نجدها مرتبة ترتيبا خاصا مثل الآيات الكريمة : **((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)) ، ((وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)) ، ((قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)) ، ((ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)) ، ((ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)) .**

وهكذا فى كل الآيات الكريمة التى وردت فيها الحواس نجد السمع أولا ثم البصر ثم الفؤاد، فهل يا ترى أمصادفة هذا ؟ أم أن هذه الآيات تقرر بذلك حقيقة علمية لم يصل اليها العلم الا أخيرا ؟. وقد جاء بها القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان . .

ولقد أثبت العلم الحديث بالتجارب العلمية والأبحاث الطبية أن الجنين يولد وتبدأ

حواسه للعمل بعد ذلك وأول الحواس التى يستعملها الطفل هى حاسة السمع اذ أنها تبدأ مبكرا فيستطيع الطفل سماع الأصوات بعد بضعة أيام من ولادته وتزيد قدرته على تمييز الأصوات ويمكن فهمها عن طريق حاسة السمع فى الأشهر القليلة الاولى بينما باقى حواسه تكون معطلة تماما . أما حاسة الابصار فان الجنين يولد بدون هذه الحاسة ولا يمكن الرؤية الا بعد ولادته بمدة فشبكية العين لا يكتمل نموها الا بعد فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وستة ولا تتم الحركة كاملة فى أجهزة العين الا بعد تسعة أشهر حيث يمكن تجميع الألوان الاساسية وكذلك الأشكال .

أما الادراك والقدرة على الفهم وهو المقصود بالفؤاد فان ذلك كما يلمس الانسان فى نفسه وفى غيره لا تبدأ الا بعد سنوات عديدة من الولادة وتأخذ فى النمو باستمرار .. أى أن الجنين يستطيع السماع بعد ولادته بأيام ولكنه لا يرى الا بعد أشهر ولا يدرك الا بعد سنوات .. أليس هذا ما تقرره الآيات الشريفة من القرآن الكريم فى كل الآيات التى أوردت حواس الجنين وسبقت بها ما وصل اليه الطب الحديث فى آخر أبحاثه عن الجنين وحواسه ..

وكذلك الآية الشريفة ((**واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين**)) .. اذ أظهر العلم أخيرا اعجازها المحلى اذ قررت حقيقة علمية فى علم الأجنة لم يصل اليها هذا العلم الا أخيرا .. اذ ثبت ان الجنين عند تكونه فى الرحم تنبت الخصيتان فى ظهره عند أسفل الكليتين تماما وتستمران كذلك فى ظهره حتى أشهره الاخيرة وبعد ذلك تنحدران الى أسفل وعند الولادة تكونان فى مكانهما المعتاد فى الاطفال . وأحيانا يتأخر نزولهما ويولد الطفل وخصيتاه فى ظهره ويسمى فى هذه الحالة طبيا بذى الخصية غير النازلة .. وقد تنزل طبيعيا بعد ذلك وقد يستلزم الأمر تدخل الطب والعلاج . وكذلك عرف العلم أن مركز المبيض فى الانثى وهى جنين فى الظهر تماما وتحت الكلية .

وهكذا سواء أكان الجنين ذكرا أو أنثى فان مكان افراز الذرية فى الظهر تماما .. وهذا ما تقوله الآية الكريمة وتقرره فى الجنين الذى لم يولد ولم يعرف بعد ولم يكن العلم يعرف عن هذه الحقيقة شيئا الا بعد أن استخدمت الأجهزة والاشعة والتشريح وهذا لم يصل اليه العلم الا فى السنين الاخيرة .

وصدق الله العظيم الذى يقول عن قرآنه الكريم :

((**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**)) .

إحياء المفاهيم الإسلامية

الشهادتين

الدكتور عبد الحليم محمود

- ١ -

ان درجات المعرفة لاحصر لها ، وليس فى اللغة مايسد الحاجة فى التعبير عن كل درجة منها ، ولكن فى اللغة كلمات تعبر عن مراحل طويلة ، تبتدىء بالمعرفة التى تكاد تكون جهلا ، لتنتهى بالمعرفة التى هى اليقين الكامل ، وتبتدىء بالمعرفة السلبية التى لاتدفع الى العمل ، لتنتهى بالمعرفة الايجابية الفعالة .

وفيما يتعلق بمعرفة أن « لا اله الا الله » يمكن أن نورد بعض التعبيرات المتدرجة فى الرسوخ والثبات ، تبعا لتفاوت حالة الأفراد

فبعض الناس « يقول » لا اله الا الله ،
وبعضهم « ينطقها » ،
وبعضهم « يقتنع » بها
وفريق ((يؤمن)) بها ،
وثلة « تعتقدها » ،
وقليل « يوقن » بها ،
ولكن المثل الأعلى فى الاسلام ، أن « نشهد » أن لا اله الا الله .

((ونشهد)) : تلك هى ((ذروة اليقين)) أو على حد التعبير الصوفى « حق اليقين »

والوصول الى مرتبة « الشهادة » ليس بالأمر الهين ، ولكنه ليس بالمستحيل .

فاذا ماتاب الانسان الى بارئه ، وقتل نفسه وأحيا روحه ، وشرب من العين التى يشرب بها عباد الله ، والتى يفجرونها بأنفسهم : بالتوبة الخالصة ، وبماذكره القرآن من وسائل هذا التفجير اذ يقول شارحا هذه الوسائل :

« يوفون بالنذر ، ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا » ..

اذا ماأخلص الانسان التوبة ، وأناب الى الله ، ولجأ اليه : رق قلبه ، وصفت روحه : فيحدث له فى لحظات أن يغيب عن العالم ، وعما حوله وعن نفسه ، ويتلاشى كل شىء ، ويضمحل ويصير أثرا بعد عين ، أو هباء منثورا .. عند ذلك « يشهد » أن لا اله الا الله ، ويصير بذلك شاهدا ، ويصير بذلك شهيدا ، والشهيد من شهد

ومن « شهد » وهو فى هذا العالم ، أعرق فى صفة الشهيد ممن شهد أثناء الوفاة ، أو بعد الممات .

ومن «شهد » أن لا اله الا الله فقد رفعه الله اليه ، رفعه اليه وهو معنا فى عالم الكون والفساد . واذا مارفعه اليه بالشهادة صار ربانيا وامتنع عليه حينئذ أن يشرك بالله ، فأصبح أحديا ، أو أصبح من الموحدين

- ٢ -

والتوحيد : هو شهادة ان لا اله الا الله . وهو عقيدة وحالة . وليس هناك من صعوبة كبيرة فى أن يصبح التوحيد عقيدة . ولكن

الصعوبة كل الصعوبة فى أن يصبح التوحيد حالة .

ان نفى الشرك من أقوال الانسان وأفعاله مؤسسا ذلك على نفيه من قلبه ومن نفسه درجة لا ينالها الا الاقلون : وهم الذين تحرروا من رق المادة ، ومن عبادة الأوثان . ورق المادة وعبادة الأوثان هما من السمات العامة ، التى تسود البشرية فى مختلف ظروفها : يتمثل ذلك فى عبادة المال ، وعبادة الجاه . وما من شك فى أن الخضوع للشهوات وهى كثيرة ، انما هو عبادة لها . والانسان بطبعه يخلد الى الأرض ويتبع هواه ، وتستعبده الأرض ، ويستعبده هواه ، ويبتعد بذلك - وبمقياس درجة استعباده - عن الله سبحانه وتعالى . وكل خضوع لغير الله ، وكل عبودية لما سوى الله شرك بالله ، ان ذلك يتنافى مع التوحيد انه لاينسجم مع لا اله الا الله .

والشرك الخفى كثيرة ألوانه ، وصدق الله اذ يقول « **ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** » . « **ان الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم** » **فهؤلاء قلة** .

ومن الظلم فى الايمان ، أو الاشراك فى الايمان مثلا أن يتصدق الانسان للمراءاة ، أو للفخر ، أو يصلى ، أو يصوم غير ناظر الا للناس ، ومايقولون عنه ، وكل عمل صغر أو عظم ، لايراد به وجه الله ، وانما يراد به غيره ، فهو اشراك به سبحانه

- ٣ -

والتلبيسات الآن كثيرة وقد أتت بسبب الجانب الثقافى اللادينى من المدنية الغربية وقد تسربت الينا فى خفاء وغزتنا غزوا ، لاشعوريا ، وكان من أثر تردادها ، أن ألفناها وأصبح مايخالفها فى نظرنا باطلا ، واتسم الباطل بذلك بسمة الحق ، وانعكست الآية وقد صورت لنا هذه المدنية أن من أسمى الأعمال التى يأتيها الانسان ، ارضاء لضميره بيد أن ارضاء الضمير ليس هدف المؤمن الحقيقى ، فهدفه الوحيد ارضاء الله . وارضاء الضمير اذا كهدف للعمل ، انما هو تلبيس وانحراف .

أما السبب فى أنه تلبيس وانحراف ، فهو أننا اذا أخذنا ارضاء الضمير قائدا وباعثا وهدفا ، ضللنا سواء السبيل : ذلك أن الضمير متقلب متغير متحول مختلف من انسان لآخر ، ومن بيئة لأخرى ، ومن ثقافة لأخرى . وهو فى الجملة لا استقرار له ولا ثبات . فلو عملنا الأعمال ارضاء للضمير لأسسناها على شفا جرف هار .

وقد أنزل الله قواعد للاخلاق ثابتة خالدة على الدهر ، فهى المقياس ، واتباعها واجب سواء وافق الضمير أو خالفه . وهذا الاتباع نفسه يجب أن يكون من الملحوظ فيه ، أنه طاعة لله وخضوع له ، واتباع لأمره .

ومن التلبيسات أيضا مايقال الآن كثيرا من أن هذا العمل ، أو ذاك ، انما يراد منه المصلحة العامة . والمصلحة العامة هذه يقولها كل انسان ، ويتمسح فيها بالحق وبالباطل وكل انسان يقيسها بمقياسه . وهى على كل حال تتأرجح وتميل نفيا واثباتا مع القائل أو المدعى ، ومع ميوله وأهوائه ، واذا أردنا اذا ، أن نخرج عن دائرة الذبذبة ، والميل مع الهوى ، فعلينا بالتزام المبادىء التى حددها الوحى ، فهى وحدها التى تعرفنا بالمصلحة العامة ، أو بالصالح العام وهى وحدها التى تقودنا فى كل الأحوال الى الخير والحق ، وهى التى ننال بها تزكية أنفسنا ، اذا أردنا بها وجه الله .

ومن هذه التلبيسات : الاعتداد بالنفس ، أو الاعتزاز بالنفس ، فى مسائل الدين وذلك هو مانعبر عنه الآن بالدين العقلى ، ومعنى ذلك فى حقيقة الأمر تحكيم العقل فى الدين ، واخضاع الدين للعقل . وهذه النزعة تسود عند هؤلاء الذين لا يسيطر عليهم الشعور الدينى السليم . وعادة تنتهى هذه النزعة بجعل الدين فلسفة ، وجعله نظرا عقليا أكثر منه خضوعا وطاعة وايمانا ، ويصبح الدين بذلك مجرد معرفة ، تختلف

فيها الأنظار والعقول ، وتتضارب فيها الآراء والأفكار ، ويصبح الأمر أمر هوى ومزاج ويخضع الانسان لعقله لا لله ، فيبتعد بذلك قليلا أو كثيرا عن « **لا اله الا الله** » ويدخل فى زمرة « **أفرأيت من اتخذ الهه هواه، واضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** »

ـ ٤ ـ

والوسائل التى عالج بها الاسلام ، موضوع قيادة الناس ، ليشهدوا أن لا اله الا الله كثيرة ويمكن أن يقال بصفة عامة : ان الاسلام كله انما جاء ليشهد الانسان أن لا اله الا الله على حقيقتها ، بيد أننا نذكر من هذه الوسائل ، أن القرآن يشرح فى كثير من الآيات ، أن الله سبحانه :

١ ـ ضمن الرزق ٢ ـ حدد الآجال

فهو سبحانه يقول فى ضمان الرزق : « **وفى السماء رزقكم وماتوعدون** » ويؤكد ذلك بالقسم بنفسه ـ سبحانه وتعالى ـ فيقول بعد ذلك مباشرة .

« **فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون** »

ويقول سبحانه « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين** » .

ويقول لمن كانوا يقتلون أولادهم خوف الفقر « **ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا** »

أما تحديد الآجال فيقول الله فيه « **ان أجل الله ، اذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون** » « **ولكل أجل كتاب** » . « **وماكان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين** » ويقول الله ـ تعالى ـ للذين آمنوا .

« **يأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض ، أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت ، والله بما تعملون بصير** »

ويرد على الذين يقولون « **لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا هاهنا** » **فيقول لهم « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله مافى صدوركم ، وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور** »

ويقول سبحانه « **الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا ، لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين** »

واذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد ضمن الرزق ، وطلب أن نسعى اليه « **فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه ، واليه النشور** » فكل جشع وقلق وحيرة واضطراب ، ولجوء الى غير الله فى طلب الرزق اشراك بالله .

واذا كان الله قد حدد الآجال فان الجبن والفرار اشراك بالله

والمؤمن اذا مطمئن الى رزق ساع اليه ، وهو يعلم أن الآجال بيد الله ، فليس اذا بجبان . واذا ما اطمأن الى رزقه ، واطمأن الى أن كائنا من كان ، لا ينقص من أجله ، زالت العقبات فى طريق وصوله الى التوحيد عقيدة وحالا

ـ ٥ ـ

واذا ماكان موحدا عقيدة وحالا ، فقد شهد أن لا اله الا الله وحقق بذلك .

« **ان صلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى لله رب العالمين لاشريك له** » وكان بذلك مسلما

« **للحديث بقية** »

وبالله التوفيق

خواطر مستشار
المستشار علي علي منصور

الآثار العامة لقيام الحرب بين دولتين

الآثار العامة لقيام الحرب بين دولتين :

١ - تعطيل التمثيل السياسى الدبلوماسى بينهما ، وترك دار السفارة فى حماية ممثل دولة محايدة .

٢ - ينتهى مفعول المعاهدات التى كانت معقودة بقصد التعاون وتوثيق الصلات اذ ليس بعد الحرب قطيعة .

أما الآثار الخاصة فتكون :

أولا : بالنسبة للاشخاص :

تحرم معظم الدول اتصال رعاياها برعايا الدول المحاربة لها سواء أكانوا يقيمون فى اقليم الدولة أو خارجه :

ثانيا : بالنسبة لرعايا الدول المقيمين اقامة عادية أو مؤقتة أو عارضة فى اقليم الدولة :

فكانت القاعدة الدولية أن تقبض عليهم وتحجزهم كأسرى حرب - ثم هذبت هذه القاعدة أخيرا بطردهم من الاقليم ولكن اذا خشى أن ينضموا لجيوش الأعداء فى حالة اخراجهم وطردهم جاز استبقاؤهم على أن يوضعوا فى معتقلات معينة ، والمقصود بذلك الذكور أما النساء والأطفال فجرت العادة على التبادل فيهم .

ثالثا : بالنسبة للأموال :

١ - للدولة المحاربة على رعاياها حق الاستيلاء على بعض أموالهم بحسب الحاجة كالسيارات وأدوات النقل مثلا مقابل تعويض عادل .

٢ - أما أموال المحايدين فشأنها شأن أموال رعايا الدولة حتى ولو كان وصولها عارضا كسفن المحايدين التى تصل الموانىء - فللدولة صاحبة الميناء - مادامت ضرورة الحرب تقضى بذلك - لها أن تستولى على هذه السفن المحايدة ويسمى هذا الحق بحق الحجز للاستعمال وذلك مقابل تعويض عادل .

٣ - أما أموال الاعداء الموجودة داخل حدود الدولة المحاربة فتجوز مصادرتها كما لها أن توقف سداد الديون التى عليها لدول الأعداء سواء أكان الدين للدولة العدوة أو لأفرادها دون أن تدفع عن ذلك فوائد ولا تعويضات .

وخلال الحربين العالميتين الأخيرتين ترقت قواعد القانون الدولى الى قصر المصادرة على ما كان من أموال الأعداء معدا أو مستعملا لفرض حربى وبقية أموال الأعداء صفيت بمعرفة

حراس . والقصد من التصفية أن لا تصيب أموال الأعداء أى ربح . أما بالنسبة للديون التى لرعايا الأعداء فجمدت الى انقضاء الحرب .

رابعا : تجارة الأعداء :

تقتضى الحرب قطع جميع الاتصالات حتى المكاتبات بين اقليمى الدولتين المتحاربتين وكذا جميع العلاقات التجارية . وتحرم الدول المتحاربة التعامل مع رعايا الأعداء سواء أكانوا مقيمين داخل اقليمها أو فى اقليم آخر محايد وبهذا يقول أغلب الفقهاء فى القانون الدولى .

ويترتب على ذلك بطلان العقود التى كانت قائمة وقت نشوب الحرب والتى يقتضى تنفيذها الاتصال بين البلدين كعقود الشركات والتأمين البحرى والكمبيالات وجميع الأوراق المالية التجارية

بل رتبوا على قيام حالة الحرب تعطيل العدالة وقفل باب المحاكم فى وجه رعايا العدو اذا كان ذلك يستلزم الاتصال بين اقليمى الدولتين المتحاربتين .

مقارنة بين ما مر وما عليه الحال فى الاسلام من آثار الحرب على الأشخاص والأموال :

يرى الاسلام على ما أسلفنا أن الأصل بين الناس السلم والأمن الجماعى ، وأن الحرب وان شنت عليه فنهض لردها فانما يفعل ذلك مضطرا أى انها حالة ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ، فلا يحل للمسلمين فى الحرب وهى دفاعية من جانبهم أن يجاوزوا حد الدفاع ولا القدر الكافى لرد الاعتداء دون بطش ولا بغى ولا فساد ولا استعلاء لقول الله تعالى **« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »** وقوله : **« والله لا يحب الفساد »** ولأنه امتدح الذين لا يريدون علوا فى الأرض ويحتم الاسلام قصر ويلات الحرب على المحاربين من الأعداء دون النساء والأطفال ، بل انه يدعو الى المحافظة على أموال المحاربين فى دار الحرب، فلا يقعر لهم نخل ، ولا يتلف زرع ، ولا يقطع شجر مثمر ، ومناط ذلك كله أن الأموال والأرواح والحريات والحقوق مصونة محترمة لاتستباح الا فى ميدان القتال فقط حيث تدور رحى الحرب ، لأن الاسلام لا يحارب الشعوب والرعايا ، وانما هو يرد عادية الجيوش الغازية والملوك الباغية .

هذا هو المناط والاطار العام لما عليه الحرب فى الاسلام من رحمة ورعاية للحرمات وقصر ويلاتها فى أضيق نطاق ، ولننظر فى تطبيق هذه القواعد العامة بصدد ما نحن فيه على أشخاص رعايا الدولة المحاربة لنا وعلى أموالهم ، وعلى التجارة بين دار الاسلام ودار الحرب حتى يتبين لنا الفارق الكبير بين أحدث ما وصلت اليه قواعد القانون الدولى العام وبين ما نزل به الاسلام منذ عشرات الأجيال وآلاف السنين .

أولا : بالنسبة لرعايا الدول المحاربة المستأمنين أو الذميين :

لا يحل فى الاسلام القبض على رعايا الدولة المحاربة المقيمين أو الموجودين عرضا فى دار الاسلام رغم قيام حالة الحرب بيننا وبين دولهم سواء أكان هذا القبض بقصد اعتبارهم أسرى وسبايا ، أم بقصد الاعتقال لمجرد أنهم من رعايا الأعداء ، أو لمجرد قيام حالة الحرب بيننا وبين دولهم ، وما دمنا قد سمحنا لهم بالاقامة من قبل بدار الاسلام وأعطيناهم الأمان والذمة على أنفسهم ، فلا يحل لنا أن نغدر بهم ، أو أن نقيد حريتهم .

وأصل الأمان قول رسول الله ــ صلى الله عليم وسلم ــ **« المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم »** وقول الله فى القرآن **« وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »** وقد ورد فى صبح الأعشى ، أن الحربى من الأعداء اذا دخل دار الاسلام للسفارة بين المسلمين لتبليغ رسالة ونحوها ، أو لسماع كلام الله فهو آمن دون حاجة لعقد أمان ، أما اذا دخل للتجارة وأذن له امام المسلمين أو نائبه أو من يملك هذا اذن كادارة الهجرة فى عصرنا ، فهو مستأمن لمدة ، أى مسموح له بالاقامة لفترة حددها الفقهاء بأقل من سنة وهو فيها آمن على نفسه لا يروع فان احتاجت أعماله التجارية لمدة سنة فأكثر فهو ذمى آمن فى جوار المسلمين وبذمتهم أما اذا أراد الاقامة الدائمة فى دار الاسلام وقبل أن يدفع الجزية أى الضرائب معاونة فى ادارة المصالح العامة

فله ذلك ولا يروع ولا يخرج ولا يبعد ما دام قائما على الشرط محافظا على الأمن والسكينة غير متجسس علينا فان تجسس حل قتله على ما أفتى به أبو يوسف

بل ان الاسلام لا يجعل اعطاء الأمان لرئيس الدولة أو لذوى السلطان الا فى حالة الأمان العام الذى يعقد للعدد الكثير من الأعداء كأهل ولاية أو قبيلة ، أما الأمان الخاص وهو ما يشمل فردا من الأعداء أو عددا قليلا منهم ، فهو صحيح من كل مسلم بالغ ، وهو جائز اعطاؤه عند الفقهاء من العبد ، ومن المرأة ، ومن الشيخ الكبير ومن المفلس ، بل ومن الصبى المميز عند المالكية والحنابلة ، فكل واحد من هؤلاء له أن يؤمن من يشاء من الأعداء واحدا أو أكثر فيصبح لهم حق دخول دار الاسلام والاقامة المؤقتة فيها للمستأمن ويتبعه فى الأمان زوجته وأبناؤه الذكور القصر والبنات جميعا والأم والجدات والخدم ما داموا عائشين مع الحربى الذى أعطاه المسلم الأمان وحق اعطاء الأمان للعدو أعطى لكل مسلم بالغ لقول الرسول ((**ويسعى بذمتهم أدناهم**)) وليس لعقد الأمان صيغة معينة ، وكل لفظ يدل على معتبر وكذلك الاشارة مع القرائن .

ونص الفقهاء على أنه على الامام أن ينصر المستأمنين ما داموا فى دار الاسلام ، وأن ينصفهم ممن يظلمهم ، وكذلك أهل الذمة ، لأنهم تحت ولايته ما داموا فى دار الاسلام .

ثانيا : بالنسبة لأموال رعايا الأعداء من المستأمنين والذميين وتجارتهم :

ان حالة الحرب لا تمنع الاتجار بيننا وبين دول الأعداء عن طريق المستأمنين ، بل لا حرج فى أن تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب أى الى بلاد الأعداء جميع بضائعنا ومنتجاتنا فيما عدا أدوات الحرب ومعداتها ، وهذا رأى الجمهور وخالف الشافعى فيه وحجة الجمهور فى ذلك أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أهدى أبا سفيان ثمر عجوة وبعث اليه بخمسمائة دينار ليوزعها على أهل مكة حين تولاهم القحط .

وعلى ذلك فأموال المستأمنين ((وهم رعايا الدول المحاربة الذين وجدوا فى اقليمنا باذن سابق منا)) أموالهم مصونة وتجارتهم قائمة يتولونها بأنفسهم فلا نصادر من اموالهم شيئا، ولا نقيد حريتهم فى مباشرة نشاطهم العادى وتجارتهم ، فقد جاء فى المبسوط للسرخسى ((**أموالهم صارت مصونة بحكم الأمان فلا يمكن** أخذها بحكم الاباحة)) ومن أروع ما يساق تدليلا على سماحة الاسلام وعدالته ما ورد فى المبسوط أيضا للسرخسى حيث قال ((اذا بعث الحربى عبدا له متاجرا الى دار الاسلام بأمان فأسلم العبد بعد دخوله دار الاسلام بيع وكان ثمنه للحربى مالكه)) أو خطر على عقل بشر من فقهاء القانون الدولى الأوروبى مهما سمت بهم الحضارة مثل هذا التشدد فى العدالة ثم أرأيت كيف أننا نعتبر العبد المملوك للحربى من ضمن ماله فاذا دخل دار الاسلام بأمان للتجارة وباذن من مولاه فأسلم لا نعتبر الاسلام مزيلا لحق مولاه عليه فوجب بيعه ودفع ثمنه لمولاه الحربى المعادى لنا وانما كان بيعه ليشتريه مسلم فيزول عنه ذل العبودية لكافر أو مشرك كما ذكر ذلك للسرخسى .

وأجمل من هذا ان المقيم فى بلدنا مستأمنا وعاد الى بلده دار الحرب بلد الأعداء فانضم اليهم وحمل السلاح وأصبح محاربا بالفعل للمسلمين وكان له مال عندنا فهوله ، لانصادره وتبقى له ملكيته خالصة ، فقد ورد فى المغنى لابن قدامة ((اذا دخل حربى دار الاسلام بأمان فأودع ما له لدى مسلم أو ذمى أو أقرضهما اياه ثم عاد الى دار الحرب نظرنا : فان كان قد خرج تاجرا أو رسولا أو متنزها أو لحاجة يقضيها ثم يعود الى دار الاسلام فهو على أمانة آمن على نفسه وعلى ماله ، وان خرج بقصد أن يستوطن فى دار الحرب بطل الأمان فى نفسه فلا أمان له فى شخصه وبقى له الأمان فى ماله ، لأنه بدخوله دار الاسلام بأمان ثبت الأمان لماله، فاذا بطل الامان فى نفسه بدخوله دار الحرب، بقى له الأمان فى ماله لاختصاص المبطل بنفسه فيختص البطلان به))

بل أكثر من ذلك ما قاله الاستاذ الشيخ أبو زهرة فى مقدمة كتاب السير الكبير من أنه لو مات المستأمن فى دار الاسلام أو فى دار الحرب أو قتل فى الميدان محاربا المسلمين لاتذهب عنه ملكية ماله وتنتقل الى ورثته عند جمهور الفقهاء خلافا للشافعى .

من سياسة الوعى الاسلامى العربى فى السلف والخلف

الأستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى

أيها القراء الكرام :

اذا رأينا أمة استيقظت بعد غفوة ، ونهضت بعد كبوة ، وأمسكت بأسباب المجد والرفعة ، فمرجع ذلك الى أن العناية الالهية ألقت زمام أمورها فى أيدى رجال منها وهب الله لهم الألمعية والذكاء ، والخبرة والدهاء ، والكياسة والسياسة .

وبقدر ما يكون فى الأمة من ذوى الكمال فى العقل ، والسداد فى الرأى ، والصفاء فى الذهن يبعد فى سبيل الشرف شأوها ، ويسطع فى سماء المجد نجمها ، ويرقى فى السموات ذكرها .

ويرحم الله القائل :

ان الذكاء الى النجاح وسيلة
والعقل فى الانسان نور يشرق
وذوو الكياسة والنهى فى أمة
هم نور نهضتها ، بهم تتألق

ولا أدل على ذلك من حالة الأمة الاسلامية فى مطلع فجرها ، ومشرق شمسها ، فقد تولى أمرها رجال أوتوا نصيبا وافرا من الدراية ، أحسنوا به قيادتها ، وأحكموا به سياستها ، حتى صارت بهم قوية الشوكة ، ثابتة الأقدام .

واذا قال ابن خلدون فى الحديث عن العرب : انهم أبعد الناس عن السياسة ، فانه يريد العرب قبل أن تملأ حكمة الاسلام قلوبهم ، وقبل أن تنير أضواء الكتاب عقولهم . أما بعد أن استرشدوا بتلك الأنوار الربانية فقدر نصيبهم من السياسة فوق كل نصيب .

دين هو الفطرة الأولى يمت بها
الى السعادة قوم بالهدى سعدوا
لا خير فى هذه الدنيا اذا عريت
منه ، ولو أنصف الغاوون ما عندوا
دعا الى الله خير المرسلين به
قوما على أمم الدنيا بها مجدوا
كانوا حفاة عراة ليس يجمعهم
شمل ولا يتقرى باسمهم بلد
حتى اذا استفتحوا باب الحياة به
وجاهدوا باسمه فى الله واجتهدوا
اذا همو سادة الدنيا وقادتها
تسنموا غارب التاريخ واقتعدوا

والدليل على أن الاسلام صقل عقلية العرب بصقال العلم وأضاء أفكارهم بضياء المعرفة ، وبعث فى نفوسهم غرائز الحكمة ، ما قاله بعض المؤرخين فى وصف الصحابة وهم يفتحون مصر : ان هؤلاء القوم هم العقل الجديد الذى يظهر فى العالم تمييزه بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والرشد والغى ، والسلم والحرب .

وان نبيهم أطهر من السحابة السارية ، وأضوأ من الشمس الضاحية ، وانهم جميعا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله ، وقوانينه وأحكامه ، لا من حدود أنفسهم وشهواتهم ، وميولهم وأهوائهم ، واذا سلوا السيف سلوه بقانون ، واذا أغمدوه أغمدوه بقانون .

« **وأقول :** ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أقرب الخلف من السلف ، فهاهم رجال الثورة الميمونة فى الجمهورية العربية المتحدة يقولون للعالم أجمع : اننا نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ، - تلك هى سياستنا نستمدها من ديننا وهديه ، وكتاب ربنا

وارشاده ، فلا نريد شرا ولا بغيا ، ولا عدوانا ولا ظلما ، ولكننا نريد أن نعيش مع الناس عيش الأشراف الكرام ، لا عيش العبيد الأذلاء » .

قال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »

وقال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

وسنذكر أمثلة من قيادة الرسول وسياسته التى أقام بها الدولة الاسلامية ، وأرسى أركانها ، وشاد بنيانها ، لتكون نبراسا يسير الساسة فى هداه ، وضياء يسترشدون به فى اللأواء ، ودروسا يستلهمون منها الصواب والسداد ، والفوز والنجاح ، فنقول :

كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذا أراد غزو جماعة تناوىء دعوته ، وتناهض دولته ، ورى بذكر آخرين ، فسيقع فى ذهن السامع أنهم المقصودون ، وبذلك كانت أخباره لا تتسرب الى أعدائه ، وكانت أسراره لا تصل الى خصومه ، فلا يمكنهم أن يتحصنوا ويحتاطوا .

فليس شىء أضر على الدولة من تسرب أخبارها الى أعدائها ، وذيوع أسرارها بين خصومها .

وان الاسلام قد أباح فى سياسته قتل المفسدين فى الأرض ، ليطهر منهم المجتمع ، ويتخلص من شرورهم وآثامهم ، وجعل منهم قتل من يذيع أسرار الدولة ، وينقل أخبارها لأعدائها .

قال تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » . (من سورة المائدة) .

وبقدر ما يكون فى قادة الأمة من تكتم الأمور ، واخفاء الأسرار ، يكون فوزها ونصرها ، ونجاحها وفلاحها . ويرحم الله القائل :

وان أردت نجاحا أو بلوغ منى
فاكتم أمورك عن حاف ومنتعل

وأقول ما أشبه الليلة بالبارحة ، فها نحن أولاء نسير اليوم على هذا المنهج القويم ، منهج رسول الله الذى علم الأجيال ، وربى العقول والأفكار ، وأخرج الناس من الظلمات الى النور .

ومن حسن سياسة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه لما حوصرت المدينة فى غزوة الأحزاب بعد حفر الخندق ، جاء نعيم بن مسعود ، وقال له يا رسول الله : لقد أسلمت سرا والقوم لا يعلمون باسلامى فأمرنى بما تريد ، فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – : **« ان الحرب خدعة ، فاستعمل الحيلة فى تفريق شملهم لينصرفوا عنا ، ونكفى شرهم »** فما كان منه الا أن رجع اليهم ، وألقى بينهم ما تقطع به حبل اجتماعهم فانقلبوا خائبين .

وأقول : ليس هذا المسلك بعيب فى دفع الشر وتفادى الخطر ، ورد العدوان . فمما لا شك فيه أن النصر والظفر ليس قاصرا على استعمال القوة والعتاد ، ولكنه كثيرا ما يتحقق بالدهاء والسياسة ، والذكاء والفطنة .

وقد يعن أمر من الأمور لا تجدى فيه القوة ، ولكن يظهر فيه فضل الدهاء والحكمة ، والفكر والكياسة .

ومن هذه المواقف دفع الخطر الذى يتراءى شبحه من بعيد ، بحيث لا يشعر به الا البصير بما وراء الخير من شرور ، فان الدهاء يرده والنفوس مطمئنة والفتنة نائمة ، ولو استعملت القوة فى رده لكانت مثار انكار .

ثم أقول : اذا علم من هذا أن الاتحاد مصدر القوة ، وأن الفرقة ، سبيل الفشل ، وسبب الخذلان ، فقد وجب على الدولة التى تربطها المصالح الوطنية ، وتجمعها الصلات الدينية ، أن تجمع كلمتها ، وتوحد صفوفها ، وتسل الأحقاد من قلوبها ، وتوجه ما تستطيع من قوة الى من يريد القضاء على كيانها ، وامتلاك بلادها وثرواتها .

ولو أن زعماء العرب فى هذه الآونة العصيبة ، وهذه الظروف القاسية أخذوا بمبدأ الوحدة والائتلاف ، والتماسك والارتباط ، فتصافحت أيديهم ، وتصافت قلوبهم ، وتركوا الأثرة

والأنانية جانبا ، واستجابوا لدعاة الوحـــدة من اخـــوانهم : لأعادوا الوطن المغتصب ، واستردوا الحـــق السليب ، وثأروا للدم المسفوك وكان نصيبهم فى الوجود فوق كـل نصيب .

ولقد أمر الله تعالى بالوحـــدة ، ونهى عن الفرقة فى كتابه الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه ــ جل شأنه ــ يعلم ما يعـــود على الأمة من خير اذا ائتلفت القلوب ، واتحدت النفوس ، ولم يكن للخلاف فى الأوساط نصيب .

فقال تعالى : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتـــه اخوانا))

وقال تعالى : ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين)) .

ومن حسن سياسة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى استمالة الناس نحو دينه ودعوته ، أنه لما غزا بنى المصطلق أسر منهم نحو سبعمائة أسير ، وكان منهم جويرية بنت الحرث بن أبى الضرار سيد قومه ، فتزوجها رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد اعتاقها ، لحكمة سامية عادت على قومها بالخير الكثير ، وعلى الاسلام بالعز الوفير . وذلك أن الصحابة حين علموا بتلك المصاهرة أعتقوا جميع من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق ، لأنهم أصهار رسول الله ، وكان ذلك التصرف الكريم مدعاة لدخولهم فى دين الله ، واعتزاز الاسلام بهم ، لما لهم من المكانة السامية فى الأوساط العربية . وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها .

٤ ــ وكان للأسلاف أصحاب الذكاء والدهاء أساليب فى السياسة والقيادة ، رفعت منار الدولة الاسلامية ، ووسعت رقعتها ، وشيدت أركانها .

ومن تلك الأساليب أنهم كانوا يبثون شيئا من تعاليم الاسلام بين خصومهم ، وينشرون بعض فضائله فى أوساطهم ، علها تصادف هوى من نفوسهم ، وتلقى قبولا من قلوبهم ، فيتبرموا بتقاليـــدهم وعاداتهم ، ويتنكروا لتشاريعهم ونظمهم .

ومن ذلك أنه لما توجه سيدنا سعد بن أبى وقاص لغزو الفرس ، أرسل المغيرة بن شعبة الى رستم القائد الفارسى ، فأقبل عليه حتى جلس معه على سريره ، فوثب اليه أتباع رستم وأنزلوه . فنظر المغيرة اليهم وقال : لقـــد جلست على السرير ظنا منى أن لكم دينا يأمر بالمساواة والمواساة ، كما يأمر بهما الاسلام ، حتى تبينت بما فعلتم أن بعضكم أرباب بعض ، فعلمت أن مجدكم سيبيد ، وأن ملككم سيزول ، لأن الملك لا يقوم على الجبروت ، ولا يثبت على الطغيان .

لقد قال الله تعالى : ((انما المؤمنون اخوة)) وقال ــ جل شأنه ــ ((ان أكرمكم عنـــد الله أتقاكم)) .

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : **((الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى وصالح الأعمال))**

قصد المغيرة بفعله وقوله ، ووعظه وارشاده ، وقف القوم على المساواة التى جاء بها الاسلام ليألفوه ، واشعارهم بأنهم يعيشون تحت سيطرة ملوكهم وأديانهم عيش المستعبدين ، وما ذاك الا ليجنى من وراء هذا سقوط مكانة الدولة من نفوسهم ، فلا يدافعوا عنها من صميم أفئدتهم . وقد تم له ما أراد .

ونقول : هاهى التعاليم الاســلامية تنبعث الآن من المجلس الاسلامى الأعلى فى الجمهورية العربية المتحدة ، مترجمة بشتى اللغـــات ، وتجوب الأقطار والأرجاء ، رجاء أن يفتـــح بها الله عيونا عميا ، وقلوبا غلفا ، ويهدى بها الى الحق ، والى الصراط المستقيم .

وكانوا اذا اشتموا رائحة التحفز نحـــوهم من بعض أعدائهم ، لا يرون بأسا أن يطلبـــون العون ممن يشاركهم فى الدم والعقيـــدة ، والمصلحة والغاية ، ويضـــعوا أيديهم فى يده ليكونوا معه قوة لا يستطيع الخصوم أن يهدموا بناءها .

ومن ذلك أنه لما تحفز الملك الأذفونش لغزو بلاد الأندلس أيام كان علم الاسلام يرفرف فوق ربوعها ، قرر ملكها المعتمد بن عباد وضع يده فى يد يوسف بن تاشفين سلطان مراكش

ليستعين به على صد العدوان ، ولما أبدى بعض الرعية التخوف من يوسف بن تاشفين اذا تم النصر ، قال له المعتمد : « لأن يرعى أبناؤنا الجمال خير لهم أن يرعوا الخنازير » .

ونقول : هذه هى سياسة الوحدة التى تنادى بها الجمهورية العربية المتحدة ، والتى استمتع بها الاقليم الشمالى حقبة من الزمان بانضمامه الى الاقليم الجنوبى ، وكان له بها قوة جعلت اسرائيل تبيت ترتجف ولا تنتظر الصباح ، وتصبح ترتعد ولا تنتظر المساء ، حتى وقع الانفصال من أرباب الخيانة فظنت أنها تنفست ، وما درت أن الوحدة قائمة بتماسك الشعوب التى تنتظر ساعة الخلاص ، وتتحفز لآونة النزال ، وتستعد لبذل الدماء والأرواح فى سبيل النصر الذى لا ريب فيه .

وكما يحتاج الزعماء الى الدهاء يحتاج اليه الولاة والقضاة والعلماء :

فالولاة يحتاجون اليه فى تعرف طوايا القلوب ، وسرائر النفوس .

ومن ذلك ما روى أن بلال بن أبى بردة وفد من الكوفة على عمر بن عبد العزيز ، فلزم سارية من المسجد يديم عندها الصلاة ، مع حسن الركوع والسجود ، وعمر بن عبد العزيز ينظر اليه ، فقال عمر للعلاء بن المغيرة : ان يكن سر هذا كعلانيته كان من أعبد الناس ، ولكننى أعتقد أن له غاية يتطلع اليها ، فقال له العلاء : أنا آتيك بخبره ، فأتاه وقال له : تعرف منزلتى من أمير المؤمنين ، فان أشرت عليه أن يوليك العراق فما تجعل لى :

قال : عمالتى سنة . قال فاكتب لى بذلك مكتوبا ، فكتب له . فذهب به الى أمير المؤمنين ، ولما قرأه كتب الى والى الكوفة :

« أما بعد فان بلالا قد غرنا بالله ، فكدنا نفتر به ، فلما سبكناه وجدناه خبثا كله » .

والقضاة يحتاجون الى الدهاء فى استبانة الحق عندما ترفع الدعاوى مجردة من كل بينة ، خالية من كل حجة ، فاذا لم يكن القاضى على جانب من الذكاء ، فانه يتنكب الطريق ، ويضل السبيل .

ومن ذلك ما روى أن أبا الحسن القيسى قال : استودع رجل رجل آخر مالا ، ثم غاب مدة ورجع ، فطلب ماله من المودع فجحده ، فشكاه عند القاضى اياس ، فقال له القاضى اعلم أنك أتيتنى

قال : لا . قال : فانصرف ثم عد الى بعد يومين ، ثم دعا اياس ذلك الشخص المؤتمن ، فقال : قد حضر الى مال كثير أريد أن أسلمه اليك لتحفظه ، أفحصين منزلك ؟ قال نعم . قال : فأت بقوم يحملونه . وعاد الرجل الى اياس ، فقال له : انطلق الى صاحبك فاطلب مالك ، فان سلمه اليك قبها ، وان جحدك فقل له : انى أخبر القاضى . فلما جاءه وطلب ماله دفعه اليه فورا ، ثم جاء المؤتمر الى اياس ليحمل المال ، فكان نصيبه التقريع الشديد ، والعقاب الأليم .

والعلماء يحتاجون الى الدهاء فى الدعوة الى الخير ، فقد يخفق الداعى مع بعض الناس اذا واجهه بالأمر والنهى ، فيسلك معه طريقا من السياسة يترتب عليها الامتثال ، ولا يبلغ ذلك الا من طريق الدهاء والذكاء .

ومن ذلك ما روى أن المعتصم صمم على قتل محمد بن الجهم ، لجولان يده فى مال الدولة ، وقد فهم منه ذلك التصميم أحمد بن داود ، وعرف أن موعظة الخليفة لا تحول دون ذلك القتل ، فعدل عنها ، وقال للمعتصم : وكيف تأخذ ماله اذا قتلته ؟ قال : ومن يحول بينى وبينه ؟ قال : يحول عدل أمير المؤمنين ، فان المال بعد الوفاة للوارث حتى تقيم البينة على ما فعله . ولأن تأمره باستخراج ما اختانه وهو حى أقرب اليك . فرجع المعتصم عن عزمه ، وخلص محمد بن الجهم بعد أن كان السيف فوق هامته .

وبعد فان سياسة الأمور تحتاج لكثير من العقل والتدبير ، حتى تكون محمودة العاقبة ، مرجوة الثمرة ، وفى سيرة الأسلاف ما فيه الرشاد والهدى . وما هدينا اليه منها كان جم الفائدة ، دانى الثمرة ، والله أكرم مسئول أن يهدينا دائما الى أقوم طريق ، انه نعم المولى ونعم النصير .

رجال ومواقف

عبد الرحمن بن عوف

فضيلة الشيخ منصور رجب

تاريخ الرجال له جانبان : جانب معنوى مجرد تدركه حين تقرأ أو حين تسمع ، وجانب فاعل متحرك تراه حين تسعى أو حين تسير فى زحمة الدنيا على مسرح هذا الوجود .

وليس تاريخ الرجال سرد حوادث مضت وذهبت وانقضت بقدر ما هو دفع للأمة الى الأمام لتدرج نحو الكمال .

من أجل ذلك كنا مطالبين بأن نبحث دائما وباستمرار عن ذاتنا من خلال تاريخنا . ونحن اذ نقدم لقرائنا الكرام من على ((منبر الاسلام)) تاريخ رجالنا الأبطال العظام فانما نبحث عن ذاتنا وندعو الى حماية وجداننا القومى من التلون بألوان لا تمت الى ثقافتنا القومية بصلة . فنحن أمة لها ثقافة أصيلة وحضارة عريقة بلغتنا وتاريخنا وديننا .. ورجلنا اليوم الذى أرجو أن ننفعل بتاريخه فى هذه الظروف الحاسمة الفاصلة من تاريخنا هو ذلكم الصحابى الجليل ((عبد الرحمن بن عوف))

● كان اسمه فى الجاهلية « عبد عمرو » وقيل « عبد الكعبة » فسماه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — **عبد الرحمن** .

● ولد بعد الفيل بعشر سنين . وأسلم قبل أن يدخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دار الأرقم . وكان أحد الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام . وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر — رضى الله عنهم أجمعين — وكان من المهاجرين الأولين : هاجر الى الحبشة ، والى المدينة . وآخى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بينه وبين سعد بن الربيع . وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — . وكان أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وهم : « **أبو بكر** » و « **عمر** » و « **عثمان** » و « **على** » و « **طلحة** » و « **الزبير بن العوام** » و « **عبد الرحمن بن عوف** » و « **سعد بن أبى وقاص** » و « **سعيد بن زيد** » و « **أبو عبيدة بن الجراح** » وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم وهم : « على » و « عثمان » ابنا عبد مناف .. و « عبد الرحمن بن عوف » و « سعد بن أبى وقاص » خالا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — و « الزبير بن العوام » حواريه وابن عمته . و « طلحة الخير بن عبدالله »

● عممه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بيده الشريفة وسدل من عمامته بين كتفيه .

● صلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وراءه ، ولما هم أن يتنحى لرسول الله عن الامامة قال صلوات الله عليه : **«ان مكانك»** فصلى وصلى رسول الله بصلاته .

● روى عنه « ابن عباس » و « ابن عمر » و « جابر » و « أنس » و « جبير بن مطعم » وبنوه : « ابراهيم » و « حميد » و «أبوسلمة» و « مصعب » أولاده — رضى الله عنه وأرضاه — ، وروى عنه المسور بن مخرمة » ابن أخته . و « عبد الله بن عامر بن ربيعة » . و « مالك بن أوس بن الحدثان » وغيرهم .

● توفى سنة احدى وثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وسبعين سنة .

● أوصى بخمسين ألف دينار فى سبيل الله وأوصى لمن بقى ممن شهد بدرا لكل رجل منهم أربعمائة دينار . وكانوا مائة فأخذوها وأخذها عثمان فيمن أخذ . وأوصى بألف فرس فى سبيل الله . وقالوا : انه خلف مالا عظيما من ذهب قطع بالفئوس . ولا أدرى : أتقطع الفأس الذهب ؟..

● ترك ألف بعير . ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاه ترعى بالبقيع . وكان له أربعة نسوة صولحت واحدة منهن بثمانين ألفا .

● كان أبيض مشربا بحمرة . حسن الوجه، رقيق البشرة ، أعين ، أهدب الأشفار أقنى . له جمة . ضخم الكفين . غليظ الأصابع . لا يغير لحيته ولا رأسه .

هذه خطوط بارزة لصورة عظيم من عظماء الأنام . وبطل كبير من أبطال الاسلام جاهد فى سبيل دعوة الحق خير جهاد بماله ونفسه حتى جرح يوم أحد احدى وعشرين جراحة . وجرح فى رجله فكان يعرج منها وسقطت ثنيتاه فكان أهتم .

عبد الرحمن بن عوف مثل يعتز به التاريخ وتفخر به حضارة الانسان : فله من المواقف الكبيرة الجليلة الخطيرة ما يعلن عن نفس أدركت حقيقة رئيسية قادتها الى أسمى مايصل اليه انسان حتى قدم ماله وما ملكت يداه تخليصا لرقاب عباد الله الضعفاء من ذل الفاقة وربقة الذل والعبودية .

فعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : **بينما عائشة — رضى الله عنها — فى بيتها اذ سمعت صوتا رجت منه المدينة : مدينةرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فقالت :**

ما هذا ؟... قالوا : عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام . وكانت سبعمائة راحلة ، فقالت عائشة :

أما انى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » . فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته فقام يقول :

انى أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها،وأحلاسها فى سبيل الله عز وجل .

وتروى أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها فتقول :

باع عبد الرحمن أرضا له من عثمان بأربعين الف دينار ، فقسم ذلك المال فى بنى زهرة ، وفقراء المسلمين . وأمهات المؤمنين ، وبعث الى عائشة معى بمال من ذلك المال . فقالت عائشة : أما انى سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول :

« لن يحنو عليكم بعدى الا الصالحون » .

وأبطأ مرة على رسول الله – صلى اللهعليه وسلم – فقال له صلوات الله عليه : ما أبطأ بك عنى يا ابن عوف ؟ . . فقال : ما زلت بعدك أحاسب ، وانما ذلك لكثرة مالى . ثم قال : هذه مائة راحلة جاءتنى من مصر فهى صدقة على أرامل أهل المدينة . فقال– صلى الله عليه وسلم – : يا ابن عوف : « انك من الأغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا . فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك » قال ابن عوف : وما الذى أقرض الله؟ . . فقال : – صلى الله عليه وسلم – : « تتبرأ مما أمسيت فيه » قال : من كله أجمع يا رسول الله ؟ . . قال : « نعم » فخرج ابن عوف وهو يهيم فأوحى الى النبى – صلى الله عليه وسلم – : « مر ابن عوف فليضف الضيف . وليطعم المسكين . وليعط السائل . فاذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه » .

ويروى الزهرى يقول : تصدق عبد الرحمن ابن عوف على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بشطر ماله أربعة آلاف دينار . ثم تصدق بأربعين ألف . ثم تصدق بمثلها . ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله . ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيلالله. وكان عامة ماله من التجارة .

وهكذا كان عبد الرحمن بن عوف يدخل فى حسابه أمر الضعفاء والفقراء ، وأمر الأمة كلها . وأمر الدعوة الى الحق والتضحية فى سبيله قبل أن ينظر الى أى شىء آخر . ولا يصل الى هذه الغاية الا من سمت نفسهوعرف كيف يحول التضحية بماله وهو عزيز الى عنصر من عناصر السرور . وأدرك أن نفسه الفردية ليست أسمى معنى فى حياته . فأين هذا الانفاق المثالى الرفيع فى سبيل رفعة شأن الأمة ممن يتهربون من الضرائب المفروضة ويكزون بأموالهم ويحبسونها عن أن تؤدى وظيفة نافعة مفيدة للأمة ؟ . .

ان تاريخنا على حقيقته هو فى مثل ذلك الذى كان عليه عبد الرحمن بن عوف أما مانراه اليوم من تهريب الأموال والضن بها فى سبيل مصلحة الأمة فهو أدب دخيل علينا وعلى ثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا . فقانون الوجود الشامل الذى تقوم عليه دعائم القوة والحكمة والحب فى هذه الحياة هو أن تشعر أنت وأنا وكلواحد من الناس أنا فى وحدة حتى مع الحيوان والجماد . وان كنت من ناحية أخرى تشعر بأنك وحدة قائمة بذاتها لها حريتها واستقلالها وكرامتها كانسان كرمه الله .

وننظر الى ذلكم الصحابى الجليل من زاوية أخرى غير زاوية المال وهى زاوية الجاه والسلطان .

لما طعن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وأحس بالموت طلب اليه أن يعهد الى خليفة من بعده ، وبعد أخذ ورد دعا الستة الذين قبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو عنهم راض ، وقال لهم : انى لا أخاف عليكم ان استقمتم ولكن أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم ثم عين لهم الأجل الذى يتم فيه الانتخاب وهو ثلاثة أيام من بعد موته ، وقال للمقداد بن الأسود : اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا . فلما دفن عمر جمع المقداد بن الأسود أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمه وقيل فى حجرة عائشة فتنافس القوم فى الأمر . فقال عبد الرحمن بن عوف : أيكم يخرج نفسه منها ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد الى ذلك ، فقال : أنا أخرج نفسى من الخلافة وأختار للمسلمين فأجابوه الى ذلك فاختار عثمان – رضى الله عنه – فبايعه .

وهكذا عرف عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – كيف يحسم الموقف ويبقى علىوحدة

الصف ويوجه سفينة السياسة الى بر الأمان والسلامة . وما ذلك الا لأنه كان يعيش لأجل فكرة معينة هى خدمة الحق والعدل والخير والانسانية . والذى يعيش لأجل الخير يعيش للجميع .

عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ هاجر من مكة الى المدينة ككل من هاجر لايملك شيئا فآخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين سعد بن الربيع فقال له سعد : ان لى مالا فهو بينى وبينك شطران فقال له : بارك الله فى مالك ، دلونى على السوق فأخذ يعمل ويعمل ويكد ويكد حتى أصبح من أغنياء المسلمين وهكذا يخلق العمل من الفقر غنى ومن الشر خيرا .

عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ وأرضاه ـ كان من أولئكم الذين ينظرون الى السلبية فى هذه الحياة على أنها هى الألم المبرح . وكان خير من عرف كيف يحول الألم الى خير ويصيره سرورا . فاجتهد فى ميدان العمل . وأخلص فى ميدان الحرب . وجد فى سبيل التضحية حتى تخلص من جاذبية الرغبات المنبعثة عن محبة الذات . وطار بما يملك لتخفيف ويلات الانسانية وتحرير العبيد ونشر دعوة الحق والعدل فكان مثلا أعلى فى تاريخ العرب والمسلمين ، بل فى تاريخ الناس أجمعين .

عبد الرحمن بن عوف كان يرى أن كثرة المال مهلكة . فكان يتحاشى هذه الهلكة بالانفاق : ذلك مبدؤه ، بل ذلك هو مبدأ الاسلام خطه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال له : « أنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة الا حبوا فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك » فالانفاق على الفقراء والضعفاء والمساكين . والانفاق فى سبيل المشروعات العامة خدمة لمجموع الأمة ذلك الانفاق هو واقى الأغنياء من الهلكة . هذا هو مبدأ الاسلام ،وهذاهوتاريخه وتلك ثقافته وحضارته حتى روى أبو ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ قال : ان خليلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد الى أنه أيما ذهب أو فضة أوكىء عليه فهو جمر على صاحبه حتى ينفقه فى سبيل الله عز وجل » . وقال : «ذو الدرهمين أشد حسابا من ذى الدرهم » .. ومن هنا بكى عبد الرحمن بن عوف مرة حين وضعت بين يديه صفحة فيها خبز ولحم فقيل له : ما يبكيك يا أبا مجد ؟.. فقال : قبض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، وقتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه . وقتل حمزه وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا .

فحب الخير أسمى مايصل اليه الانسان من سعادة . وفى حب الخير وحده يستطيع ابن آدم أن يعرف أنه شىء أكثر من نفسه . وأنه فى وحدة مع سائر اخوانه ، وفى ذلك كان ابن عوف مثلا أعلى .. ذلك تاريخنا . وسيرة أبطالنا تمثله خير تمثيل .

ومن الأحاديث التى لقنها عبد الرحمن بن عوف الى ابنه أبى سلمة قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** » . وهذا تمثيل يبين فضل العلم وقوة الدعوة اليه : لكن من هو العالم ؟.. هذه هى المسألة :

العالم له جانبان : جانب مدرك ، وجانب فاعل متحرك . ولا يتم أحدهما بدون الآخر . واذا كان الحديث المجرد كالطريق المضل لا يؤدى الا الى نفسه فان العمل بالعلم يفتح أمام أعيننا أفقا يهدينا من الضلال ويقودنا الى الكمال .

وأعود فأكرر أن التاريخ ليس سرد حوادث مضت وانقضت بقدر ما هو دفع للأمة الى الأمام لتدرج فى طريقها نحو الكمال . ونحن اذ نقدم اليوم عبد الرحمن بن عوف ، **فانا لنرجو فى هذه الظروف الفاصلة الحاسمة من تاريخنا أن نقتدى به فى التضحية وانكار الذات . فالتضحية وانكار الذات أبرز خلال ابن عوف وما أحوجنا اليوم الى هاتين الصفتين . أجل: ففيهما وثاق الوحدة والسلام .**

محمد

أعظم مثل للصبر

الأستاذ محمد فادى عسر

الفترة الأولى من بعثة النبى – صلى الله عليه وسلم – كانت من أشد ما عرف التاريخ الانسانى روعة فى العصور جميعا فى عظمة الصبر . فلم يكن محمد والذين اتبعوه طلاب مال ولا جاه ولا حكم أو سلطان ، انما كانوا طلاب حق ، وكان محمد طالب هدى للذين يصيبونه بالأذى ، وتحرير لهم من ربقة الوثنية الوضيعة التى تنحدر بالنفس الانسانية الى خزى المذلة والهوان .

فى سبيل هذه الغاية الروحية السامية ، لا فى سبيل شىء آخر ، كان الأذى يصله ، وكان الشعراء يسبونه ، وكانت قريش تأتمر به ، حتى حاول رجل قتله عند الكعبة ..

وكان منزله يرجم ، وكان أهله وأتباعه يهددون ، فلا يزيدهم ذلك الا صبرا وامعانا فى الدعوة ..

وامتلأت قلوب الذين اتبعوه بقوله :

« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته »

فهانت عليهم جميعا التضحيات الجسام ، وهان عليهم الموت فى سبيل الحق ، وهداية قريش اليه .

وقد كان عجبا أن يملك هذا الايمان أولئك المكيين من المؤمنين ، ولم يكن الدين قد كمل ، ولم يكن قد نزل من القرآن الا القليل .

ولم يكن الايذاء أول عهد مكة بالاسلام يزيد عن السخرية والاستهزاء ايمانا منها بأن أصنامها سيمنعون أنفسهم ، وانهم قادرون على أن يسفهرا أحلام المسلمين ، وأن يقضوا عليهم ، وأن المسلمين سوف لا يكون نصيبهم أوفر حظا من بعض من جاءوا مكة من النصارى واليهود ، من أمثال ورقة بن نوفل ، وقس ، وأمية ، وغيرهم ، وأن الناس عائدون لا محالة الى دين آبائهم وأجدادهم ، وأن هبل واللات والعزى الى آخر قائمة الأصنام المعبودة ستكون آخر الأمر صاحبة الغلبة .

فلما رأوا أن الدين الجديد قد آمن به من تجار مكة وأشرافها من عرفت نفوسهم الطهر والنزاهة ، والمغفرة والرحمة ، وآمن به كل ضعيف ، وكل بائس ، وكل محروم ، وانتشر أمر محمد بمكة ، قلقت نفوس المشركين على آلهتهم ، وعلى بلدهم ، لأنها حينئذ قبلة عبدة الأوثان يأتونها حاجين اليها من كل فج ، ومركز تجارة لايدانى فى شبه الجزيرة العربية ، وما يتهدد هذا المركز من وهن بعد انتشار الدين الجديد .

وقد ظهر أثر هذا القلق فى تصرفاتهم وأفعالهم ، وفيما أتوه من العذاب والقسوة والحرب التى لا هوادة فيها لكل من آمن بمحمد وبدين محمد .

ومن ثم جرب المشركون بادىء ذى بدء جميع ألوان الاغراء والترغيب بالمنصب والجاه

والمال ، حتى يترك محمد هذا الدين الجديد ، أو على الأقل أن يدع المشركين وشأنهم ، فلا يعيب عليهم دينهم ، ولا يسب آلهتهم ، ولا يسفه أحلامهم .

فلما لم تنفع معه أية وسيلة من هذه الوسائل ، وثبته الله ومن معه على الحق ، جرب المشركون وسائل التعذيب الأخرى . فشككوا فى شخص محمد ، وادعوا عليه الكذب ، والصقوا به أحط أنواع التهم ، وتفننوا وتنافسوا فى وسائل العذاب والقهر التى ينالونه وأصحابه بها .

وكان من أول هذه الوسائل المقاطعة لبنى هاشم وعبد المطلب ، وعقد المشركون لذلك معاهدة كتبوها وعلقوها فى الكعبة ، ولكن هذه السياسة – سياسة التجويع والمقاطعة التى استمرت نحو ثلاث سنوات – لم يكن لها أدنى أثر فى المسلمين ، وفيمن أجاروهم – حتى عدل المشركون تلقائيا عنها .

وقد كان أقرب الناس للنبى – صلى الله عليه وسلم – ولمن معه هم من أشد الناس ايذاء لهم ، فما أسلم مولى الا وأذاقه سيده العذاب ألوانا ، وما آمن احد من أبناء قبيلة الا ولاقى من ضروب الاستهزاء والمهانة فوق كل احتمال .

ومع كل هذا فقد كانت النتيجة واحدة ، وعلى غير ما تبغى قريش ، لقد قابل محمد وأتباعه كل ذلك بثبات وصبر ، والدين الجديد ينتشر أمره وتزداد أنصاره .

وصنوف الايذاء والتعذيب النفسى والحسى التى لاقاها محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن معه فوق كل حصر . وكتب السيرة مليئة ببعض منها ، وكلها تجمع على معنى واحد هو صدق الايمان بالدين الجديد ، وشدة التمسك بأهدابه ، وهوان كل شىء فى سبيل قيامه ، وتثبيت دعائمه ، ورخص الحياة دون ذلك .

كل هذا والنبى الكريم غير مأذون له بالقتال انما عليه أن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد أنزل الله آيات من القرآن فيها ترغيب فى الجلد والمثابرة ، وفيها أن الله مانعه وآخذ بيده ، ومنها قوله تعالى فى سورة الضحى :

« والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . »

الى آخر السورة الكريمة .

وعندما جاره أحد المؤمنين بقوله : يارسول الله ألا تدعو الله لنا ؟

فعقد رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – وجهه فقال :

« انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ، وما دون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه » .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول دائما :

« انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة . اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون »

ولما أذن الله لنبيه بالهجرة الى المدينة ، حيث وجد الرسول فيها أعوانا يمنعونه ، وحيث وجد فيها المسلمون مأمنا – آذى ذلك قريشا ، وتهدد طريق تجارتها الى الشام ، فكانت حروبها لا تهدأ الا لتقوم . فضلا عن تحريضها للقبائل المشركة للنيل من محمد ومن معه . ولكن الله كتب للقلة المسلمة الغلب ، وثبت أركانها ، ونصر عباده المؤمنين حتى انتهى ذلك الى فتح مكة ورفع راية الاسلام بها .

وقد دفع النبى – صلى الله عليه وسلم – ومن آمن معه فى سبيل بلوغ هذه النتيجة الثمن فادحا . ورغم توالى المتاعب ، وقسوة ما امتحن به المسلمون ، فلم يكن همهم الا نصرة الاسلام أو الشهادة .

ولم يكن مقام محمد ، ومن معه بالمدينة على حسب ما يبتغون ، فقد امتحنهم الله بفئة غير قليلة من المنافقين الذين أظهروا اسلامهم ، وأبطنوا العداوة والبغضاء للمسلمين . وكان موقفهم أشد قسوة وايلاما للرسول من المشركين الذين وضح موقفهم . وكانت حربه – عليه الصلاة والسلام – لهم لا تنتهى . وكان

الله دائما يخزى المنافقين ، ويفضح سرهم . وكان يلهم رسوله الكريم سداد الرأى فى شأنهم حتى لا تكون فتنة وحتى لا تتفرق كلمة المسلمين .

أما أهل الكتاب من اليهود فقد تظاهروا بالولاء للنبى فى سبيل مصلحتهم الخاصة ، فلما رأوا أن الدين له خطة قد رسمها الله لا تتفق مع أهوائهم بدأوا حربا لا هوادة فيها للمسلمين ولكل ما هو مسلم .

فأجمعوا أمرهم على أن يكيدوا للنبى — صلى الله عليه وسلم — وينكروا نبوته ، وينقضوا بذلك العهد الذى عقدوه معه . وما كان أسرع أن اجتمع اليهم من بقى على الشرك من الأوس والخزرج ومن أسلم منهم نفاقا جريا وراء مغنم ، أو ارضاء لذى عصبة وبأس .

وهنا بدأت حرب جدل بين محمد واليهود أشد لددا ، وأكبر مكرا من حرب الجدل التى كانت بينه وبين قريش بمكة . وتعاونت فى هذه الحرب اليثربية الدسيسة والنفاق ليحاربوا بهما محمدا — عليه الصلاة والسلام — فدسوا من أحبارهم من أظهر اسلامه، ومن استطاع أن يجلس بين المسلمين يظهر غاية التقوى ، ثم ما يلبث الحين بعد الحين أن يبدى من الشكوك والريب ، ويلقى على محمد من الأسئلة ما يحسبه يزعزع فى نفوس المسلمين عقيدتهم به وبرسالته ، ثم حاولوا الوقيعة بين الأوس والخزرج ، واشعال نار العداوة القديمة التى تمكن النبى من القضاء عليها .

بل ان اليهود حاولوا اجلاء النبى — عليه الصلاة والسلام — عن المدينة بأن حاولوا اقناعه بأن من سبقه من الأنبياء قد هاجروا الى بيت المقدس ، وكان به مقامهم . وانه ان يكن رسولا حقا فجدير به أن يصنع صنيعهم وأن يعتبر المدينة وسطا فى هجرته بين مكة ومدينة المسجد الأقصى .

لكن محمدا لم يحتج الى طويل تفكير فيما عرضوه عليه ، ليعلم أنهم يمكرون به . وأوحى اليه ربه أن يجعل الكعبة قبلته ، وكانت قبلها المسجد الأقصى :

((قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره))

وقد صبر النبى طويلا على تطاول اليهود وايذائهم ، وكان يحسن اليهم ويفسح صدره لهم . وكان الله — تعالى — يفضحهم ويخزيهم . وكبر عليهم الشعور بالاثم فزادوا بغيا وحقدا ومكرا .

فلم يكن هناك بد من أن يتخلص النبى — عليه الصلاة والسلام — من مكائدهم حتى يقوم بواجب الرسالة المقدسة من نشر الاسلام الذى هو دين لكل مكان وكل زمان .

فقاتل بعضهم وأمر بعضهم بالهجرة . حتى انتهى أمرهم بالمدينة الى غير رجعة ومن بعدها زال كل سلطان ونفوذ لهم فى شبه الجزيرة العربية .

هذا طرف يسير فيما لاقاه النبى من أقسى أنواع الايذاء النفسى والحسى هو ومن معه ، وما قابلوه به من الصفح والحلم أو الشدة فى غير قسوة .

وقد روى عن زيد بن سعنه وهو من أحبار اليهود حينما منعه النبى — عليه الصلاة والسلام — من غضب عمر عندما أساء مقابلة النبى . ثم رد اليه الرسول دينه رغم غلظة مطالبته وتحديه قوله :

((كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين نظرت اليه ، الا اثنتين لم أخبرهما : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل الا حلما، فقد خبرتهما فاشهد بأنى قد رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، ومحمد نبيا)) .

والخلاصة فان ما تحلى به النبى من أسمى أنواع الصبر كان ذا أثر كبير فى نصرة الاسلام، وعلو كلمة الايمان ، وقيام وحدة كاملة شاملة فى شبه الجزيرة العربية ، تحت ظلال الاسلام، ثم من بعد ذلك قيام تلك الامبراطورية الاسلامية المترامية الأطراف ، والتى أقرت فى العالم حضارة لا تزال ولن تزال ذات أثر عميق فى حياته .

مكانة المرأة وحقوقها فى الاسلام

الأستاذ محمد عطيه الإبراشى

المرأة قبل الاسلام :

كانت اليونان فى قديم الزمان من أكثر الأمم حضارة ومدنية . وكانت أثينا مدينة الحكمة والفلسفة ، والطب والعلم ، ومع هذا كانت المرأة اليونانية لدى الأثينيين القدماء تباع وتشترى ، كأنها سلعة من السلع التجارية ، وكانوا يعدونها رجسا من عمل الشيطان ، ولم يسمحوا لها الا بتدبير شئون البيت ، وتربية الأطفال .

وكان الرجل فى أثينا يسمح له أن يتزوج اى عدد يريده من النساء ، بلا قيد ولاشرط ، أما الرجل فى اسبرطة من اليونان فكان لايسمح له أن يتزوج أكثر من واحدة الا عند الضرورة ، وستعجب كل العجب اذا عرفت ان المرأة الاسبرطية قديما كان يسمح لها أن تتزوج أكثر من رجل ، واعتادت الأكثرية من نساء اسبرطة تعدد الأزواج . ولا ريب أن هذه العادة من أقبح العادات .

هذه حال المرأة اليونانية المتمدينة فى قديم الزمان .

أما المرأة الرومانية فقد كانت تقاسى انتشار تعدد الزوجات عند الرومان فى العرف لا فى القانون .

ولكن (فالنتيان) الثانى العاهل الرومانى قد أصدر أمرا رسميا أجاز فيه لكل رومانى أن يتزوج أكثر من امرأة اذا شاء وأراد . ولم يستنكر رؤساء الدين من الأساقفة تعدد الزوجات . وقد حذا حذو (فالنتيان) كل من أتى بعده .

واستمر تعدد الزوجات منتشرا بين الرومانيين حتى أتى **(جوستنيان) ، فسن** قوانين تمنع تعدد الزوجات .

ولكن الرجال من الرومانيين استمروا على عادتهم فى أن يتزوجوا أكثر من واحدة . ولم تبال الأكثرية من الرومانيين بتلك القوانين الجديدة التى تمنع التعدد .

واستمر الرؤساء والحكام يرضون شهواتهم بالاكثار من الزوجات .

وتساهل رجال الدين ، وسمحوا للراغبين فى التزوج بأكثر من واحدة بتحقيق رغباتهم ومطالبهم . فكان الرئيس الدينى يعطى ترخيصا بذلك لمن يريد . وعلى هذا استمر الرومانيون على عادتهم من تعدد الزوجات .

وأما المرأة اليهودية فكان بعض اليهود يعدونها فى منزلة خادم . وكان الأب يسمح له أن يبيع ابنته وهى صغيرة ، ويتسلم ثمنها . وكانت الفتاة اليهودية لا ترث شيئا من أبيها الا فى حالة واحدة ، وهى اذا لم يترك الأب أحدا من الأبناء بعد وفاته . فاذا كان له أبناء حرمت الميراث .

وكانت المرأة عند الفرس قبل الاسلام ينظر اليها نظرة كلها احتقار . وقد استمرت مهضومة الحق ، مجهولة القدر ، مظلومة فى المعاملة ، حتى أنقذها الاسلام ، وجاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم ، حيث يقول :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

المرأة العربية فى الجاهلية والاسلام :

كانت المرأة عند بعض العرب فى الجاهلية تعد جزءا من ثروة أبيها أو زوجها ، وكان ابن الرجل يرث أرملة أبيه بعد وفاتها .

وكان العرب قبل الاسلام يرثون النساء كرها ، بأن يأتى الوارث ، ويلقى ثوبه على زوجة أبيه ، ثم يقول : **« ورثتها كما ورثت مال أبى »** .

فاذا أراد أن يتزوجها تزوجها بدون مهر ، أو زوجها لأحد غيره ، وتسلم مهرها ممن يتزوجها ، أو حرم عليها أن تتزوج كى يرثها بعد موتها .

فمنعت الشريعة الاسلامية هذا الظلم ، وهذا الارث ، قال تعالى : **« يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها »**

وكان العرب فى الجاهلية يمنعون النساء من الزواج ، فالابن الوارث كان يمنع زوجة أبيه من التزوج ، حتى تعطيه ما أخذته من ميراث أبيه ، والأب يمنع بنته من التزوج حتى تترك له ما تملكه ، والرجل الذى يطلق زوجته يمنع مطلقته من الزواج حتى يأخذ منها ما يشاء ، والزوج المبغض لزوجته يسيء عشرتها ولا يطلقها حتى ترد اليه مهرها . فحرم الاسلام هذه الأمور كلها بقوله جل شأنه : **« ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن »**

وكانوا لا يعدلون بين النساء فى النفقة والمعاشرة ، فأوجب الاسلام العدالة بينهن . قال تعالى : **« وعاشروهن بالمعروف »** .

وقال : **« فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة »**

وكان الرجل قبل الاسلام اذا أراد ان يتزوج زوجا أخرى أساء الى زوجه الأولى ، ورماها فى عرضها ، وأنفق ما أخذه منها على امرأة غيرها يريد أن يتزوجها ، فحرم الاسلام على الرجال الظلم والبغى فى قوله تعالى :

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا »

ثم وبخهم على أخذهم غير المشروع بقوله : **« أتأخذونه بهتانا واثما مبينا »** .

وكانت المرأة قبل الاسلام تعد متاعا من الأمتعة يتصرف فيها الزوج كما يشاء ، فيتنازل الزوج عن زوجته لغيره اذا أراد ، بمقابل أو بغير مقابل ، سواء أقبلت أم لم تقبل .
فأنقذ الاسلام المرأة من هذه المظالم كلها ، وعاملها معاملة كلها انصاف وعدالة ، واحترام ومكانة . ولم تعط المرأة حقوقها وهى بنت أو زوجة أو أم الا فى الاسلام ، فأعطيت الحق فى الحياة ، وفى الميراث ، وفى الملكية والتعليم .

ولم يعترف الغرب بحقوق المرأة الا فى القرن التاسع عشر بعد جهاد طويل .

وسنوضح فى مقالاتنا التالية بالتفصيل حقوق المرأة فى الاسلام ، وأن الاسلام قد انصف المرأة الانصاف كله ، وسنذكر بعض الفضليات من المسلمات ، ومكانة الأمهات فى الاسلام .

من كيد المشركين بمكة

فضيلة الشيخ ابراهيم ابو الخشب

كان لاسلام عمر رضى الله عنه وقع شديد فى نفوس المشركين ، حملهم على الكيد للدعوة والصد عن الرسول ، وافتراء الأباطيل عليه، والتفكير الجاد فى مناوأته ، والحرب الباردة للكتاب الكريم الى درجة أنهم لم يتورعوا عن فحش ، أو يتعففوا عن منكر ، أو يترفعوا عن اسفاف ، ولكنهم تفننوا فى الايذاء ، وتانقوا كل التانق فى العداوة ، وتمادوا فى الايلام ، وتطاول بهم ليل الشر ، اذ أخذوا يجمعون له ولأصحابه معه صنوف العنت والعنف ، والارهاق والأذى ، والتضييق والاحراج ، وانجلت سخائم نفوسهم المظلمة ، وأفئدتهم الخبيثة ، عن التعاهد الصادق على مقاطعة المسلمين مقاطعة تامة ، وضرب الحصار الاقتصادى عليهم ، ليكون ذلك باعثا لهم على العودة الى دين الأشياخ ــ كما كانوا يزعمون ــ والبقاء على عبادة الأوثان ، حتى اذا ما مضى على هذا الحلف الغاشم ثلاث سنوات وكاد الجوع يفتك بمحمد واخوانه ، غلى الدم العربى فى كثير من أهل المروءة والنخوة أن يتمردوا على تلك المعاهدة الظالمة، وأن يمزقوا هذه الصحيفة السوداء ، وأن يمدوا أيديهم الى أهليهم وقرابتهم من المسلمين الذين اشتدت بهم المجاعة ، وساءت بهم الحال .

وبينما هم يتحدثون حديثهم ، ويقلبون أمرهم على وجوهه ، انتهى اليهم الخبر اليقين عن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن الصحيفة أكلتها الأرضة ولم يبق منها الانقطة « باسمك اللهم » وحمل الفضول جماعة من قريش أن تبحث الخبر بحثا دقيقا لترى الى أى مدى هو منطو على الصدق أو الكذب ، ولكنها عادت بالخزى الفاضح حينما تبين لها مطابقته للواقع ، ولم تجد بدا من أن تطرق للكيد أبوابا أخرى .

وكان تمزيق الصحيفة وأكل الأرضة لها قد أتهم وأنجد ، وملأ الأصقاع والبقاع ، ولاكته الألسنة ، من هنا وهنالك ، ودفع هذا بكثير من العقلاء الى الايمان بذلك الرجل الذى يدعو الى الله ، ويأمر بالمعروف ،وينهى عن المنكر، وهنالك كان صناديد قريش يصدون عن سبيل الله من آمن ..

وقد رووا أن أعشى قيس جاء الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليعلن اليه اسلامه ولينشد بين يديه قصيدته **« ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا »**

فلما كان بمكة ــ أو قريبا منها ــ اعترضه بعض المعوقين ليرجع عن قصده ، أو يتحول عن وجهه ، ويعود أدراجه من غير أن يحصل على غرضه ..

وكان جماعة من المسلمين قد هاجروا الى الحبشة فرارا من الأذى ، وهربا من الظلم وبعدا عن الجو الخانق الذى كانوا يعيشون فيه بمكة ، فأرسل المشركون فى أثرهم من يوقع بينهم وبين النجاشى ، ليحمله ذلك على عدم قبولهم لاجئين الى أرضه ، ولما لم يقبل قالوا له انهم يعتقدون فى عيسى عليه السلام اعتقادا مزريا ، الا أن جعفر بن أبى طالب أقنعه أن القرآن الكريم يشيد به ، ويثنى على

أمه ، ويذكر لها طهارة عرضها ، ونقاء ثوبها، وبعدها عن الريبة والفحش ، ولم يغض من هداية الانجيل .. وهنالك جمع النجاشي الأساقفة والرهبان ليعلن اليهم رأى محمد والمسلمين فى عيسى بن مريم وأمه ، ومكانة كتابه الذى جاء به من عند الله .

وكانت هذه الحادثة التىحقنت دمالمسلمين وصانت كرامتهم فى ديار غربتهم سببا فى أن قام وفد من نصارى الحبشة الى مكة ليبلغوا الرسول شكرهم له ، واعجابهم به ، وفى طريقهم ـ بمكة ـ التقى بهم كفار من قريش كان على رأسهم اللعين أبو جهل الذى قال لهم خيبكم الله من ركب ، بعثكم من بعثكم لترتادوا خبرا ، فلم تنصرفوا الا مخدوعين بمحمد، مفتونين بدينه، وكان ردهم عليه وعلى أمثاله من السفهاء : **« سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين »** .

ولعل هذا الوفد النصرانى منأهل الحبشة كان بعض المعنيين بقوله جل جلاله : **« ذلك بأن منهمقسيسين ورهباناوانهم لايستكبرون. واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار »** .

وكان بالقرب من هذه الحادثة أمر الاسراء والمعراج وقد أخفى النبى ـ صلى اللهعليه وسلم ـ حديث المعراج حتى لا يجابهوه بالكذب ، أو يواجهوه بالانكار ، لأن الاسراء اختراق للارض ، وقطع للابعاد ، وانتقال من مكان الى آخر ، مما تعود الناس اجتيازه من المسافات .. والمعراج انتهاك للطبقات العليا من الجو ، فلا يكون الا للطيور ونحوها ، ولهذا يقابلونه بالاستحالة على بنى آدم من غير شك ..

ومع كون الاسراء رحلة فى الأرض ، وقطعا لمسافة من مسافاتها ـ القريبة أو البعيدة ـ كذبوه فى تلك السرعة التى قطع بها الأرض من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وقالوا لعله هذيان نائم، أو خرافات حالم، أوتخيلات واهم ، أو رؤيا عرضت له حينما أغفت عيناه بالليل، وبهذه البلبلة التى أشاعوها، والزلزلة التى أحدثوها ، أصبح حال محمد وقومه حال فلول الجيش المهزوم ، وبخاصة بعد أن رأوا كثيرا من ضعاف النفوس يرتدون على أدبارهم ، وينكصون على أعقابهم ، ثم يعودون الى الكفر من جديد .. وليس ذلك كله سهلا على رجل يقف لهذه العداوة الطائشة ، والخصومة العنيدة ، وان كان ايمانه بربه أقوى من كل قوة .

الا أن بشريته لا تقوى على هذه الحماقة المتتالية ، والطيش الذى يسترسل ، على الرغم من أن ربه يحمى ظهره ، ويشد أزره ، ويفهمه دائما أبدا أن ذلك امتحانا للمؤمنين : **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس »** .

وأن هؤلاء المعاندين الذين كانوا يكيدون له لم يحولوا صناديد المسلمين من أمثال أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ الذى قال له بعض خبثائهم ماذا ترى فى هذا الذى يدعى قطع المسافات فى قطع من الليل ونحن نشد لها المطايا ، ونضرب لها أكباد الابل ، فقال له :

« صدقناه فى حديث السماء أفلا نصدقه فى حديث الأرض »

وكان هذا الرد منه بمثابة الصاعقة على رءوسهم .. لأنهم وجدوا صلابة ايمان ،وشدة يقين ، وعظيم ثقة ، جعلت فألهم يخيب ..

ويقول أصحاب كتب السيرة ان موت خديجة بنت خويلد الأسدية ، وعمه أبىطالب ابن عبد المطلب ، قبل الهجرة بثلاث سنوات هد ركنه ، وأثار حزنه وضاعف همه ، وأغرى به عداوات كانت كامنة ، وخصومات كانت نائمة ، وحزازات كانت دفينة ، وروى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول فى هذا الوقت : **« اجتمعت على هذه الأمةمصيبتان لا أدرى أنا بأيهما أشد جزعا »** وهو يعنى موت زوجته وعمه ..

ويسمى المؤرخون عام موتهما **«عام الحزن»** لأن خديجة كانت تواسيه بمالها وقومها .. أما أبو طالب فانه كان حصنا من حصون الدفاع عنه ، يخافه المشركون ولا سيما ذلك النفر الذين سماهم القرآن **« المستهزئين »** الذين كفاه الله شأنهم فيما بعد ، وانتقم له منهم — واحدا فى اثر واحد — وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، فانهم كانوا يرمونه بالحجارة ويلوثونه بالقاذورات ، ويقضبونه بنابى اللفظ .. ولذلك لم يطق البقاء بمكة ، ولا اعلان دعوة الحق بها ، وهنالك خرج الى ثقيف بالطائف رجاء أن يستريح عندهم ، أو يطمئن الى جوارهم ، فضاع أمله ، وكان حاله معهم أشبه بالمستجير من الرمضاء بالنار ، اذ ردوه أسوأ رد ، وقابلوه أقبح مقابلة ، وأغروا به السفهاء من الرجال والنساء ، والأطفال والصبيان .. حتى اذا أجهده السير ، وأضناه التعب، التجأ الى حائط بستان ، ثم قال: **« اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس »**

وفى هذه اللحظة قال له جبريل : **« ان الله قد سمع الذى قلته ، وعلم بالذى ردوا به عليك ، وهذا أخى ملك الجبال ان شئت أن يطبق عليهم الأخشبين فعل »** .

وكان رده — صلى الله عليه وسلم — :

« لا يا جبريل ، فانى أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئا » ..

وكان شعاره فى مثل هذه الشدائد: **«اللهم ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى »** .

وكان لابد لذلك الهارب من مكة ، اليائس من استجابة أهلها له، أن يعود اليها على الرغم مما يلاقيه هنالك من جحود وكراهية ، لكنه لا يستطيع أن يعيش معهم الا فى ظلال قوة تحميه من شرورهم ، وتحفظه من كيدهم .. فمن هو هذا الذى يحميه أو يجيره ؟ ..

وحينئذ هدى الله له المطعم بن عدى الذى قبل جواره على الرحب والسعة ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يعيش فى مكة وفى جوار المطعم بن عدى فى هذه الفترة من عمره بجسمه لا بروحه ، لا يعرض دينه على أحد ، ولا يفضى بشأنه لانسان ، ورأى أن الأسلم لحياته وعرضه أن يصرف النظر عن مكة وأهلها الى وفود الحجاج الى بيت الله الحرام ، يدعوهم فى رفق ويناجيهم بالحسنى ، ويلوى عنانهم بالأدب ، ويخاطبهم خطاب الناصح ، فلعلهم أن يستجيبوا له ، وأن يكونوا ألين عريكة، وأرحب صدرا، وأحسن قبولا، وأكثر استعدادا ... بيد أن قريشا كانت تلاحقه بالكيد ، وتطارده بالخصومة ، وتحاربه بمختلف الأسلحة ، فلم تتركه لأولئك الوافدين دون أن تملأ قلوبهم منه ، وتوغر صدورهم عليه ، وتشيع أن ما ينادى به محمد ليس الا هدما لما كان عليه الآباء من أديان ، وما توارثوه من مقدسات ، وماتعودوه من سلوك .

ولتلك النغمات عندهم صدى يدوى فى النفوس ، ويصرخ فى الأفئدة ، ويثير الى مدى بعيد حفائظهم ..

ولهذا فكروا تفكيرا جادا فى التخلص من محمد غير مبالين بتلك الطريقة التى سيأخذون بها للتخلص منه ، وأنها تعلن للملأ افلاسهم وهزيمتهم ، وخزيهم وعارهم ، لأن المنطق الذى يلقى سلاحه ، والحجة التى تطرح براهينها ، والجدل الذى يتحول الى حرب ، أو التفكير فى قتل لا يكون نصرا لصاحبه بحال من الأحوال ، ولم يعرف التاريخ موقفا للعرب كان أخزى من هذا التاريخ الذى اجتمعوا فيه على قتل محمد وارغامه على الفرار من وجههم بعد أن لزمتهم الحجة، وأفحمهم المنطق، وأعماهم البرهان ..

وان كان من رحمة الله بمحمد — صلى الله عليه وسلم — أن انتقل ميدان الدعوة **من مكة الى المدينة ، وأن كان فى حديثه فى وفود حجاج بيت الله الحرام فاتحة انتصار لدينه ، واعزاز لكلمته ، وتمكين لشأنه ، وتأسيس لدولة اسلامية كبرى ، صاروا — فيما بعد — يحسبون حسابها ، ويخافون زحفها ، ويعملون من جديد على حربها وجها لوجه ، محاربة الند للند .**

في المحيط الصوفي

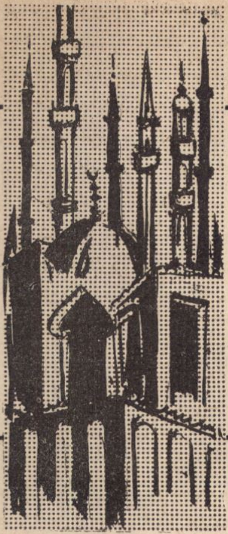

المعمار بين الماضي والحاضر
الزوايا منشؤها وآدابها

دفع اعتراض

الأستاذ محمد أمين هلال

لا شك أن مظاهر فن العمارة عند المتصوفة له سمات خاصة تميزه عن سواه من المظاهر عند غيرهم . ذلك لأنهم قوم انطبعوا على الاعراض عن زخرف الحياة الدنيا ، وانقطعوا الى الله فى خلواتهم يطلبون رحمته ويخافون عذابه ، فمن البديهى أن هذه المبانى التى تقام من أجلهم فى مساجدهم ومعابدهم وزواياهم يكون عليها طابع البساطة والزهد ومثال العزلة والتقشف .

وقديما كان للمعابد مظهر خاص ، ولم تكن مصر وحدها هى التى تهتم بأمر المعابد ، فقد تبعها فى ذلك الاغريق ، وهناك فى أثينا معبد البارثينون فى الأكروبوليس، فقد كان ولايزال آية فى الجمال كما تحدثوا عنه وقالوا انبانيه راعى فيه خداع النظر فى الأجسام المنظورة فتلافاه بكل الوسائل فكان معبده أشبهببلورة طبيعية جميلة ، ومع هذا فان الفنان المصرى قد سبقزميله الاغريقى فىتصميم معبده، فانك اذا وقفت أمام المعبد الاغريقى تشعر برهبة وذهول نتيجة لقوة الجمال وحسن التنسيق، أو بمعنى أقرب : ان تأثير هذا المعبد كتأثير حسناء كملت فيها معانى الجمال . ولكن ليس هذا هو الفرض الذى من أجله كلف بتصميم المعبد وهذا خروج عن الموضوع الدينى ،خروج لم يخل بقيمة المعبد من حيث جماله .

أما المعبد المصرى القديم فهو يشير بالهيبة والعظمة فالخضوع ، فالرهبة ، وهذا الشعور ناشىء من الشعور بالضعف أمامالقوة والرهبة الدينية .

وقد راعى الفنانالمصرى فىمعبدهصلاحيته للعبادة من جميع النواحى ، فجعله لا يصلح الا للعبادة بل والعبادة لا تصح أن تقام الا بين جدرانه .

فتصميم المعبد واختيار موقعه فى مكان بعيد عن الحياة المادية الدنيوية والبيئة الدينية التى أحاط بها الفنان البارع معبده ، كل هذا يفصل المتعبد عن العالمالمادى فيحصر ذهنه فى دائرة روحية بحتة .

والذى زار المعابد المصرية القديمة فىسفح أهرام الجيزة وفى سقارة وفى طيبة ،والعرابة

المدفونة بل وفى كل مكان فيه معابد مصرية قديمة يدرك لأول وهلة أن الفنان المصرى القديم صور هذه المبانى بصورة تمثل معانى القوة والخشوع والرهبة . وبقدر ما كان لمعابد المتصوفة من طابع الخشية والوقار والبعد عن زخارف الدنيا لم يكن لها هذا الجمال والرواء .

بين البساطة والزخرف :

ان فن المعمار الصوفى الذى كان يتجلى فى بعض المساجد والخلوات لا يهمه هذا المظهر ، فهو من البساطة بمكان ، فيه بساطة التوحيد ومهابته بمعناه الروحى السامى فتوحيه الى من يتعبد ، فيتوجه الى الله وحده ويتغذى بفضله ورضاه ، ذلك لأن الصوفى الحق وهو يتعبد يكون فى رياضة عقلية وروحية لها فى تهذيب النفس أكبر أثر . وأى تهذيب للنفس كاتصال الانسان بالكون فى مثل هذه الخلوة الصوفية فى هذا المنقطع ، يسمو به الانسان القانت فوق حاجات الحياة ويرى أثناء ذلك فى شظف العيش ، وفى الغنى بالنفس عن كل شىء ما يزيده ايمانا بالله وحده ، وبأنه – جل شأنه – دون سواه تجب له العبادة باسمه ليسبح له من فى الأرض جميعا ، ومن فى السموات ، سمو يتضاءل أمامه الجاه والمال والسلطان ، ويصبح الفقر معه فخرا وتصبح الفضيلة معه لباس المتقين .

واذا كان بعض الناس يحسبون أن خير العبادة ما كان فى هياكل فخمة العمارة ، ذات محاريب وأبراج تأخذ روعتها بالنظر ، فقد غفلوا عن أن خير العبادة ما توجه الانسان فيه بكل قلبه الى الله ناسيا نفسه محبا فى الله اخوانا مستعينا بربه . وذلك شأن القدامى من الصوفية ، وذلك شان معابدهم التى أقاموها فى مصر وفى ليبيا وفى المغرب وفى سوريا وفى تركيا .. الى غير ذلك . نرى أنها صورة نقية للاسلام فى طوره الأول ، فهذا الرسول – صلوات الله عليه وسلامه – بنى مسجده فى دار أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى وشارك أصحابه فى بنائه وعمل فيه بيديه وبناه فسيحا ، جدرانه الأربعة من الآجر والتراب وسقف جزء منه بالجريد وترك الجزء الآخر مكشوفا وخصصت احدى نواحيه لبعض الفقراء الذين لا يملكون مسكنا ، وكان هذا المسجد كافيا على بساطته للغاية التى قصد اليها من بنائه .

فقد كان الاسلام – كما دعا اليه الرسول – دين القوة على الحياة والزهد فيها مع السعى للرزق وجنى ثمراته لكى لا ينسى الانسان نصيبه من الدنيا ، وكان المسلمون يومئذ يدركون هذه المعانى ادراكا دقيقا أن كان لهم فى رسول الله أسوة حسنة ، وأين يكون زهد فى الحياة الدنيا وزخرفها اذا لم يكن فى مساجد الله ودور عبادته ؟ .

وكيف يقتل المرء غرور النفس اذا لم يشعر ساعة وقوفه مصليا بين يديه ربه انه غير متصل بخلق الله ، لا حائل بينه وبين خالقه العظيم ؟

بل كانت العمارة الصوفية بعيدة عن هذا الطراز الموشى بزخارف ركز الانسان فيها صورة من جمال الطبيعة ، انتزعها خياله من كل ما يحس ويرى فى مظاهر هذا الجمال ثمة يضرب بها الى الآلهة فى العهود الوثنية ارضاء لهم بجلالها واتقاء غضبهم بجمالها ، قال الدكتور هيكل « وقد أراد رجال الكنيسة المسيحية وخاصة الكاثوليكية أن يقرب هيبة هذا الفن من النفوس صورة المعجزة التى تقوم المسيحية على أساسها » .

أما الاسلام فكان فى صفائه بريئا من هذه المظاهر ، فكان المسجد فى بساطته صورة لبساطة الاسلام وقوته ، وانما كان هذا التطور الذى يشاهد الآن فى كثير من المساجد والمعابد الاسلامية من الزخرف مظهرا لتأثر المسلمين بالتفكير الكنسى والذى تسرع النفس الانسانية الى مثله ، حين لا تجد سندا من الايمان بالله يعصمها من الضعف أمام سلطان الطبيعة ، فالنفس الانسانية محتاجة الى مظاهر قريبة منها يدركها الحس وترى فيها صور الكون والحياة مجتمعين ، لا تستطيع السمو الى الحقيقة المجردة التى تمثل هذا المعنى ولا تستطيع امتثالها فى كل صفائها ما لم تكن لها فى ذلك أسوة كما كان للمسلمين فى رسول

الله أسوة حسنة أو تبلغ من المعرفة التى تؤهلها للاتصال بالكون حظا عظيما » .

كيف ولماذا ؟

اقبلت الدنيا على المسلمين ، وفاضت بيوت المال بما أفاء الله عليها من شتى نواحى الأرض التى خضعت لدين التوحيد ، وتأثروا بما شاهدوه فى المعابد المسيحية من آى الزخرف والبهاء ، وبعد أن كانت المساجد والمعابد تمثل البساطة والزهد صارت على ما نرى من الفخامة والرواء : بعلو بنيانها ودقة تشييدها وأعمدتها الرخامية ونقوشها الفنية ، وقبابها الشاسعة الأرجاء ، ومناراتها الذاهبة الى السماء، وأرضها المفروشة بالبساط والسجاد، وكان من الطبيعى أن شمل هذا التطور مساجد الصوفية ومعابدهم ، فانتقلت من مهد البساطة الى فتوة الحضارة ، وصرنا نشاهد مثلا فى مساجد البدوى والدسوقى والقنائى والمرسى والبوصيرى.. بله مشاهد آل البيت ومساجد الآستانة وايران والهند وباكستان فنونا رائعة من الأنماط القوطية والرومانية فى هذه العقود المستديرة والعمد الاسطوانية والنوافذ المقوسة والدعائم البارزة أو المخموسة .. الى غير هذا .

يعتذرون عن ذلك بأن نظام الحياة يقتضى هذا ومجاراة التطور الذى لا يمس الدين من واجب المسلمين ، والله تعالى لم يحرم الزينة التى أخرجها لعباده ، والطيبات من الرزق ، ولا سيما اذا كان ترك هذا ينتقص رجالها عند غيرهم ، وأن ذلك من باب التحدث بنعمة الله .

على أن مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو القدوة العظمى لمعابد المؤمنين قد تطور فى عهد عمر وعثمان ، وهما من هما ، وفى زمن التابعين حتى ان الوليد الخليفة الأموى (٨٦ - ٩٦ هـ) أرسل الى ملك الروم أن يعينه على عمارة هذا المسجد فبعث اليه بمائة ألف مثقال ذهب وبعث اليه بمائة عامل، وبعث اليه من الفسيفسا بأربعين جملا ، وجعله مناسبا لعظمة المملكة الاسلامية وبنى كذلك مسجده العظيم بدمشق ، ولا يزال شىء من آثاره شاهدا بتلك العظمة .

وقد يستأنسون لهذا التطور أيضا بما روى عن عمر امام الزاهدين ، حين ذهب الى الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار ، فتلقاهما معاوية - وكان واليا عليها - فى موكب عظيم ، فجاوز عمر معاوية حتى أخبر به ، فرجع اليه حتى قرب منه فنزل اليه فأعرض عنه ، فجاء يمشى الى جنبه راجلا فقال عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل ،

فأقبل عليه عمر قائلا لمعاوية :

- أنت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، لأننا فى بلاد لانمتنع فيها من جواسيس العدو ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك أقمت عليه ، وان نهيتنى عنه انتهيت .

فقال عمر : لئن كان الذى تقول حقا فانه رأى أريب ، وان كان باطلا فانها خدعة أديب، وما آمرك به ولا أنهاك عنه ..

فقال عبد الرحمن بن عوف :

- لحسن ما صدر عن هذا الفتى عما أوردته فيه .

فقال : لحسن مصادره وموارده ، جشمناه ما جشمناه .

ويقرب من هذا تطور كسوة الكعبة الشريفة الى ماصارت اليه الآن من سندس واستبرق وآيات قرآنية بخطوط ذهبية ، تنافس فى كسوتها بذلك ملوك الاسلام طيلة هذه القرون وكانت مصر - وما زالت - معقل الاسلام وموئل الأحرار ومنطلق الكرامة والحرية ، وفارس الحلبة فى هذا الميدان، تقدم لها من مئات السنين هذه الكسوة الفاخرة وتقيم ليوم سفرها احتفالا تعطل من أجله الدواوين ، اشاعة لفضلها ، واخلاصا لدينها ، وشعيرة لشأن المسلمين ، وحثا على الحج للمتقين .. وترسل معها كذلك كسوة للروضة الشريفة لا تقل روعة عن كسوة الكعبة ، أبدع فيها الصانع المصرى ما شاء له الابداع ، وما زالت كذلك حتى دخلت الأحقاد الشخصية فى صدور من تولوا حكم الحجاز أخيرا ، فذكرتنا بشأن هذا المستفتى عن هذا الحائط الذى بال عليه

الكلب ، وجواب من استفتاه ، وقاتل الله عادة النفاق ..

تترك الستائر الممزقة حول قبر النبي يراها الملايين من الحجاج فتنطوى قلوبهم على الأسى والألم ، وهم يتطلعون الى الستائر الخضراء المهلهلة تحيط بالمقام الشريف ، ويودون أن يستبدلوها على نفقتهم ومن أعز أموالهم ، ما دام المشرف على الركن والمقام يزعم أن هذا بدعة تنافى تعاليم الاسلام ، ومادام هذا فى جانب الرسول .

أما هذه القصور المشيدة واقتناء الجوارى والسيارات ، وانفاق الملايين من الدولارات فى كل شيء ما عدا شعب الحجاز ، وجيران بيت الله فليس من البدعة التى يأباها الدين مهما أوغرت صدور المعوزين وتجافت عما يطلبه الاسلام من الحاكمين حيال المحكومين .

وكان يسع هذه القلة من الحمقى المنافقين ما وسع الصحابة والتابعين فيما أشرنا اليه فى هذا المقال ، اذن لشفوا قلوب المؤمنين الذين يرون فى هذا تكريما لنبيهم وارضاء لمشاعرهم ، واعلانا للاجانب بأنهم لن يبخلوا بوضع كسوة لائقة رمزا لهذا الود والتقدير لصاحب القبر سيد العالمين .

وليس فى هذا اشراكا بالله ، ولا خروجا عن سنة من اصطفاه . والقرآن امامهم يتلونه كما يتلوه هؤلاء الأغرار ، الا أن جمهور المسلمين (وليس هؤلاء منه) لم يدخلوا الضيم على آياته ، ولم يبرزوها عن ظل هى فيه أو يدفعوها عن ماء هى اليه ، ولكن هو الكذب على دخلة ونية ، والجهل على حمق وغرارة ، طبعت على بعض القلوب ، وغشت على بعض الضمائر « **كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون** » .

أثر الصوفية فى العمارة والعمران فى العالم الاسلامى :

ترتب على هذه الخلوات التى أقاموها والمساجد التى بنوها ، أن تجمع العمران حولها وبنى الناس على أثرها وامتد البناء حتى كون مدنا عظيمة العمران زاخرة بالسكان كان لها فى تاريخ البلاد شأن عظيم فى التقدم والرخاء واستبحار العمران وتعدد المرافق .

وللقارىء أن يرجع الى عهد تأسيس بعض المدن المصرية كطنطا ودسوق ليدرك أى أثر كان يتركه تأسيس المساجد والزوايا فى نفوس الناس فيسارعون فى جوارهما مصلين متبركين ثم مقيمين منتفعين بزراعة أو تجارة ، أو سواهما ، وهذه جغبوب الواحة بليبيا قد حولت شطرا كبيرا من الصحراء الى عمران ، بفضل زوايا السنوسية ..

وقل مثل هذا فى نواحى الأقطار الاسلامية كتونس والجزائر ومراكش وسوريا ، مما يطول شرحه ولا يمكن حصره .

وفى أيامنا هذه يلاحظ أنه اذا أريد اصلاح أرض بور أو اغلاء ثمنها عمد أصحابها الى اقامة مسجد أو مزار تذكارا لولى فلا يلبث الناس أن يقدموا ويعمروا وينفعوا وينتفعوا .

الزوايا ومرماها :

يذهب المقريزى ـ وهو ما لا نقطع به ـ الى أن نظامها دخل فى الاسلام فى القرن الخامس للهجرة ، وفى تاريخ الغزالى أنه كان رئيسا لطريق صوفى فى خانقاه فى طوس .. وانشأ صلاح الدين الأيوبى خانقاه سعيد السعداء ، وسماها دويرة الصوفية جعل لشيخها التقدم على غيره من المشايخ ، وكان لا يولى عليها الا أعظم رجال الدولة من الأكابر والأعيان ، وكانت بمثابة مدارس روحية يتربى فيها المريد فلم تقتصر على العبادة .

ولمن شاء أن يطلع على كتاب معيد النعم للسبكى المتوفى سنة ٧٧١ هجرية ليجد آدابها وشروط الدخول فيها ، وما قيل عنها من كبار رجال الشرع والأدب ثم يذكر بعض العيوب التى أشار اليها المعرى قبل أن يوجد السبكى بأربعة قرون فيقول فى لزومياته :

أرى جيل التصوف شر جيل
فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه
كلوا أكل البهائم وارقصوا لى ؟

الإسلام وحرية العقيدة

الأستاذ محمد زكريا البرديسى

الاسلام هو ذلك الوميض السماوى الذى شع على الدنيا ، فبدد ظلامها الدامس وقشع سحابها الداكن .. فقد كان العالم فى شتى بقاع الأرض يموج بالفساد ، ويرزح تحت نير الطغيان ، يتناوبه الطيش والبطش ، ويتقاذفه الضعف والعنف يسيطر عليه الذل والعز ، وينخر فى عظامه سوس الفرقة والبغض ، تشتت شمله عوامل الدس والكيد وتقوض صرحه معاول العبودية والرق ، وتزلزل كيانه أعاصير خنق الحريات ، وتسمم جوه ريح تكميم الأفواه الهوجاء .

وما أن بدا ذلك النور الالهى حتى غرق الناس فيه ، فتبدل فسادهم هدى ورشادا ، وطغيانهم خشوعا وخضوعا ، وطيشهم وداعة واتزانا وبطشهم عدلا وأمانا ، وعنفهم هدوءا واستقرارا وفرقتهم وحدة وائتلافا وبغضهم حبا ووئاما ، وعبوديتهم حرية واقتدارا ، وذلك بفضل الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة المكابرين المعاندين بالحسنى ، فما استعمل الرسول صلوات الله عليه فى دعوته عنفا بل كان يهدى الى الحق بأرق الأساليب وأدمغ البراهين مما حبب الناس فى دينه الحنيف ، فدخلوا فيه أفواجا طائعين مختارين لامرغمين ولا مكرهين ، فحرية العقيدة أولى المبادىء المثالية الرشيدة ، التى نادى بها الاسلام ، وعمل على تطبيقها الرسول — صلى الله عليه وسلم — بين الانام ، فأثمرت ثمرتها وآتت أكلها بأذن ربها ، وانتشر الاسلام وهو أغنى مايكون عن وسائل القهر والعنف واكراه الناس عليه لأنه الدين الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فلا حاجة الى استعمال وسائل القوة فى نشره لأنه هابط من السماء ونابع من صميم حكمة الله فلا بد له من النصر المبين ، لذلك لم يرغم الرسول — صلى الله عليه وسلم — الناس على معتقده الجديد ولم يكرههم على اعتناق دينه الحنيف بل تركهم أحرارا فى معتقداتهم يدينون بما يشاءون ويعبدون ما يريدون وهو حين يترك لهم هذه الحرية التامة لم يغفل ما أرسل من أجله فقد كان يدعوهم الى الحق بأروع الأساليب وألينها ويجادلهم بأقوى الحجج وأدمغها ، تنفيذا لأمر ربه العلى العظيم الذى يشير اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »**

وفى اعتقادى أن حكمة هذا الأمر الكريم الذى يقتضى لين الجانب فى المجادلة والوداعة فى المناظرة استمالة القلوب واخراجها من الظلمات الى النور قال تعالى « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

وفعلا كان للين الجانب فى الدعوة وعدم استعمال العنف فى نشرها أثر كبير فى الوصول الى الأهداف المنشودة والغايات المقصودة فاذعن

ألد أعداء الاسلام له وآمنوا به وانتشروا فى الأرض مبشرين ومنذرين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. الى أن أصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وذلك دون اكراه أو ارغام بل كانوا دائما جاعلين نصب أعينهم وهم يبشرون بالدعوة الاسلامية قول الله تعالى « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » فهذه الآية الشريفة تنطق فى صراحة بأنه لايجمل بالداعى الى الاسلام أن يرغم الناس على اعتناق مبادئه وأن يحملهم على تطبيق تعاليمه « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » « **من يهد الله فهو المهتد** » « **ومن يضلل الله فماله من هاد** » ، « **قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب** » .

وفى تصورى أن حرية العقيدة هى المقصود من هذه الآية الكريمة فقد روى عن ابن‌عباس فى سبب نزولها أنه قال : **نزلت فى الأنصار كانت تكون المرأة مقلاتا فتجعل على نفسها ان عاش لها ولدها أن تهوده فلما أجلت بنو النضير فى السنة الرابعة كان فيهم كثير من أبناء الانصار فقالوا لاندع أبناءنا فاننا فعلنا مافعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن فيه ، أما وقد جاء الاسلام فيجدر أن نكرههم عليه فنزلت آية « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للانصار « خيروا أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم »**

قال النحاس : قول ابن عباس فى هذه الآية أولى الأقوال بالصحة .. لصحة اسناده وأن مثله لا يؤخذ بالرأى ، ولا اعتبار لما يقال ان هذه الآية كان معمولا بها فى صدر الاسلام ثم نسخت بالآيات التى توجب القتال كقوله تعالى « **يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** »

فالجهاد الذى فرضه الله على المؤمنين لم يكن الحافز اليه اكراه الناس على العقيدة والحيلولة بالقوة بينهم وبين مايعتقدون وانما الدافع الى‌الجهاد والمحاربة‌بقاء الكفار على جحود حق‌الله وعصيانهم لأمره بعد وضوح الحجج وظهور الدلائل وبعد الاعذار اليهم ، وحماية الدعوة والحق الذى جاءت به من عدوانهم ليكون الدين كله لله قال تعالى « **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** » .

ولهذا نرى الفقهاءعلى بكرة أبيهم لايعتبرون من أكره على الكفر وكان قلبه مطمئنا بالايمان كافرا عملا بقوله تعالى « **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** » .

وكما نراهم جميعا يتفقون على عدم اعتبار كفر المكره نرى جمهورهم يجمع رأيه على أن‌من أكره على الاسلام وأجبر عليه‌لايعد مسلما عملا بقوله تعالى « **لا اكراه فى الدين** » والدين هو الملة والعقيدة بدليل قوله تعالى بعد ذلك « **قد تبين الرشد من الغى** » وعملا بما روى عن على رضى الله عنه فى الذميين ومن فى حكمهم « **أمرنا أن نتركهم ومايدينون** » واكراههم على تبديل دينهم بالدخول فى الاسلام لم يكن تركا لهم وما يدينون

ولا يتجه على ماروى عن على رضى الله عنه أنه قول صحابى فيما للرأى فيه مجال فلا يكون حجة لأن هذا المروى مرفوع الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذا من لفظ « **أمرنا** » ولا آمر سوى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومما يرشح أن المقصود من آية « لا اكراه فى الدين » النهى عن اكراه الناس على‌الاسلام وتركهم أحرارا فيما يدينون وفيما يعتقدون ما روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ انه قال لنصرانية عجوز : اسلمى تسلمى ان الله بعث محمدا بالحق قالت : أنا عجوز كبيرة والموت قريب فقال عمر اللهم فاشهد وتلا قوله تعالى « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** »

ولا عبرة بما ذهب اليه الحنفية من جواز الاكراه على الاسلام واعتبار اسلام المكره محتجين بنسخ هذه الآية ومستدلين بقوله تعالى « **وله‌أسلم‌من فى السموات والأرض‌طوعا وكرها** » اذ الراجح كما أسلفنا عدم النسخ وان المراد من أسلم فى‌الآية الانقياد والخضوع بدليل لفظ السموات ،

ومما سبق يظهر لك واضحا جليا أن حرية العقيدة نادى بها الاسلام وأنها من أوليات مبادئه المثالية الرشيدة التى كان لها الأثر الأكبر فى نشر دعوة الله وتعلق الناس بأهدابها

ونحن اذ نرى اليوم ميثاقنا الاشتراكى العملاق يقررها ويعترف بها ، ويدين لها .. نؤمن بأن هذا الميثاق لايتوخى الا الحق ، ولا يعرف الا الصالح العام فسائر مبادئه منبثقة من شريعة الله ومن روح المبادىء القويمة والمثل العليا الرشيدة الحكيمة

فحرية العقيدة مبدأ قويم نادى به الاسلام ، وغصت به آيات كتاب الله فها هو ذا سبحانه وتعالى يقول « **قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ماأعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين** »

فهذه الآيات البينات ناطقة بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكره الكفار على اعتناق دينه بل قصر كفرهم عليهم وقصر التوحيد عليه وتركهم أحرارا يتعبدون على دينهم .

ومن الآيات التى تحتوى على هذا المبدأ قوله تعالى « **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** »

فقد أباحت هذه الآية أن يرتبط المسلمون بأهل الكتاب عن طريق المصاهرة فيتزوجون منهم ويكون للزوجات الكتابيات من الحقوق والواجبات ماللزوجات المسلمات كما يكون للزوجات الكتابيات المتزوجات المسلمين الحق الكامل والحرية التامة فى الابقاء على عقائدهن والذهاب الى الكنائس لأداء الطقوس الواجبة والذهاب الى الكنائس لأداء الطقوس الواجبة من قلوبهن .

ومن وادى هذه الآيات قوله تعالى « **فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء** » .

فقد خيرت هذه الآية الكريمة الامام فى أن يطلق سراح أسير الحرب دون عوض ودون مقابل وفى أن يفك قيده بمقابل مالى أوشخصى ولوكان الاكراه على العقائد أمرا جائزا لكان ضمن ما خيرت فيه الآية ، لكنها أعرضت عنه واقتصرت على ماسواه والاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر

وبناء على هذا الحصر .. للامام أن يترك الكافر أسير الحرب حرا فيما يعتقد دون أن يرغمه على معتقد معين بيد أن الامام اذا جعل الأسير حرا ذمة للمسلمين لابد أن يضع عليه الجزية لا عقوبة له على اعتقاده وانما لحمايته والذب عنه

ولا شك أن الجزية قدر ضئيل بالنسبة لما يقوم به المسلمون نحو هؤلاء الأسرى من حمايتهم والدفاع عنهم ، والمحافظة على أموالهم وأنفسهم ، وجعلهم لهم مالنا وعليهم ماعلينا .

وهذا مافعله عمر رضى الله عنه بسواد العراق ،فقد فرض الجزية على أهل السواد والخراج على أراضيهم ووافقه على ذلك الصحابة رضوان الله عليهم فكان اجماعا ، ولا يطعن فى هذا الاجماع بمخالفة بلال وصحبه ، فقد روى رجوعهم الى رأى عمر رضى الله عنه

واذا كان الاسلام لايرغم الناس على معتقد بعينه فأولى ألا يرغمهم على اعتناق مبدأ معين أو فكرة معينة

على أن الاسلام لايعنى من هذه الحرية أن يترك الناس طلقاء ولو كانوا على الباطل دون أن يرشدوا الى الصواب ، ودون أن يدعوا الى سواء السبيل

فالاسلام ينادى بألا ارغام على اعتقاد الانسان مالايريد ، وألا اكراه على اعتناق مالا يحب بل يترك حرا طليقا يختار مايحلو له ويطيب بعد ارشاده الى الحق وبيان الرشد من الغى

قال تعالى « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد»

وقال تعالى « **قل يأأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** »

حاجتنا إلى فهم القيم

الدكتور محمد بيصار

تتجاذب العالم اليوم تيارات مختلفة ، ومذاهب متعددة ، ونظم متباينة . وقد أوقع هذا كله الانسانية فى ظلمات الحيرة ،وأغرقها فى محيط من الشك والتردد مما كان ذا أثر قوى فعال فيما يسود عالمنا الحاضر من اضطرابات فى شئون حياته الواقعية ، وذاأثر قوى فعال كذلك فى الشرود به عن طريق النجاة من هذا المحيط الهائج بالفتن المائج بالمشاكل

وكنتيجة لذلك كله كان هذاالصراع الدامى المستمر بين مختلف القوى سواءفى المجتمعات المحلية أو المجالات الدولية . هذا الصراع الذى لايكاد ينتهى الا بأن تدك الأرض بمن عليها ، فيجتاح أمما برمتها ويقضى على كل مالها من مقومات ، وما ورثت من حضارات .

وموطن الخطر فى هذه الظاهرة أن الحق الذى ينشده الأبرياء من البشر يذوب أمام طالبه فى أمواج متلا طمة من وجهات النظر ، وأن ما يتحسسه الناس من واقع الأمر يحجب ضياؤه بسحب قاتمة من الدعايات الممقوتة والأكاذيب المضللة التى تتسلح - غالبا بأقوى الامكانيات وشتى الوسائل .

ونخرج من كل هذا بحقيقة واحدة هى :

اخفاق مجتمعاتنا الحاضرة فى تصورها للقيم وبالتالى انحرافها فى تحديد أهدافها من هذه الحياة .

فما لم يتحدد الهدف من الحياة لمجتمع من المجتمعات ، وما لم تتضح لدى كل فرد من أفراده أو معظمهم على الأقل الملامح الحقيقية لصور القيم التى ترسم له خط السير فى طريق قويم الى هدفه المحدد ، لايمكن بحال من الأحوال أن تستقيم أحوال ذلك المجتمع أو تتكامل أطرافه وتتضافر على سد ما به من وجوه النقص وتقوية مايعانى من مواطن الضعف .

وقد عنى الاسلام فيما عنى به من أهداف سامية ومقاصد عليا الى تكوين مجتمع قوى متماسك تتوفر لكل فرد من أفراده أسباب الحياة الكريمة ، وأواصر الترابط القوى المبنى على الثقة الأكيدة والحب الوافر والتعاون المتبادل .

لهذا كان لابد للاسلام من أن يواجه - فيما يواجه من مشاكل - هذه المشكلة فى مجتمعاتنا الحاضرة فيهدف الى تحديد القيم ، وغاية الحياة تحديدا يتناسب مع مقتضيات الحياة الأبية الكريمة لكل فرد من أفراد المجتمع ويؤكد فى نفسه الثقة - بعد الله - بنفسه كعضو فعال بناء فى هذا المجتمع وخلية متحركة فى مجاله وبمجتمعه كوحدة متماسكة متكاملة متكافئة تسعى الى أهدافها المرسومة ، وغاياتها المحددة بخطى يقظة حذرة لايطغى فيها جانبها المادى على جانبها الروحى ، ولايعوقها اعتبارها لهذا الجانب الروحى عن الاندفاع الحثيث والتفاعل بعزم واصرار مع مقتضيات الحياة المادية والنظم الاجتماعية التى تعد مقوما ضروريا من مقومات مجتمعاتنا الحاضرة . حيث تتبارى القوى وتتصارع الأفكار ويتنازع الجميع البقاء على ظهر هذه الأرض .

ولكى نرسم صورة واضحة للوضع الذى عالج الاسلام به مشكلة « القيم » نضرب لذلك مثلين :

أحدهما : يصور الوضع بالنسبة لواقع الأمر فى المجتمعات المحلية .

وثانيهما : يصوره فى المجالات الدولية .

أما الأول فهو مثل « الحرية » فهى مبدأ من المبادىء السامية وغاية - ان لم تكن أنبل الغايات - فهى من أنبلها وأسماها . يتغنى بها الناس ، وتلوكها ألسنتهم فى مناسبة وفى غير مناسبة . ومع هذا كله يبدو من تصرف كل فرد على حدة ومن طريقه الذى رسمه لنفسه بالنسبة لها أنه يذهب فى تحديد مفهومها

مذهبا خاصا يختلف اختلافا كليا أو جزئيا عن تحديد غيره لها .

وأكثر من ذلك أن هذا التحديد أو ذاك لمفهوم الحرية يتناسب غالبا مع مالهذا الفرد أو ذاك من مصالح ذاتية ومنافع شخصية . أما صالح المجتمع ككل ، وخير الجماعة كوحدة فلا وزن له فى هذا الفهم ، ولا اعتبار له فى ذلك التحديد .

فالتدخل من أى سلطة للحيلولة بين العربيد وبين الاعتداء على أعراض الناس فى نظره حد من حريته ، والحجر على السفيه الذى ينفق ماله فيما يضر بمجتمعه الذى يعيش فيه تدخل فى شئونه الشخصية ، وتوجيه رأس مال الفرد الى مايدعم الاقتصاد القومى ويسهم فى النهوض بشئون المجتمع فى زعمه اعتداء على حرية الملكية ، ووضع اطار عام يحمى مجتمعنا من الانهيار الخلقى أو المبادىء الهدامة جمود ورجعية ، ومقاومة الأفكار الضارة والنزعات التى تخلق بلبلة فكرية وهزات عقدية فى مجتمعاتنا حد من حرية الرأى واعتداء على حق التأليف . حتى بعض المنتسبين الى الأديان السماوية اذ ماردوا عن مغالاتهم سواء كانت فى اتجاه تقدمى أو اتجاه رجعى عدوا ذلك افتياتا على حرية العقيدة وحق التدين . وهكذا نرى أنه - حتى فى الجماعة الواحدة - تختلف قيمة الحرية ومفهومها ، وينحرف بها الناس الى أوضاع تكون أضرارها بالجماعة بالغة المدى بعيدة الأثر .

ولكن الاسلام . وقد جاء لتوحيد المبادىء والاتجاهات - قد وضع لميزان القيم ومقاييس التصرفات اعتبارات انسانية تقتضى كفالة مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة معا .

جرد الاسلام هذه القيم من كل معنى شخصى وأبرزها للناس فى صورة كلية جماعية تنتصر فيها نوازع الخير على نزعات الشر ، وتسمو بنفس الفرد عن كل موروث قبيح أو تقليد ظالم .

ففى فهم الاسلام لمعنى الحرية يضع فى الاعتبار الأول أسسا للتصرفات واطارا عاما لأفعال المكلفين يضمن به خيرية الارادة ، وسلامة الهدف ، ومشروعية الوسيلة ، ثم فوق هذا كله أن لايترتب على هذا الفعل أو ذاك الحاق أضرار مادية وأدبية بالآخرين أفرادا كانوا أو جماعات

فلكى تكون حرا فى نظر الاسلام لابد أن يقصد بعملك الخير ، ولابد أن تكون محددا لهدفك واثقا من سلامته ، ثم لابد أن تسلك اليه الطرق التى تقرها مبادىء السلوك الانسانى . وقد تتحقق هذه كلها فى فعل ما ، فيكون مشفوعا بالارادة الخيرة وهادفا الى غاية فى ذاتها نبيلة ولكنه يترتب عليه الحاق الضرر بالآخرين وان لم يكن مقصودا ، وحينئذ لايمكن أن يمنح الاسلام صاحب هذا العمل حق الحرية فى تصرفه .

تصور لنا هذه المعانى كلها مايؤخذ من قوله عليه السلام « **انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى** » وقوله تعالى فى وصف المؤمنين « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » ثم قوله جل وعلا « **ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها** »

يشير الله جل وعلا فى هذه الآية الأخيرة الى أن مايقدمه المرء من أعمال فردية لمجتمعه الذى يعيش فيه سيعود عليه ثانية كفرد فى هذا المجتمع ، فان قدم خيرا كان نصيبه الخير وان قدم شرا كان نصيبه الشر . ولعل هذا المعنى هو مايشير اليه الرسول الكريم فى حديثه « **مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر** » وفى قوله عليه السلام فى هذا المعنى « **المؤمن آلف مألوف ولاخير فى من لايألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس** »

أما المثل الثانى الذى توضح به ماتعانيه البشرية فى محيطها الدولى من اضطراب فى القيم فهو « السلام »

فالسلام مثلا تتسابق الأمم فى تلبيته والدفاع عنه ، وكل من المعسكرين الدوليين يدعى أنه وحده الحارس لقضيته ، العامل على نشر دعوته الساعى الى دعم أركانه ، مهما قامت الشواهد تلو الشواهد من تصرفات هؤلاء وهؤلاء على أنهم جميعا ألد أعداء السلام ودعاة حرب وخصام لا ألفة ووئام .

ولا شك أن المفهوم لكلمة السلام عند كتلة من الكتل يغاير المفهوم منه عند الكتلة الأخرى بل يناقضه أحيانا ، مادام ذلك المفهوم يقترن وجودا وعدما بمصالح هذه الدولة أو تلك دون اعتبار لمصالح الآخرين •

ولهذا ، ارتكبت فى تاريـــخ البشرية ـ باسم السلام ـ أبشع جرائم الاعتداء ، وأقذر حوادث القرصنة ، وباسمه كذلك اســترقت شعوب ، واستبيحت حرمات ، وأهدرت حريات والناس مابين الكتلتين تتجاذبهم الــدعايات ، ويتقاسمهم التسابق ، وترهق أعصـــابهم موجات من المــد والجزر المذهبى ، وجـولات من الكروانفر السياسى ، حتى انبثق من ينابيع الخير ، وتدفق من معين الحكمة مفهوم جديد للسلام ، نادت به كتلة ثالثة هى كتــلة الحياد بين الشرق والغرب • وهو نفســه المعنى الذى تلتقى عنده أفهام الابرياء من الناس والأصفياء منهم الذين جردوا أنفســهم عن المصالح الشخصية والغايات الفردية والتعصب القبلى أو المذهبى • هذا المعنى يتلخص فى كلمة بسيطة :

أن يأمن النـــاس بعضهم شر بعض ، وأن يتواصوا بالحق والخير فيما بينهم ، وأن تقوم الروابط بين شعوبهم وأممهم على أساس من الاحترام المتبادل لواجباتهم المقررة وحقوقهـم المشروعة ، وحرياتهم المنشودة •

وبهذا المعنى للسلام بشرت المسيحية عـلى لسان عيسى وبه بشر الاسلام على لسان محمد عليه السلام ، وسمى الله به نفسه تقديسا له فقال « الملك القدوس السلام » وأوصى المؤمنين بالدخول فيه فقال « ادخلوا فى السلم كافة »

وفوق هذا يقرر الاسلام نظرية السلام على أسمى ماتصبو اليه البشرية فدعى المسلمين الى قبول كل شروط للصلح يعرضها عليهـم أعداؤهم ، مادام فى قبولها حقنا للدماء وصيانة للحرمات ، وأمنا وسلاما لكل من الطرفين « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل عـلى الله » وبجانب هذا كله وضع الاسلام القواعد والأسس العملية التى من شـأنها أن تخفف من أهوال الحرب عندما تكون ضرورية لابـد منها • فنهى عن قتل المرأة فى بيتها ، والصبى فى مهده ، والراهب فى معبده والمريض فى فراشه • وبهذا حصر القتال فى ميدان المعركة فلا يتعـــداه الى غيره من الآمنين الوادعين « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » • وقد جاء فى وصية أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ لجيش أسامة « وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفســهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » • ومن وصية عمر بن الخطاب لامراء الجيش « ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ، ولا وليــدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شن الغارة » فأى رفق بالانسانية يعدل هذا الرفق ؟ وأى مثل للتسامح والكف عن تتبع الفارين الذين يلقون سلاحهم طالبين الأمان ، أسمى من ذلك المثل الذى يضربه القرآن « ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيـــاة الدنيا » •

هذا هو سلام الاسلام ، لايمكن بهذا المعنى الواضح الجلى أن يكون أمنا لقوم وخـــوفا لآخرين كما لايمكن أن يكون ذريعة لوصايات جبرية تفرض على من يسمونهم ضعفاء متخلفين وانما هو أمن للناس كافة على اختلاف مللهم ونحلهم ورحمـــــة للخلق عامة على تبيان مذاهبهم وأجناسهم ، وتعاون متبـــادل لخير البشرية والسير بها نحو غاياتها الانسانيـــة ومثلها الرفيعة ، فتحيى فى جو مشبع بالثقة على أساس من الاحترام التام والحب المتبادل

هذا التصوير الموجز لتحديد الاســلام ، للقيم الانسانية ، يضع أقدامنا على نقطة البدء فى طريق النجاة ، ويأخذ بأيدينا الى ســبل العزة ، ويصعد بنا فى مدارج الرقى والتقدم متعاونين متضافرين متحابين لافرق بين قوى وضعيف أو غنى وفقير ، ولا بين أمة من ذهب وأخرى من تراب

فاذا ماجرد الناس أنفسهم من عــوارض التفرقة وعوامل الشحناء والتفوا جميعا على فهم واحد ومدلول واحـد وهدف محدد ، عمهـم الخير وشملتهم رحمة الله ورفلوا فى حلل من السعادة ورخاء العيش ، والا فويل للانسان من الانسان

حاجتنا إلى الإسلام

الدكتور أحمد كمال أبو المجد

من الحقائق الكبرى التى لايجوز أن يغفل عنها الباحثون والمصلحون ۰ أن حضارات الأمم والشعوب ليست مجرد مظاهر متفرقةمن العلوم والفنون والنظم السياسية والاقتصادية وانما هى روح عامة تربط بين هذه المظاهر ، وتعبر عن نفسها بتلك الأشكال ، ومن ثمرات الادراك الكامل لهذه الحقيقة أن الحكم على حضارة من الحضارات ، وما ينتظرها من مستقبل ومصير لايجوز بحال أن يعتمد على وزن هذه المظاهر وقياسها ، وانما يجب أن ينقب وراءها عن الروح الكامنة الموجهةلتلك المظاهر والأشكال فقد تكون ضخامة جسم الحضارة علامة على أنها قد أفرغت فى الوجود الخارجى شحنتها من القوة والخلق ، واستنفدت طاقتها على التجدد والحياة ، مؤذنة لذلك بالذبول والزوال وعلى النقيض من ذلك قد لاتملك أمة من الأمم الا نصيبا ضئيلا من هذه المظاهر والأشكال ويكون ذلك آية على أن حضارتها لاتزال فى دور الشباب ، وأنهالاتزال تدخرطاقات كبيرة من دفعات الخلق والحياة ۰

ولا ينازع أحد من الباحثين المعاصرين ومؤرخى الحضارات ، فى أن الانسانية تجتاز اليوم أزمة حضارية ، يشترك فى الاكتواء بنارها الشرق والغرب على حد سواء ، ذلك أن روح الحضارة الغربية التى قدمت للناس – فى فترة شبابها – فيوضا من الخيروالثقافة والمعرفة ، توشك اليوم على الاجداب والافلاس وقد تمثلت أزمة هذه الحضارة فى ذبول العنصر الروحى فيها وطغيان العنصر الوثنى ۰۰ واذا بالتقدم العلمى والصناعى الهائل الذى دفعت اليه هذه الحضارة يتم كله بمعزل عن الجوانب الروحية فى الانسان ، ودون أن يصاحبه تقدم مواكب يلبى حاجات تلك الروح وكانت نتيجة ذلك كله من الوجهة الانسانية أن عجز هذا التقدم وعجز كل نتاج الحضارة الغربية المعاصرة عن أن يحقق للناس أى لون

حقيقى أصيل من ألوان السعادة والرضا والاستقرار ، ولم يلبث أن نشأ على أنقاض الايمان العقائدى القديم دين جديد ٠٠ يستمد شعائره ومبادئه من جو التقدم المادى والآلى ٠٠ ونشأت فى المجتمع الانسانى مجموعة من القيم والمثل تزن الأمور كلها بمقدار ماتؤدى اليه من ربح عاجل ومنفعة قريبة ٠٠ وزيادة فى وسائل الرخاء والتيسير المادى للحياة ٠ وقد أدت سيادة هذه القيم الى أزمة انسانية لايعرف لها مثيل الا خلال الحيرة الكبرى التى لازمت جاهلية الناس قبل نزول الأنبياء والرسل ٠ فانتشر القلق والتوتر ٠٠ وساد الشعور بالحيرة والفراغ ، والضياع ٠٠٠ وأخذت الفطرة الانسانية تستيقظ فى نفوس الناس معلنة سخطها على هذا الدين الجديد ٠٠ وحاجتها الى تقويم جديد ٠ للحياة والأحياء والمخلوقات كلها ٠٠ تقويم يعرف خصائص الوجود الانسانى ويقدم تصورا كاملا شاملا لكل مايحيط بهذا الوجود ٠٠ ولا يغفل جانبا من جوانبه كما فعلت الحضارة الغربية ٠٠

ومن نكد الطالع على البشرية أن الحركة المذهبية التى قامت وانتشرت فى الشرق باسم القضاء على هذه الأزمة وازالة أسبابها الجذرية — وهى الحركة الماركسية — قد جاءت أشد جهلا بحقيقة الوجود الانسانى ، وأكثر اغفالا واصطداما بمقتضيات الفطرة ودواعيها فى نفوس الناس ٠٠ والتقت فى ذلك التقاء تاما مع حضارة الغرب — حيث ظن الناس أنهما تفترقان وتختلفان ٠٠ بل ان الحركة الماركسية لم تكتف باغفال الجوانب الروحية فى الانسان وفى الكون كله ، وانما انبرت فى جرأة بلهاء جاهلة تنكرها انكارا وتحل محلها تفسيرات آلية يسيطر عليها التناقض والتحكم من أولها الى آخرها ٠٠ مما يضيق المقام هنا عن تفصيلة ٠ وهكذا لم تزد حياة الناس بهذا المخلص الجديد المزعوم الا شقاوة وبؤسا وقلقا وضياعا ٠

ومن عجائب التاريخ ومفارقاته أن الأمة الوحيدة التى تملك تلبية نداء الفطرة الانسانية هى اليوم أضعف أمم الأرض وأقلها نصيبا من التقدم المادى الذى يشكل جسم الحضارات ٠ ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ان هذه الأمة لاتكاد تنتبه الى مافى يدها من أسباب الثورة على هذا الشقاء ٠٠ ولا تكاد تحرص على المحافظة عليه والاستمداد منه ، فضلا عن التبشير به والدعوة اليه .

ان الأمر فى هذه القضية لايحتمل التردد أو المداراة ٠٠ فالأمة العربية والاسلامية تقف اليوم على مفترق طرق كثيرة ، تواجهها أخلاط من الدعوات والمذاهب والنظم والأطماع ٠٠ وتوجهها فى اختيارها بين ذلك كله ذكريات تجارب قريبة وبعيدة مع كثير من تلك المذاهب والنظم ، كما يوجهها — قبل ذلك كله — واقعها الملىء بالمشاكل المادية والاقتصادية الملحة ٠٠ ومن أخطر الأمور فى هذه المرحلة أن تختار الأمة طريقها تحت تأثير تجربة عارضة .. أو عقدة عابرة مرت بها فى حاضرها أو ماضيها .. وأخشى ما نخشاه أن تنحرف بنا ظروفنا عن الطريق السليم الذى يجب أن نختاره متحررين من اسار الضغوط المذهبية التى توشك دعاياتها اليوم أن تسد على الناس أبواب الاختيار الحر السليم ٠٠ ولنذكر —حين يواجهنا الاسلام كواحد من العقائد والنظم التى تصطرع اليوم وتتسابق للفوز عندنا .. لنذكر أن العدالة الاجتماعية والاقتصادية قد ظلت تحارب وتقاوم بين أكثر شعوب الأرض تخلفا .. باسم وقاية تلك الشعوب من الشيوعية وأخطارها وانحرافاتها .. وعبثا حاولت الشعوب وحاول المصلحون والمفكرون أن يبينوا الفوارق بين الشيوعية وبين الاصلاح الاجتماعى فى نطاق الاشتراكية المنصفة العادلة .. وهكذا أوشكت دعوة الاصلاح الاجتماعى أن تؤخذ بجريرة الشيوعية وأن تحارب باسمها ٠

واليوم تتعرض دعوة الاسلام — بين المسلمين أنفسهم — لما تعرضت له الاشتراكية وغيرها من النظم ٠٠ ذلك أن كل الانحرافات التى ألمت بالدعوات والتصورات والحركات

الاسلامية تستغل اليوم لصرف المسلمين عن دينهم .. وتصور على أنها من الأمور الملازمة للاسلام والتى لا تنفك عن دعوته .

ان الحقيقة الكبرى التى لا مفر اليوم من مواجهتها أن المذاهب التى تواجهنا كلها قد أفلست وعجزت عجزا كاملا عن أن تقدم للبشرية أسباب السعادة الحقيقية والطمأنينة الأصلية وان الاسلام كعقيدة وشريعة وبناء أخلاقى واجتماعى هو النظام الشامل الوحيد الذى استطاع أن يحقق للبشرية فى ماضيها أقصى درجة من درجات الاطمئنان النفسى والرخاء الاجتماعى والعدل السياسى .. والذى لا يزال قادرا على أن يقدم لها اليوم تفسيرا شاملا ، ونظاما فكريا واجتماعيا متكاملا ، يدير به الكون كله حول محور ثابت ثبات المصدر الربانى الذى ينبع منه ويصدر عن مشكاته ، مصداق قوله تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » .

ولنذكر ونحن نواجه هذه الحقيقة أن الحاجة الى التفسير الشامل والنظرية المتكاملة الثابتة حاجة أصيلة لا ترد ، ولا يغنى عنها صلاح الحلول الجزئية لمشاكل الواقع العملى .. ان التخلف الاقتصادى مثلا قد يعالج بالتنمية والتخطيط والتصنيع وتعبئة القوى المادية والبشرية فى الحقول والمصانع ومعاهد التعليم .. وان مشكلة الظلم الاجتماعى والفوارق بين الطبقات قد تعالج كذلك بانتهاج سياسة اشتراكية قويمة تذيب تلك الفوارق أو تقارب ما بين الطبقات .. وكل ذلك حسن وجميل يرضى عنه الاسلام ويباركه ويدعو اليه .. ولكن هذه الحلول كلها لا يمكن أن تكون خاتمة المطاف .. لانها لا تمس القضية الكبرى فى وجود الانسان .. قضية المحور الثابت الذى لن يذوق الفرد طعم السعادة الحقيقية والاستقرار الأصيل الا بمعرفته والتزامه والركود اليه .. قضية النظرة الكلية الشاملة التى يفسر بها كل هذه السياسات والأنظمة والمواقف الجزئية فى أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد .. والتى يجد – فى كنفها – معنى لحياته ، وتبريرا مرضيا لحركاته وسكناته .

ان على الأمة الاسلامية اليوم أن تختار بين طريقين لا ثالث لهما : اما أن تسير مع قافلة الهلاك والحيرة التى تلتقى عندها اليوم حضارة الغرب الذابلة .. وخرافات الماركسية البائسة ، فتقضى عمرها فى أتون الحيرة والقلق ، والشك ، والملل ... تنتقل باسم التطور والتجديد من حيرة الى حيرة .. ومن تجربة الى تجربة .. واما أن تخرج من هذا كله الى الحق الذى لا حق بعده .. والطريق الذى لا استقامة فى غيره.. وتنتفض انتفاضة كبرى تجد فيها ذاتها وتؤكد بها أصالتها .. وتتسلم بعدها الأمانة التى وكلها الله اليها حيث يقول : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** » ..

فعلى الذين يريدون لهذه الأمة أن تنصرف عن دينها وحضارتها ، وأن تنطلق باسم التقدمية والتطور والتحرر مقلدة تابعة وراء القطعان الشاردة فى الشرق والغرب ، أو مذبذبة بينهم .. لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء أن يدركوا أن النكبة الهائلة التى لابد أن تصيبنا باعراضنا عن الاسلام وقيمه وموازينه لن تصيبنا وحدنا ، وانما ستحرم البشرية كلها من مخلصها الوحيد الذى يستطيع وحده أن يخرجها من تيهها الى نور المعرفة الحقة ، والفضائل الثابتة والأهداف المحققة الواضحة .. وصدق الله العظيم .. « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » .

دراسات في التاريخ الإسلامي

الدور المدني في حياة الرسول

الصراع بين مكة والمدينة

الصراع بين مكة والمدينة

١ الحديبية

الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف

انتهت كل المشاكل الداخليـة التى كانت تواجه النبى فى المدينة بعد القضاء على بنى قريظة آخر القبـائل اليهودية التى كانت تعيش فى يثرب ، وأصبح النبى حر الارادة مطمئنا الى سلامة جبهته الداخلية ، اطمئنانا يكفل له أن يولى المجال الخارجى كل عنايته ، فقد صفت المدينـة صفاء تاما للاسـلام ، وتلاشت بعد هـذه الضربة القاضية التى وجهت لليهود كل عناصر المعارضة الداخلية ، فقد ضعف النفاق بها حتى استطاع النبى أن يوقع حد القذف على عبد الله بن أبى زعيم المنافقين حينما خاض فى حديث الافك ، دون أن يكون هناك أى خوف أو حـرج من اثارة فتنة . كذلك أصبح من الواضح أن ميزان الموقف قد تحـول نهائيا لصـالح الدولة اليثربية ، بعد ان استنفدت مكة كل امكانياتها فى غزوة الاحزاب ، ولم يعد فى امكانها تجميع مثل هذه القوة من أحزابها والقبائل المواليـة لها مرة اخرى ، وبدات القبائل المجـاورة للمدينةتراجع موقفها وخصوصا بعد الضربات السريعة التى وجههـا النبى لتحطيـم كل التجمعات التى حاولت بعض القبائل جمعهـا لمحاربة النبى ، وحتى أصبحت القبـائل المعادية تخشى انتقام يثرب لاعتداءاتها ، وقد وجه النبى ضربات سريعة للقبائل المجـاورة للمدينة والتى بينها وبين مكة فضرب علـى ايدى بنى لحيان وبنى المصطلق ، واستطاع مع هؤلاء الاخيرين أن يوقع عهدا بعد أن هزمهم وتزوج جويرية بنت الحارث زعيمهم وبذلك ضمهم الى جانبه وحرم بهذا قريشا من بعض قوتها من الأحابيش . كما ضرب علـى أيدى بنى فزارة من غطفان وأدخل الرعب فى قلب زعيمها عيينة بن حصن .

فكر النبى فى استغلال هذا التحـول فى جانبه تفكيرا يكفل له التغلب على مكة تغلبا تاما ، باحكام الحصـار حولها ، وقطع كـل اتصال بينها وبين حلفائها فى الشمـال وذلك بالقضاء على الجيوب المعادية فى الجبهـة

الشمالية ، وكان أخطر هذه الجيوب هو المدن اليهودية فى شمال المدينة ، وأهمها خيبر ذات الحصون القوية والتى كانت مركز تجمع الفلول اليهودية التى خرجت من يثرب وهى التى نظمت حركة الأحزاب لغزو المدينة . ولتحقيق هذا الهدف اتجهت خطة النبى نحو ناحيتين :

الناحية الأولى : نحو مكة نفسها ، فقد ادرك مقدار ما أصاب الجبهة المكية من ضعف نتيجة فشلها فى غزوة الأحزاب ، ونتيجة توقف تجارتها نحو الشمال ، وهى لذلك أقرب الى المسالمة منها الى الاستمرار فى حرب استنفدت فيها كل طاقاتها وأصبح ميزان الغلب فيها يميل نحو خصومها ، وأنها قد تراجع موقفها لو تأكد لديها أن الوضع الجديد سوف لا يقضى على مكانتها على اعتبارها بلد البيت الحرام الذى تهفو اليه نفوس العرب جميعا ، والذى يهيىء لها رعايته رواج تجارتها الداخلية فى موسم الحج وما يقام فيه حولها وفيها من أسواق ، واقرار حرمتها بما يكفل لها الأمن فى تنقلها بتجارتها الخارجية نحو الشمال والجنوب . وسوف تكون استجابتها لداعى السلم سريعة لو أدركت أن وراء هذا السلم ما يفتح لها طريق الخروج من الأزمة الاقتصادية التى حلت بها ، بمعاودة تسيير قوافلها نحو الشمال .

والناحية الثانية : نحو القطاع العربى كله ، باظهار نيته السلمية ، واظهار قريش بمظهر المعتدى الذى يرفض السلام ، ويصد عن بيت الله من جاء يعظمه . ومحمد وان كان قد جاء ليدعو الناس الى نبذ عبادة الأصنام ، والى التطهر من رجس الوثنية والشرك ، والى تطهير المجتمع من رذائله واقرار العدالة الاجتماعية بين الناس تحت ظلال الايمان بالله وحده والاقرار بالمساواة والاخاء للناس جميعا، فان ذلك لا يعنى أنه يذهب بمكانة البيت الحرام ويقضى على حرمته ، وانما هو يعظمه بيتا لله ، وملجأ للناس وأمنا ، ومركزا للتجمع تحت ظلال المحبة والاخاء والأمن والشعور بالمساواة ، لا مركزا لاستغلال الناس لسد غايات الطمع وتحصيل اغراض المادة ، وان العرب لتقر ان البيت الحرام هو بيت الله .

ومحمد منذ السنة الأولى من الهجرة عدل بقبلته عن المسجد الأقصى الى المسجد الحرام، وجعل المسلمون وجهتهم بيت الله الذى بناه ابراهيم واسماعيل ، والذى تجدد بناؤه بعد ذلك ، ورفع محمد بيده حجره الأسود الى مكانه من جداره وهو ما يزال فى فتوة الشباب، وقبل أن يرد بخاطره أو بخاطر أحد ممن حوله ما سيلقى عليه الله من رسالة . ومن فرائض الدين الجديد حج البيت والعمرة ، فمن العدوان منع أصحاب هذا البيت من أداء هذه الفريضة ، فالبيت لله وللعرب جميعا ، وأن قريشا لا تملك من أمره الا العناية به ورعاية زائريه ، فاذا وقفت فى وجه أحد تصده عن هذه الزيارة بدافع من الخصومة أو بدافع من المصلحة فانها بذلك تكون قد استغلت البيت لمصلحتها الخاصة وخرجت عن حدود المهمة التى يقر لها بها العرب ويعظمونها من أجلها . وهذا ما كان محمد يريد أن يحملها مسئوليته ، وبذلك يرضى العاطفة العربية ويكسب الرأى العام الى جانبه .

من أجل ذلك أذن محمد فى الناس بالحج ، وأوفد رسله الى القبائل من غير المسلمين يدعوهم الى الاشتراك واياه فى الخروج الى بيت الله حاجين لا مقاتلين . وحكمته فى هذا أن تعلم العرب كلها أنه خرج فى الشهر الحرام حاجا ولم يخرج غازيا ، وأنه أراد أداء فريضة فرضها الاسلام كما فرضتها أديان العرب من قبل ، وأنه أشرك العرب معه ممن ليسوا على دينه فى أداء هذه الفريضة ، فان أصرت قريش مع ذلك على مقاتلته فى الشهر الحرام ومنعه من أداء ما يؤمن به العرب على اختلاف آلهتهم، فانها انما تصرف الناس عن أداء شعائر دينهم، وتستغل البيت فى خصوماتها ، وتقضى فى سبيل مصلحتها على القواعد المقررة بشأن البيت وكونه مثابة للناس وأمنا من يوم أن أقامه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

وبذلك يكسب محمد الرأى العام ، ولا تجد قريش من يقرها على موقفها ، ولا من يعينها على قتال المسلمين . وماذا عساها تقول فى قوم جاءوا محرمين لا سلاح معهم الا ما يأخذه المسافر من سيوف فى اغمادها ، يسوقون

هديهم ، ولا هم لهم الا ان يطوفوا بالبيت ، فريضة تؤديها العرب جميعا .

واستبشر المسلمون بهذا النداء، وملأهم الفرح أن بشرهم النبى بانه رأى فى المنام أن المسلمين يدخلون البيت الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون . واغتبط المهاجرون منهم وجاشت نفوسهم بذكرياتهم فى مكة التى حرموا من دخولها ست سنوات ، فمنذ أن خرجوا منها مهاجرين أخذت قريش على نفسها ألا تسمح لهم بدخولها والاتصال بأهلها الا محاربين ، وهم طوال هذه المدة يذوقون مرارة الحرمان من البيت وألم النفى من الوطن ومن أهلهم فيه . أما الأعراب فقد ابطأ عليه الكثير واستجاب له القليل منهم ، فخرج فى أول ذى القعدة سنة ٦ هـ فى الف وأربعمائة من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب ، يتقدمهم على ناقته القصواء ، يسوق أمامه الهدى سبعين بدنة من بينها جمل أبى جهل الذى أخذه من غنائم يوم بدر ، وقد مازوا جوانبها اليمنى . ولم يحمل أحد من هذا الحاج سلاحا الا ما يحمل المسافر معه من سيف فى غمده .

وبلغت قريشا أنباء مسيرة محمد ومن معه اليهم حاجين ، فامتلأت نفوسهم بالمخاوف واخذوا يقلبون الأمر على وجوهه : انه قد يكون حيلة أراد بها محمد أن يحتال على دخول مكة بعد ان صدهم واحزابهم عن دخول المدينة. فان لم تكن كذلك فان فيها خطورة كبيرة ، أن يدخل المسلمون مكة وفيهم المهاجرون من صميمها ، وقد يتعلق سواد المكيين بهم ، ويشعرون بما فى بقائهم بعيدين عن أهلهم وأبنائهم من ظلم ، فتثور عاطفة القرابة وعصبية الأرحام ، فيكون ذلك نواة حرب اهلية تدمر وحدة مكة وتقضى على قوتها ، على انه قد ينضم المسلمون الذين لا زالت قريش تحبسهم بها وتمنعهم من الهجرة الى المسلمين ويسعى اخوانهم لتخليصهم وبذلك تكون مشكلة خطيرة . هذا الى أن رؤساء قريش وأكابر أهل مكة لم ينسوا لمحمد والذين معه انهم حطموا تجارتهم وحالوا بينهم وبين طريقهم المعبد الى الشام ، وانهم أثاروا فى نفوسهم من الحقد والبغضاء ما لا يخفف من حدته ان البيت لله وللعرب جميعا ، وانهم لا يملكون من أمره الا سدانته وتوفير الأمن والراحة لزائريه ، ولم يثنهم ما علموا من احرام خصومهم بالعمرة ، واذاعتهم فى كل انحاء شبه الجزيرة أنهم لا تحركهم الا العاطفة الدينية لقضاء فرض يقره العرب جميعا ، أن يعقدوا العزم على الحيلولة بين محمد ودخول مكة بالغا ما بلغ الثمن الذى يدفعونه لتنفيذ هذا القرار .

لذلك سيروا جيشا قويا على رأسه خالد ابن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ، بلغ فرسانه وحدهم مائتين ، وأمروهما بأن يحولوا بين محمد وبين دخول حدود مكة ولو لزم الأمر الى القتال فى الشهر الحرام أعنف القتال . وتقدم الجيش حتى عسكر بذى طوى .

أما محمد فقد تابع مسيره حتى اذا كان بعسفان (على مرحلتين من مكة) علم أن قوات قريش خرجت لصده ، وأن فرسانهم تقف له فى كراع الفحيم (على ثمانية أميال من عسفان) ، فأخذه الأسى لموقف قريش ولددها فى الخصومة مع ما بينها وبينه من لحمة القرابة والدم ما كان خليقا أن يفرض عليها الانتصار له بدلا من اللج فى خصومته ، حتى أعمتهم الخصومة عن موقف الحكمة فضلا عن عاطفة القرابة .

فقال : « يا ويح قريش ! لقد أهلكتهم الحرب . ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ! فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » (السالفة = صفحة العنق . يعنى الموت) .

وبينما كان محمد يفكر فى أمر قريش ، ويستعرض الموقف ، كانت فرسان قريش على مرمى النظر ، يدل مرآها على أنه لا سبيل للمسلمين الى بلوغ غايتهم الا أن يقتحموا هذه الصفوف اقتحاما ، وأن يخوضوا معركة تقف فيها قريش بكل امكانياتها وعواطفها مدافعة عن كرامتها ووطنها . ومحمد لا يريدها معركة حربية تسل فيها السيوف وتسيل الدماء ،

وانما يريدها معركة سياسية تستخدم فيها قوى الفكر والمنطق ، سلاحها الدبلوماسية الذكية والنظرة البعيدة والتقدير السليم ، وهدفها تسويد مبدأ السلام ، والاحتفاظ بقوى العرب سليمة لمرحلة أعظم تتطلب ذخيرة كبيرة من الرجال وكفايات الرجال ، لذلك لم يشأ ان يقف لقوة قريش ، وان كان رجاله لا تنقصهم الحمية ، وقد تكفيهم سيوفهم اذا جردت من أغمادها لصد عدوان المعتدى ، لكن ذلك قد يفوت عليه قصده ، وقد يجعل لقريش عليه عند العرب حجة ، وهو ابعد من هذا نظرا وأكثر حنكة وأدق سياسة ، ومن أجل هذا سلك برجاله طريقا وعرا بين شعاب مضنية وجد المسلمون فى سلوكها مشقة كبيرة حتى افضت بهم الى واد بلغ بهم الحديبية من اسفل مكة ، وبعد بهم عن فرسان قريش الذين ما لبثوا حين رأوا ما صنع محمد ورجاله أن ركضوا راجعين ليقفوا مدافعين عن مكة اذا دهمها المسلمون . ولما بلغ المسلمون الحديبية بركت ناقة النبى وظن المسلمون أنها جهدت . فقال رسول الله **« انما حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعونى قريش الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها »** . ثم دعا الناس الى النزول. والحقيقة أن النبى لم يكن مدفوعا بعصبية القرابة فى مسالة قريش — وان كان هذا أمرا طبيعيا لا يلام الناس ان سلكوه — ولكنه كان يقدر ما لهذه القبيلة من مكانة وما لرجالها من خبرة ومقدرة ، وهو يريد أن تنتفع الامة بهذه المزايا حين تكتمل لها الوحدة وتزال عنها أسباب الخصومة والفرقة .

عسكر النبى بالحديبية ، ووقفت له قريش بالمرصاد ، وأخذ كلا المعسكرين يتدبر موقفه. أما محمد فغايته أن تسود كلمة التقوى ، ليقر السلام ويقضى على نوازع العصبية الضارة التى تفرق العرب وتقضى على كيانهم ، وهو يريد توحيدهم وجمع شملهم على مثل عليا وأهداف سامية ، ليكونوا نواة لوحدة انسانية شاملة تستقر بها شريعة الله ، شريعة العدل على هذه الأرض . ومن أجل هذه الفكرة قاتل حينما قوتل ، ومن أجل هذه الفكرة هو يسالم حينما رجحت كفته وأصبح زمام الموقف فى يده ، وهو لن يجبن عن القتال اذا لم يفيء الخصم الى السلم ويدرك غايات السلام . أما قريش فقد فكرت فى القتال ، لكنها ترددت فلو انتصر المسلمون عليها لقضى عليها عند العرب قضاء مبرما ، ولتعرضت لأن ينتزع محمد منها سدانة الكعبة وسقاية الحاج وكل ما تفاخر به العرب من مراسم ومناسك دينية ، ولقضى على مواردها الاقتصادية . ومن أجل ذلك فكرت فى أن ترسل الى محمد من رجالها من يتعرف قوته من ناحية ، ومن يحاول صده عن دخول مكة بدون قتال من ناحية أخرى ، وأرادت أن تشرك القبائل المحيطة بها فى هذه المحاولة وأن تشرك حلفاءها من الأحابيش ، حتى اذا ردهم محمد ردا غير جميل احفظ ذلك نفوسهم فازدادوا لقريش نصرة ، فزادها ذلك على محمد قوة . لكن محمدا استقبل رسل قريش من خزاعة ثم من ثقيف ثم من الأحابيش استقبالا حسنا وبرهن لهم على نيته السلمية وبأنه جاء معتمرا ولم يجىء غازيا ، وليس من العدل ولا من مقررات العرب صد الحاج عن بيت الله الحرام ومنع الهدى أن يبلغ محله . وبذلك كسب محمد هذه الجولة الأولى من قريش ، والزمها بأن تدخل معه فى مفاوضات الصلح والا ظهرت بمظهر المتعنت أمام حلفائها الذين أظهر بعضهم وبخاصة الأحابيش امتعاضا من موقف قريش ، وهدد زعيم الأحابيش بالانسحاب من حلفها اذا أصرت على موقفها من منع المسلمين من دخول مكة لزيارة البيت .

ولما جاء رسول قريش وهو سهيل بن عمرو مفوضا لعقد الصلح ، أظهر محمد كثيرا من المرونة والتساهل حتى لقد أغضب موقفه كثيرا من رجاله وأثار اعتراضهم حتى كاد يوجد الشقاق بين صفوفهم . ولكن النبى مضى فى اجراء المفاوضات ولم يحفل بكثير من الشكليات التى تمسك بها رسول قريش ، حتى تم عقد الصلح بين الطرفين . وكانت أهم شروطه :

١ — أن يرجع محمد فى عامه هذا عن مكة على أن يعود اليها فى العام المقبل فتخليها قريش له ثلاثة أيام يطوف فيها بالبيت ويقضى ورجاله المناسك .

٢ ـ ان تعقد هدنة مدتها عشر سنوات يامن فيها كل منهما صاحبه .

٣ ـ أنه من أراد أن يدخل فى حلف محمد من القبائل دخل ومن رأاد أن يدخل فى حلف قريش دخل ويجرى على الحلفاء ما يجرى على المتعاقدين .

٤ ـ انه من جاء الى محمد من أهل مكة دون اذن وليه رده اليهم ، ومن جاء من أصحاب محمد لا يردوه .

والشرط الأخير هو الذى أغضب المسلمين وأثار اعتراضهم . لكن محمدا أمضى العقد . واعتبر الوصول الى السلم هدفا يصغر معه كل شىء ، وعد هذا فتحا مبينا ، ونزل القرآن الكريم بهذا « انا فتحنا لك فتحا مبينا ... » .

وكان محمد أبعد من رجاله ومن خصومه على السواء نظرا وأدق تقديرا ، فانه وان بدا لأول وهلة أن قريشا ذهبت فى الصلح بالكفة الراجحة الا أن الايام ما لبثت أن كشفت عن غير هذا : فقد أتاح هذا العقد لمحمد ورجاله أن يدخلوا مكة فى العام المقبل واضطرت قريش الى اخلائها لهم فأثر هذا تأثيرا كبيرا فى موقفها الداخلى والخارجى . كما أن العقد أتاح لبعض القبائل فرصة الدخول فى عقد محمد صراحة وبخاصة خزاعة التى كان جزء كبير من الأحابيش من بطونها ، وبذلك جذب محمد اليه جزءا كبيرا من هذه القوة اليه فاضعف ذلك مركز قريش الحربى اضعافا كبيرا . ثم ان محمدا قد اتيحت له فرصة العمل بحرية وهو آمن فاستطاع أن يطهر جناحه الشمالى وأن يقضى نهائيا على قوة اليهود ببلاد العرب وبذلك يأمن مؤامراتهم ودسائسهم ، ثم انه فصل فصلا تاما بين قريش وحلفائها فى الشمال ، وبذلك أكمل حصار مكة نهائيا من هذه الناحية ، وبدأت القبائل التى كانت تناوئه من غطفان وسليم ومزينة وغيرها تسعى للانضمام اليه حتى لقد خرجت فى صفوفه بعد ذلك بسنتين فى فتح مكة . ثم ان المسلمين الذين جاءوا الى محمد وردهم الى مكة حسب الشرط استطاع بعضهم أن يفر وان يكون عصابة خطيرة هددت تجارة قريش تهديدا شديدا حتى اضطرت الى أن تسعى لدى النبى لالغاء هذا الشرط وضم هؤلاء الخارجين اليه .

وهكذا أثبتت الأيام بعد نظر النبى وسلامة تقديره ، حتى كانت الحديبية ، آية من آيات السياسة الحكيمة والدبلوماسية الفذة ، وكانت فتحا مبينا مهد للفتح الاعظم بعد ذلك بسنتين وهو فتح مكة فتحا سلميا وانضمامها الى الدولة الاسلامية ، وما أعقب ذلك من توحيد العرب ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

قطوف

إعداد

الأستاذ على الجندى

المؤمن يهضم نفسه :

من أول خطبة لأبى بكر رضى الله عنه قوله: أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم .. وفى ذلك يقول الحسن البصرى : بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه –

كراهة الترف والسرف :

بلغ عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه – ان ابنه اشترى خاتما بألف درهم – فكتب اليه : يا بنى بلغنى انك اشتريت خاتما بألف درهم ، فبع الخاتم بألف درهم ، وأشبع به الف جائع ، واتخذ خاتما بدرهمين ، وأكتب عليه : رحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

منزلة عم الرسول :

لما أراد عمر – رضى الله عنه – الخروج الى الشام ، استخلف على المدينة على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – فقال له : أنت تخرج بنفسك الى هذا العدو الكلب .

فقال عمر : أبادر الجهاد قبل موت العباس انكم اذا فقدتم العباس بن عبد المطلب ، انتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل .

فمات العباس لسنتين من خلافة عثمان ، وانتقض بالناس الشر كما قال عمر اللهم .

الحسد :

ليس فى بنى آدم أشر من الحسد – بل قيل ان الحاسد أشر من ابليس .

وهو أول معصية فى السماء ، لأن ابليس حسد آدم فيها .

واول معصية فى الأرض ، لأن قابيل حسد هابيل فقتله فيها .

تواضع المأمون :

استوقف رجل المأمون ليسمع منه فلم يقف له .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ان الله استوقف سليمان بن داود – عليهما السلام – لنملة حتى يستمع اليها : وما أنا عند الله بأحقر من نملة، وما أنت عند الله بأعظم من سليمان :

فقال له المأمون : صدقت : ووقف له ، وسمع منه ، وقضى حاجته .

تعظيم الأخ :

دخل عمرو بن العاص مكة ، فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة .

فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال: أحسبكم كنتم فى شىء من ذكرى .

فقالوا : أجل ، كنا نميل بينك وبين أخيك. هشام ، أيهما أفضل ؟

فقال عمرو: ان لهشام على أربعة مزايا أمه ابنه هشام بن المغيرة المخزومى ، وأمى من عرفتم وكان أحب الى ابيه منى ، وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد .

وقد أسلم قبلى ، واستشهد وبقيت .

يحرم الخمر فى الجاهلية على نفسه :

كان عبدالله بن جدعان ممن حرم الخمر فى الجاهلية على نفسه ، بعد أن كان بها مغرى وذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه .

فضحك منه جلساؤه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف ألا يشربها أبدا .

العقل أنفع من العلم :

كان ابن المقفع والخليل بن أحمد يحبان أن يجتمعا . فاتفق أن التقيا فمكثا ثلاثة أيام يتحاوران .

فقيل لابن المقفع وكيف رأيته ؟ قال : وجدت رجلا عقله فوق علمه .

وسئل الخليل عنه ، فقال : رأيت رجلا علمه فوق عقله .

قال بعض العلماء – معقبا على ذلك – لقد صدقا ، فان الخليل مات حتف أنفه فى حض وهو أزهد خلق الله .

وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنيا عنه ، حتى قتله أسوأ قتلة .

احترام الوالد بعد موته :

كان سعد بن عبادة الأنصارى – حين توجه الى حوران – قسم ماله بين ولده .

واتفق انه كان فى بطن زوجه حمل لم يشعر به فلم يقسم له .

فلما ولد الولد ، قال عمر بن الخطاب لقيس ابنه – رضى الله عنهما – لأنقض ما فعل سعد .

فقال قيس ، يا أمير المؤمنين ، نصيبى لهذا المولود ، ولا تنقض ما فعل أبى .

أبناء المؤمنين :

أجمع العلماء من قديم الزمان على أن مدمن الخمر لا ينجب ، وان انجب كان الولد أحمق .

نبيل :

قدم البصرة فيل ، فذهب الناس ينظرون اليه الا أبا عاصم الضحاك بن مخلد .

فقال له : ابن جريح ، ما لك لا تخرج لتنظر الى الفيل ؟

فقال : لأنى لا أجد منك عوضا .

فقال له ابن جريح : أنت النبيل .

فكان اذا أقبل يقول ابن جريح : جاء النبيل .

ويقول البخارى : سمعت أبا عاصم يقول : منذ عقلت أن الغيبة حرام ، ما اغتبت أحدا .

أدب الحكماء :

حدث أن التقى حكيمان ، فقال أحدهما للآخر : أنى لأحبك فى الله .

فقال له : لو علمت منى ما أعلمه من نفسى لأبغضتنى فى الله .

فقال له صاحبه : لو علمت منك ما أعلمه من نفسك ، لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل .

قوة خلق :

كان صلاح الدين الأيوبى قد أعد لعماد الدين صاحب حلب ضيافة فى المخيم .

وبينما هما جالسان على السماط فى أغبط عيش وأتم سرور ، اذ جاء الحاجب الى صلاح الدين وأسر اليه أن أخاه قد مات .

فلم يتغير صلاح الدين عن حاله ، وامر بتجهيزه ودفنه سرا ، وأعطى الضيافة حقها كاملا .

نساء مجاهدات :

لما ضاق الملك العادل الأيوبى ذرعا بحرب الصليبيين ، وآلمه فتور الناس عن الجهاد تقدم الى الواعظ الخالد سبط بن الجوزى أن يحث المسلمين على القتال .

فعمد ابن الجوزى الى الحيلة فى اثارة الحماسة ، فدعا نساء دمشق الى جز شعورهن ، وحمله ثلاثمائة رجل الى المسجد الجامع وقت صلاة الجمعة والخطيب على المنبر ، والحمالون ينادون : ان نساء دمشق قدمن شعورهن ، لتعمل منها شكالات لخيل الجهاد .

فضج الناس بالبكاء ، وطاروا الى ميدان القتال يدفعون ألف فارس لهذه الغاية . وبذلك سبق نساء دمشق نساء باريس اللاتى قصصن شعورهن فى حرب السبعين ليبعنها اشتراكا منهن فى تسديد الغرامة التى فرضتها بروسيا على فرنسا ، بل لعل ذلك كان تقليدا منهن للدمشقيات .

الاستقامة سبب السعادة :

قال قوام الدولة الشيبانى :

ان كنت تسعى للسعادة فاستقم
تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة – وهو بعض حروفها
لما استقام على الجميع تقدما

الإسلام والمسلمون في مدغشقر

الأستاذ ابراهيم محمد الفحام

شق الاسلام طريقه الى جزيرة مدغشقر فى زمن مبكر . فقد ثبت اكتشاف المسلمين لها ، واقامتهم علاقات تجارية مع أبنائها ، منذ القرن الأول للهجرة . الا انهم ظلوا يترددون عليها فرادى ، دون أن يقصدوا التوطن فيها ، حتى بدأت تترامى اليها هجرات جماعية منهم، عقب بعض الفتن الدينية والسياسية .

ولعل أقدم تلك الهجرات ، ما قامت به جماعة من الباطنية فى عهد الخليفة المهدى وقد مروا فى طريقهم اليها بشواطىء أفريقية الشرقية، ثم تبعتم طائفة من الزيدية ، الذين مروا أيضا بتلك الشواطىء ، حيث تخلف بعضهم، وعمروا ثغرى مقدشيو وممبسة. ولم تلبث أن تبعت هاتين الهجرتين ، هجرات أخرى قامت بها جماعات من غير الشيعة ، مروا فى طريقهم اليها بمجموعة جزر كومور حيث طاب لبعضهم المقام فيها وانطلق الآخرون الى جزيرة مدغشقر ، بدافع من أحلام الثراء. اذ كانت التجارة البحرية فى أوج مجدها فى ذلك الزمن .

وقد استقرت تلك الجماعات فى شواطىء الجزيرة ، وعمرت ثغورها القديمة ، وأقامت ثغورا جديدة ، ذات طابع عربى ، ووفقت الى نشر الاسلام بين أبناء الجزيرة الأصليين ، الذين اندمجوا فيهم بالمصاهرة ، واستطاعوا خلال أعوام قلائل ، أن يربطوا تلك الشواطىء بشواطىء جنوب الجزيرة العربية ، والبحر الأحمر ، والخليج العربى ، وسائر ثغور آسيا وافريقية ، وجزائرهما ، التى ارتفعت فى سمائها مشاعل الدعوة الاسلامية .

ويبدو أن الملاحين والتجار المسلمين ، قد أوجدوا صلات تجارية مع شاطىء جنوب افريقية أيضا ، أو شهدوه على الأقل . اذ يثبت مما ذكره المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ فى كتابه (مروج الذهب) والبيرونى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ فى كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فى مقدمته وغيرهم ، أن المسلمين كانوا على ثقة من اتصال المحيط الهندى بالمحيط الاطلسى ، وسبقوا بذلك فاسكودى جاما بزمن طويل . الا أنهم لم ينظموا الرحلات التجارية الى شواطىء افريقية الغربية لسببين ، **أولهما** أن الشواطىء الشرقية لم يكن قد نضب معين خيراتها بعد ، **وثانيهما** أن الشواطىء الغربية كانت مرتعا

لنشاط اخوانهم التجار المسلمين من أندلسيين ومغاربة .

وكان الجغرافيون والملاحون المسلمون يعرفون تلك الجزيرة آنئذ باسم « القمر » الا أنها كانت تسمى أحيانا « قذبلو » كما ذكر رينو ، وكانت تسمى أحيانا أخرى « سيبلا » كما ذكر الربان جياق . وكان التجار يجلبون منها العنبر والشمع والعود المعروف بالقمارى .

وقد وصف ابن خلدون هيئة الجزيرة وامتدادها وصفا دقيقا بقوله انها : (جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سفالة (أى افريقية الشرقية الجنوبية) الى الشرق ، منحرفة بكثير الى الشمال)

وذكر ياقوت الحموى فى (معجم البلدان) أنها أكبر جزائر بحر الزنج وأن (فيها عدة مدن وملوك ، كل واحد يخالف الآخر . ووصف شمس الدين الدمشقى فى (نخبة الدهر) بحيراتها وأنهارها التى كانت تسمى بالأغباب، كما حدد القلقشندى فى (صبح الأعشى) طولها باثنتين وخمسين درجة ، وعرضها فى الجنوب بثلاث درجات ، وردد ما ذكره الادريسى عن سكانها من أنهم مسلمون .

وقد تركت الجماعات الاسلامية الأولى التى تعاقبت على تلك الجزيرة ، كثيرا من الآثار المادية ، التى عثر عليها أخيرا ، مثل المقابر ذات الشواهد الاسلامية ، والدنانير الذهبية ، والأطباق الصينية ذات النقوش العربية .

كما ترك المسلمون مئات من الألفاظ العربية فى لغات أبناء الجزيرة ، وأهمها تلك التى تتعلق بالعبادة والتنجيم والسحر ، علاوة على كثير من الكلمات الحضارية ، التى تتعلق بالعلم والفن وآداب المجاملة ، والكلمات التى تتعلق بالنوم والملابس والنقود .

ويتمتع كثير من أبناء الشواطىء بسحن عربية ، ويرتدون ثيابا ذات طابع عربى ، كما تنتشر بينهم عادة الاختتان ، ويحرص بعضهم على تقديس يوم الجمعة ، واعتباره يوما للراحة ، ولا يباشرون الشعائر الدينية الا بعد الاغتسال . ويحتفظ بعضهم بمؤلفات خطية مكتوبة باللغة العربية ، أو بحروفها فقط .

وهنالك عدد لا يستهان به من المسلمين ، وقد حدد لذلك العدد احصاء أعده مجلس الشئون الاسلامية العالمية بكراتشى سنة ١٩٥٧ ، وأسفر عن تقديرهم بنحو ٩٠٠ ألف أى أكثر من ١/٥ السكان ، البالغ عددهم آنئذ نحو ٤٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة ، ويؤدى المسلمون شعائرهم الدينية فى نحو ٧٥ مسجدا .

وأكثر قبائل الجزيرة اعتناقا للاسلام قبيلة « أنتيمورونا » ، التى تحتل جزءا من الشاطىء الجنوبى الشرقى للجزيرة .

وهنالك قبائل أخرى تأثرت بتعاليم الاسلام الى حد ما . ولكن الماما بهذه التعاليم لم ينضج بعد .

وقد قام المسيو ديرى مدير مصلحة المستعمرات الفرنسية الأسبق فى سنة ١٩٤٥ بدراسة مدى تأثر القبائل المختلفة غير المسلمة بهذه التعاليم ، فتبين له أن هنالك أربعا من القبائل ، تأثرت عقائدها بعقيدة المسلمين . وهى :

١ ـ قبيلة انجاتزى :

وهى تسكن شمال الجزيرة ، ويفخر أبناؤها بالانتساب الى الملاحين العرب الذين تزوجوا من النساء الوطنيات . ويعتقد أبناء القبائل الأخرى المجاورة لهم أنهم يتمتعون بقوى روحية خارقة للطبيعة ، وأن أفواههم مقدسة تباركها الآلهة .

٢ ـ قبيلة أنتا لترا :

وأبناؤها أكثر تأثرا بالتقاليد العربية ، سواء فى ملبسهم ، أم فى لهجاتهم ، أم فى عاداتهم الاجتماعية . وهم يعتزون بانتمائهم الى الاسلام ، ويسمون أنفسهم (سيلامو) Silamo أى المسلمون ، وان كانوا لا يجيدون أداء شعائره .

ويشتهر أبناء هاتين القبيلتين بممارسة الطقوس السحرية ، ويعتقد سكان الجزيرة أنهم يستطيعون ارغام السفن على الرسو

على شواطئهم ، وذلك بأن يحضروا آنية مملوءة بماء من نهر يجهلون منابعه ، ويشعلون مشعلا يلقونه فى هذه الآنية ، وهم يتلون كلمات غامضة ، ثم يضعون الآنية على الشاطىء ، فلا تلبث الرياح أن تقذف الى شاطئهم بتلك السفن .

٣ ـ قبيلة زافندرامينا :

ويتوارث أبناؤها نسبا يربط بينهم وبين رجال نزحوا من مكة والمدينة ، وخرجوا فى عرض البحر للتجارة ، ثم ساقت الأمواج سفنهم الى شواطىء الجزيرة ، وهم يقدسون شهر رمضان المعظم ، ويسمونه « رامافاها » Ramafaha ويحرمون سفك الدماء فيه ، كما يحتفظ رجالهم ببعض آيات القرآن الكريم ، ويتخذون منها تمائم وأحجبة .

٤ ـ قبيلة أنتمباكوكا :

ويشاطر أبناؤها أبناء القبيلة السابقة فى تقديس شهر رمضان ، الا أنهم أكثر منهم اعتزازا بأصولهم العربية ، **وخاصة** رؤساء القبيلة . وقد ذكر ديرى أن أحد زعمائهم قال ذات مرة فخورا بنسبه « ان أصلنا مكتوب على صفحات وجوهنا » .

هذا هو تاريخ الاسلام ، وهذه هى حالة المسلمين وأعقابهم فى مدغشقر ، ولا شك أنه جدير بنا قبل أن نأتى الى خاتمة هذا الحديث، أن نهيب بأخواننا المسلمين ، أن يدركوا تلك الجذوات الاسلامية التى لم تزل تحنو عليها قلوب آلاف من أبناء تلك الجزيرة ، الذين لم تتدعم عقيدتهم بعد ، وأن يجددوا بيننا وبين أولئك الأخوة روابط العقيدة والنسب .

وقد جددت وحدة الكفاح تلك الروابط الأصيلة ، عندما نفى المستعمرون الفرنسيون ملك المغرب محمد الخامس الى تلك الجزيرة ، كما نفوا ملكتها من قبل الى أرض الجزائر العربية ، فلم يزد ذلك شعبيهما الا اصرارا على تحقيق أمانيهما فى الاستقلال والحرية .

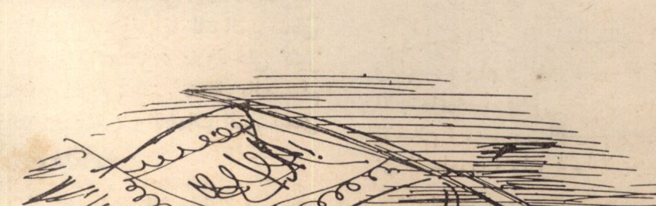

عناصر الحيوية فى الدين الإسلامى

الأستاذ عبد الله المشد

مقدمة :

تتعرض الأديان فى هذه الأيام الى هجوم عنيف من الملحدين ومن يسير فى ركابهم من الناقمين على الدين . من تلك الفئة التى ترى فى التزامها بآدابه قيودا وأغلالا تعوقها عن الانطلاق الحر الذى تشبع به رغباتها ، وتستوفى به متعتها دون نقد أو تجريح ،ومثلها فى ذلك من يجهل حقائق الدين وتعاليمه الحكيمة ، لأنه لم يستكمل دراسته فى وعى وتبصرة ، وانصرف عنه الى نظم وفلسفات وآداب أخرى . لا تتطاول الى ما فاض به الدين الصحيح من فكر استقامت على الرشد، وآداب ونظم أثبتت كفايتها وجدارتها فى كل زاوية من زوايا الحياة .

ومن أكبر المفتريات على الدين أنه يقف ضد النهوض والتقدم ، ويغرى بالكسل والانزواء ، ويوصى بالزهد والقناعة بالدون ، وانه يضع العراقيل أمام الكفاح فى الحياة لاستخراج كنوزها وتسخير قواها ، والافادة منها فى رفع المستوى الانسانى فى العلم والفكر والمادة والعمران ، وانه لا يحترم مقررات العقل ونتائج العلم . بل يميل الى الأساطير والخوارق ، ولا يسلم بسنن الله فى الكون ، و لايساير تطور الحياة . وبالتالى لا يصلح الدين عموما ليكون نظاما تلتزم به البشرية فى وثبتها الجريئة وانطلاقها السريع ، ولا ينبغى أن يقام له وزن عند التشريع والتقنين ، وليس من اللائق أن يلتفت اليه رجل القرن العشرين. الذى ضاقت الأرض على رحبها بنشاطه . فالتمس له متنفسا فى الأجواء العليا والكواكب الأخرى .

واذا جاز أن يوجه هذا النقد لدين من الأديان فلا ينبغى أبدا أن يوجه الى الدين الاسلامى . فان نظامه نظام متكامل . لم يدع جانبا من جوانب الحياة الا مسه بالاصلاح والتقويم ، وأمده بالحيوية والنشاط، ولم يترك بيئة من البيئات الا أثبت جدارته فى سياستها وهدايتها الى الخير ، ولم تفتر حيويته فى عصر من العصور . بل صاحب تطورات الزمن، وعاش معه فى اندفاعه الى الأمام ، وعروجه فى معارج الكمال . ولا غرابة فى ذلك فهو صنع الله الذى أتقن كل شىء ((**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ...؟))**

ان الله سبحانه حين قال : ((**ان الدين عند الله الاسلام**)) . ((**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**)) . ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**)) . يؤكد لنا فى صراحة ووضوح ان نظام الاسلام بمافيه من دقة واحكام ، ومرونة وتطور ، وشمول وكمال وحيوية ونشاط . جدير بالاضطلاع بمهمته فى سياسة البشر ، واصلاح المجتمع ، واثبات وجوده الفعال فى كل البيئات والعصور .

ان أكبر دليل على نجاح أى مبدأ هو اثره فى واقع الحياة العملية ، وقدأحدث الدين الاسلامى أكبر انقلاب تاريخى فى عالم الفكر والسياسة والاجتماع والاقتصاد وجميع المجالات الحيوية ونفخ من روح الحياة فى كل بقعة أشرقت عليها شمسه ، وجاد بالفيث على كل أرض مرت عليها سحائبه فأحيا مواتها وأنبت فيها من كل زوج بهيج .

ان العرب الذين رباهم الاسلام فى مدرسته. نشروا كلمة الحق وأقاموا صرح المدنية فى شرق الدنيا وغربها . مصروا الأمصار ، وشادوا البلدان ، وعبدوا الطرق وأحيوا الموات، وسهلوا الاتصالات ، وبنوا دور العلم وبيوت الحكمة ، وأقاموا العمارات ونشطوا التجارات ، وبعثوا الصناعات واستخرجوا المعادن وأقاموا المستشفيات ، ولم يدعوا علما ولا فنا ولا أية وسيلة لتكميل صرح العمران ، الا اخذوا بها وزادوها بنشاطهم وجهودهم رقيا ... ذلك الى جانب تصحيح الفكر وتقويم الخلق وارساء قواعد النظام وتنسيق العلاقات العامة والخاصة بين الأفراد والأسر والجماعات والدول . فكانوا بذلك أساتذة يرجع اليهم فى كل ناحية من هذه النواحى .

ها هو ذا مثل بسيط من أثر الاسلام فى الحضارة وتقدم البشرية ظهر فى أوروبا التى تتبجح اليوم بعلومها وصناعاتها واكتشافاتها ،

والتى تتنكر للجميل فترمى الاسلام بالتهم الكاذبة ، وتحاول صرف أهله عنه بكل وسيلة .

بلغت حضارة الاسلام أشدها واستوى عودها فى وقت كانت فيه أوربا تعيش فى الظلام والأوحال ، وتتجرع الكئوس المرة من تحكم الاقطاعيين واستبداد رجال الدين ، ولم تثب وثبتها الناهضة فى القرون الأخيرة الابعد أن احتكت بالمسلمين فى الأندلس وصقلية وعلى أرض المعركة الحروب الصيلبية .

يقول مؤرخو أوروبا :

ان فردريك الثانى ملك سبيليا وألمانيا فى القرن الثالث عشر أنشأ جامعة فى نابولى سنة ١٢٢٤م على نظام جامعة قرطبة الاسلامية وتعلم العربية ودرس علومها وآدابها وحذق الرياضة والطب والفلسفة والطبيعة على أيدى أساتذة العرب تلاميذ ابن رشد . واصطحب معه الى ايطاليا زمرة من العرب والمسلمين ليساعدوه فى تنظيم حكومته .

والراهب الانجليزى روجر بيكون درس علوم العرب وتشبع بطريقتهم العلمية فى البحث ونقد منطق أرسطو . وقرر أن الطريقة المثلى للوصول الى الحقائق العلمية هى طريقة العرب .

شاهد واختبر :

والملك فيليب البافارى بعث الى الخليفة هشام الأول يستأذنه فى ايفاد بعثة الى الأندلس لدراسة نظم التعليم وأساليب الادارة ومظاهر المدنية . فأذن له . بل أرسل خبراء من العرب لاستشارتهم فيما يريد ، وكذلك صنع غيره من الملوك .

وكانت انجلترا أشد الدول حرصا على ذلك ، فكانت تبعث أولياء عهودها الى الأندلس لتلقى هذه المعارف الجديدة . بل أرسل الملك جورج الثانى ابنة أخيه ملك ((**دومانت**)) على رأس بعثة مكونة من بنات الأمراء واللوردات حوالى عشرين فتاة لدراسة آداب السلوك والفنون الراقية التى تتعلق بالمرأة .

وكان الأسطول الهولندى الذى قهر الاسطول الانجليزى فى لشبونة سنة ١١٥٢م من صنع أيد عربية . أما قائده فهو أميرال البحر طارق ، ومعظم السدود وجسور الأنهار فى انجلترا وأوروبا انشأتها أيدى مهندسين عرب . وخاصة جسر هشام الذى سمى باسم الخليفة هشام الثانى . بناه مهندس عربى فوق نهر التيمس .

ان الأمثلة كثيرة لا تدخل تحت حصر . كلها تؤكد حيوية الدين الاسلامى وجدارته بقيادة البشر الى أرفع المستويات .

والقرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة وسيرة السلف وتاريخ الأمة زاخر بالعناصر القوية التى تبرهن على هذه الحيوية والجدارة ، وهى فى حاجة الى تسخير الأقلام والبحوث واستخدام مقررات العلم ونتائج التجربة . لكشف غامضها وعرضها عرضا جذابا يستهوى الأفئدة الخيرة . وتركع أمامه العقول النيرة اجلالا واكبارا .

وهذا العمل نوع من الجهاد الواجب فى هذه الأيام ، ولابد له من أسلحة قوية جبارة تضمن النصر لمن ينزل بها الى الميدان ، واذا كانت الأسلحة المادية تتطور ، وفى كل يوم يكشف لنا العلم عن نوع جديد منها ، فان الأسلحة اللازمة لهذه المهمة من قوة الاقناع وحسن العرض والتزود بالمعارف الحديثة ، لابد أن تتطور مع الزمن وتجارى مقتضيات الحياة .

وعلى كل مسلم أن يجاهد فى هذا الميدان بكل ما وسعه من قوة . فان التقصير فى ذلك سيفسح المجال للموجات الالحادية والقيم الجديدة بغثائها وزبدها . لتعمل عملها فى الأوساط العلمية ، وسيفتن الكثير ممن يعبد الله من المسلمين على حرف فيسير فى ركاب الساخرين بالدين . الذين تطاول تهكمهم وهم فى أوج عظمتهم حين ملكوا زمام الفضاء فذكروا ان لهم الها اسمه نيكولايف .

وسأحاول جهد طاقتى أن أجلى ــ فى مقالات تالية ــ بعض عناصر الحيوية فى الاسلام قياما بواجب البيان والتبليغ ، ولفتا لأنظار المسلمين ان يستمدوا قوتهم من هذا الدين الحنيف .

((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)) .

بطولات إسلامية

الأستاذ محمد فرج

رسالة من القائد العام

بعد أن استقر الأمر للمسلمين فى الجزيرة العربية وبعد أن خضعت جميع القبائل للنظام الجديد الذى قام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن بايعت القبائل كلها أبا بكر خليفة للمسلمين وقبلت حكمه ... بعد هذا كله بدأ أبو بكر يفكر فى أمر مستقبل الاسلام ، وفى موجة التفكير العميق لاحت فى خاطره أرض العراق وأرض الشام وتجسمت أمامه فكرة اخضاع العراق واخضاع الشام للعرب ، ولكن أبا بكر أبعد الفكرة عن ذهنه رغبة منه فى توطيد الأمن فى مختلف أرجاء شبه الجزيرة ، لتنضم كلها فى وحدة تزيدها قوة وتزيد سياستها اتساقا ، الا أنه فى موجة هذا التفكير العميق ترامت اليه أنباء بأن المثنى بن حارثة الشيبانى ، وهو من بنى بكر بن وائل من البحرين ـ وكان قد انضم الى اللواء السادس الذى يقوده العلاء ابن الحضرمى ـ قد سار شمالا فى البحرين ووضع يده على القطيف وهجر ، وبلغ مصب دجلة والفرات وقضى فى مسيرته هذه على الفرس وعمالهم وتابع مسيره شمالا حتى دلتا النهرين .

وتحدث الناس الى أبى بكر عن المثنى حديثا دفع بفكرة فتح العراق مرة ثانية الى ذهنه وبينما هو يتأمل الفكرة ويبحثها ويدرسها أقبل عليه المثنى وحدثه عن العراق حديثا جعله يقتنع بفكرته ويؤيدها ، ولم يشأ أبو بكر أن ينفرد وحده بالرأى فى هذا الأمر الخطير ، فاستشار أصحابه ، وعرض عليهم الأمر ، فتداولوا وتشاوروا ورأوا أن يستعينوا برأى خالد بن الوليد واستقر الرأى على فتح العراق .

وعاد المثنى الى العراق من جديد وتابع انتصاراته هناك .

ثم وفد عليه خالد وتم على يديه الانتصار العظيم فى العراق .

وتحدث العرب فى مختلف الأنحاء عن هذا الفتح المجيد .

وفجأة تحولت الأنظار الى بلاد الشام .

ومرة ثانية اجتمع أبو بكر برجاله وأصحابه ومستشاريه عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وابن الجراح ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وتحدث اليهم فذكر لهم أن النبى كان قد اعتزم أن يصرف همته الى الشام لولا أن الله قبضه اليه وقال « العرب بنو أم وأب ، وقد أردت أن استنفرهم الى الروم بالشام ، فمن هلك منهم هلك شهيدا ، وما عند الله خير للأبرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله عز وجل ثواب المجاهدين » .

ووافق الجميع على فكرة المسير الى الشام .

وخرجت من الجزيرة العربية أربعة جيوش اسلامية فى طريقها الى الشمال .. الى الشام .. حيث قوات خالد بن سعيد فتعاونها وتشترك معها فى القضاء على دولة الروم .

وكانت الجيوش الأربعة قد حددت لها اختصاصاتها وواجباتها كالآتى :

١) الجيش الأول ـ يقوده أبو عبيدة بن الجراح وهدفه حمص .

٢) الجيش الثانى ـ ويقوده عمرو بن العاص وهدفه فلسطين

٣) الجيش الثالث ـ يقوده يزيد بن أبى سفيان وهدفه دمشق

٤) الجيش الرابع ـ يقوده شرحبيل بن حسنة وهدفه وادى الأردن .

وكان عدد الجيوش الاسلامية سبعة وعشرين ألفا من الفرسان والمشاة .

وكان عدد الجيش الثانى (أى جيش عمرو) وحده تسعة آلاف .

وأعلن أبو بكر أن القيادة العليا لقوات المسلمين تكون لأبى عبيدة بن الجراح وأوصى الجيوش الأربعة بالاتحاد والتضامن والتعاون فى سبيل الحصول على النصر .

وتولى عمرو بن العاص قيادة الجيش الثانى، وبلغ عدده كما أوضحنا تسعة آلاف ، وكان يتكون من أهل مكة والطائف وهوازن وبنى كلاب .

واتفق الطبرى وابن الأثير على أنه حدد لهذا الجيش واجبان :

الأول أن يفتح فلسطين

الثانى أن يمد بقية الجيوش اذا دعت الحاجة الى ذلك .

وكتب أبو بكر قائد جيوش المسلمين رسالة الى عمرو بن العاص اشتملت على مبادىء عسكرية هامة يجب أن توضع موضع الدرس والبحث والفهم لجميع العسكريين ..

جاءفى هذه الرسالة :

« قد وليتك هذا الجيش فانصرف الى أهل فلسطين ، وكاتب أبا عبيدة وأنجده اذا أرادك ولا تقطع أمرا الا بمشورته ، اتق الله فى سرك وعلانيتك ، واستحيه فى خلواتك ، فانه يراك فى عملك ، وقد رأيت تقدمتى لك على من هم أقدم منك سابقة وأقدم حرمة ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بعملك وجه الله ، واسلك طريق ايلياء حتى تنتهى الى أرض فلسطين ، واياك أن تكون دانيا عما ندبتك اليه واياك والوهن، واياك أن تقول جعلنى ابن أبى قحافة فى نحر العدو ولا قوة لى به .. وأعلم ياعمرو ان معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر ، فأكرمهم واعرف حقهم ولا تطاول عليهم بسلطانك ، ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول انما ولانى أبو بكر لانى خيرهم .. واياك وخدائع النفس ، وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك ، والصلاة ثم الصلاة ، اذن بها اذا دخل وقتها ، واحذر من عدوك ، وأمر أصحابك بالحرس ، ولتكن أنت بعد ذلك مطلعا عليهم ، وأطل الجلوس بالليل مع أصحابك ، وأقم بينهم واجلس معهم واتق الله اذا لاقيت العدو ، وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك ، واذا وعظت فأوجز ، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك ، واذا رأيت عدوك

فاصبر ولا تتأخر فيكون فى ذلك فخرا منك ، والزم أصحابك قراءة القرآن وأنههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك يورث العداوة بينهم ، واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقى بمن مضى من سلفك ، وكن مع الأئمة الممدوحين فى القرآن اذ يقول الله تعالى « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » « ٠٠ امض بارك الله فيك وفيهم » ٠

هذه هى رسالة الخليفة الى عمرو بن العاص بما تحويه من المعانى الجليلة الرائعة والتوجيهات السديدة العظيمة والمبادىء الخالدة فى تاريخ الحروب ٠

وبالنسبة لأهمية هذه الرسالة ولبلاغتها ولما حوته من الدروس والتوجيهات فقد قام عدد كبير من مؤرخى الافرنج بترجمتها نذكر منهم جيون مؤلف « تاريخ سقوط الامبراطورية الرومانية » وايرفنج مؤلف « تاريخ خلفاء محمد»

وبدراسة رسالة أبى بكر تتضح لنا المبادىء التالية :

١ ـ مبدأ التعاون بين القوات المختلفة فأبو بكر يناشد عمرا أن ينجد أبا عبيدة ان أراده ، والتعاون بين الجيوش المختلفة خلال العمليات الحربية من الأمور الهامة التى يجب أن تكون موضع الاعتبار ، وهذا التعاون بين الجيوش من شأنه أن يوحد العمل فى الجبهة ضد العدو بصورة يكون فيها التفوق العددى من أهم العوامل للحصول على النصر ٠

٢ ـ مبدأ الشورى ٠٠ المبدأ العظيم الخالد الذى وضع أسسه رسول الاسلام محمد بن عبد الله وأخذه عنه خليفته أبو بكر ، لم يشأ أبو بكر أن ينفرد القائد فى الميدان برأيه بل يجب أن يستشير زملاءه واخوانه وأصحابه ففى ذلك الخير والفائدة ، ولا عجب فى أن يطلب أبو بكر ذلك فهو نفسه فى حياته وفى أعماله وفى كل ما اتخذه من خطوات كان يأخذ رأى أصحابه ومستشاريه ويتبادل واياهم الرأى طمعا فى الوصول الى الرأى السليم الصحيح الذى يعود بالفائدة على المجموع ويحقق الأمل الكبير الذى يداعب أحلام المسلمين المخلصين ٠

٣ ـ **مبدأ الايمان** ٠٠ الايمان بالله خلال العمليات ٠٠ فالايمان بالله يمنح المحارب الثقة فى الدور الذى يحمل عبء النهوض به ، ويمنحه القوة والشجاعة والعزيمة والصبر والجلد ، ويجعله يستهين بالموت فى سبيل تحقيق أهدافه والوصول الى أغراضه ٠٠ هذا فوق أن الايمان بالله يولد فى نفس المحارب الرغبة فى الطاعة ، والطاعة خلال العمليات من أهم الامور الواجب توافرها لدى المحارب ٠

٤ ـ **مبدأ تقدير القادة** ٠٠ ففى سطور الرسالة تتضح منزلة عمرو بين رجالات الحرب من أبطال العرب ٠٠ فأبو بكر يعينه قائدا ويجعل تحت امرته من هم أقدم منه سابقة وأقدم حرمة والكثيرين من أهل بدر من المهاجرين والأنصار ٠٠ ولا شك فى أن شعور عمرو بمنزلته لدى الخليفة يولد فى نفسه الرغبة الأكيدة فى أن يحقق للخليفة مطالبه ، وأن يكون عند حسن الظن به ، فيعمل لوجه الله وحده دون أن ينظر الى مصلحة خاصة ، وانما يسعى ويجد ويكافح من أجل الاسلام والمسلمين ٠ وفى هذا ارضاء للخليفة الذى قدره وأنزله منزلة المجاهدين الأبطال وفضله على غيره ممن يستحقون التفضيل والتكريم ٠

٥ ـ **مبدأ العلاقة الوثيقة الطيبة التى يجب أن تتوافر بين القائد وجنده** ٠٠ فكلما كانت الصلة قوية متينة كلما نجح القائد فى السيطرة على جنده وكلما تفانى الجند فى تنفيذ أوامر القائد ولو كانت حياتهم هى ثمن هذا التنفيذ ٠٠ ولا شك فى أن الثقة المتبادلة بين القائد وجنده هى التى تحقق النصر ٠

٦ ـ مبدأ المثالية فى القائد ٠٠ فالقائد هو المثل الأعلى لجنده ، والجند يقدمون حياتهم فى الميدان ، فاذا لم تكن القيادة على مستوى عال هبط شعور الجنود وهبطت حماستهم ، والمعروف أن الجند على دين قادتهم ، ولهذا يجب أن يكون

القائد رجلا صالحا لا يرتكب الخطأ ولا يخاف ولا يتردد ولا ينافق ، وانما يتمسك بالمبادىء القويمة والأخلاق الكريمة والمثل العليا فيكون الصورة التى يرى فيهـا الجند القائد الحازم الكريم المغوار القوى الحكيم ، فيأخذون منه صفاته .. ومن أهم الصفات المثـالية التى أوضحتها الرسالة أن يكون القائد متواضعا فلا يتطاول على جنده بسلطانه وألا يظن فى نفسـه أنه أكثر منهم خيرا وعلما وقدرة وألا ينساق وراء عواطفه ومشاعره فيخدع نفسه ويجنى بذلك على نفسه ، وعلى جيشه وعلى المستقبل الكريم والآمال العظيمة التى وضـعها قومه وخليفته فيه .

٧ ـ مبدأ السلامة والمحافظة على القوات .. فالخليفة يأمره ان يأخذ حذره وأن يعين من جنده الحراسة اللازمة خشية أن يفاجئه عدوه ويأخذه على غرة فالحراسة هى المانع القوى المتين أمام مفاجآت العدو وما يترتب على هذه المفاجآت من خسائر لا تقدر ونتائج قد يصعب معالجتها .

٨ ـ مبدأ الاستطلاع .. فان اى عملية حربية لا يسبقها استطلاع بواسطة العيون تكون عملية مشكوك فى نتائجها ، لأن الاستطلاع يعطى للقائد صورة واضحة عن عدوه .. عن عدده .. عن سلاحه .. عن خططه .. عن معنوياته .. وهذه هى الأسس التى تقوم عليها خطة القائد فكلما تجمعت لديه المعلومات الوافية المفيدة الصحيحة السليمة كلما كانت خطته أقرب الى الكمـال سهلة فى التنفيذ مؤكدة عند النجاح محققة للنصر مقللة من الخسائر .

٩ ـ مبدأ الاستشهاد فى سبيل العقيدة وفى سبيل تحقيق الهدف .. فالمحارب الذى يحمل سلاحه فى يده يجب أن يحمل فى اليد الأخرى حياته .. يدافع بسلاحه ويقاتل فى سـبيل هدف سام وفكرة نبيلة تصغر أمام تحقيقهـا والوصول اليها الحياة .. والاسلام قد أثار فى النفوس القتال حتى تحقيق الأهداف ولو كانت الحياة هى السبيل الى ذلك ، فالحياة رخيصة لا قيمة لها اذا لم يضح بها فى الوقت الملائم فى سبيل فكرة كبيرة أو مبدأ سام أو غرض نبيل، وهذا هو ما قصد اليه أبو بكر فى رسالته .

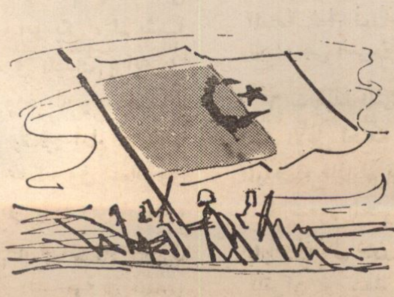

التسمية فى القراءة

بين أوائل السور وغير أوائلها .

الأستاذ الحسينى هاشم

التسمية استفتاح لباب الرحمة وطلب للمعونة واعتراف بالمعبود وتقرير لذاته وصفاته فكانت جديرة بأن يتوج الله بها سور أقدس كتاب أنزل على أعظم داع أشرق به على امته فكانت خير أمة أخرجت للناس .

ولها من المكانة السامقة السامية ما يؤهلها لافتتاح كل عمل جليل .

ولقد أثار الاستاذ **محمد محمد الشرقاوى** موضوع **ابتداء التسمية فى غير أوائل السور** وجاء بالأدلة التى يرجو من ورائها أن يمنع التسمية فى هذا المقام .

ولقد رددت عليه فكان مقاله على صفحات المجلة الاسلامية الكبرى « **منبر الاسلام** » عدد ربيع الثانى ردا على مقالى واخذ يرد على فقرات المقال قائلا قال الكاتب كذا .. ويأتى بما طاب له .

وانى اعترض عليه **أولا** من الناحية الشكلية، لم يكن دقيقا فى اختيار عنوانه للبحث لا فى المرة الأولى «**قراءة القرآن من أواسط سوره**» ولا فى المرة الأخيرة « **التسمية فى القرآن بين أوائل السور وأواسطها** » .

اذ ليس المقابل بالتحديد الدقيق لأوائل السور ـ أواسطها فقط بل المقابل لأوائل السور ـ غير أوائل السور سواء من اواسطها أو غير أواسطها خاصة ونحن أمام تخطيط قرآنى له قداسته وجلاله .

ثانيا ـ من الناحية الموضوعية :

قد استمسك بالدليل الذى سماه قاطعا ونصا فى الدلالة على عدم التسمية فى غير أوائل السور وهو قوله تعالى : « **فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » قائلا : ان هذه الآية فى معرض البيان لاسلوب البداءة حين القراءة يعنى الحصر فى الاستعاذة والاقتصار عليها دون التسمية . اذ من المقرر فى علم الأصول أن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر . فزيادة التسمية زيادة على نص قرآنى، والزيادة على النص القرآنى نسخ، والنسخ لا يجوز الا بمتواتر أو مشهور .

ثم قال : ولولا هذا النص لكان رأى القائلين بالتسمية سائغا ا هـ .

ونطمئنه بأننا لسنا أمام نص فى الموضوع كما يتصور وبالتالى ليست كل النتائج التى رتبها مسلمة .

اذ أن من القواعد الاصولية المقررة « **الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال** »

وهنا احتمالات .

فقد قال بعض العلماء ان منطوق آية الاستعاذة من غير تأويل يقتضى القول بالاستعاذة بعد القراءة . وهذا التفسير يخرج المقام عن أنه مقام ابتداء للقراءة فلا بيان للابتداء ولا حصر ، ومهما قيل فى هذا الراى فهو احتمال يتمشى مع النظم القرآنى ، والمعنى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بعد القراءة حتى لا يوسوس لك الشيطان بعدم الفائدة .

وعلى الراى الذى عليه اكثر العلماء القائلين بأن المقام هو الابتداء والمعنى فاذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

فهنا نقف وقفة تدبر لنبحث الفرق بين الاستعاذة والتسمية ، فالاستعاذة ليست بقرآن .

أما البسملة فالاجماع على أنها آية من سورة ((**النمل**)) وهى آية من كل سورة عند ((**ابن المبارك**)) وهى فى الفاتحة آية عند الشافعى .

والمهم ان الاجماع على أنها آية من سورة النمل بالاتفاق ، واذا فهى على أى حال آية قرآنية سواء كانت فى أوائل السور أو فى غيرها وانما الخلاف فقط فى هل هى تعد ضمن آيات كل سورة أو هى آية واحدة فى القرآن توجت بها رؤوس السور فلا تعد الا ضمن آيات النمل .

واذا ثبت أنها آية قرآنية . فلا يرد ما أورده الكاتب من قوله لم اقتصر النص القرآنى فى الآية على الاستعاذة ولم يذكر التسمية لو كانت مطلوبة ؟.

لأن الجواب أن البسملة من القرآن بخلاف الاستعاذة ، فالمعنى فاذا قرات القرآن الصادق بالتسمية وبما يماثلها من آيات قرآنية ((ان هى ضمن القرآن)) فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

فعلى كلا الرأيين لسنا أمام نص يلزمنا بالنتائج الخطيرة التى رتبها الكاتب من النسخ للقرآن بغير دليل متواتر أومشهور واذا ثبت أننا لسنا أمام نص . وقد قال الكاتب : ((ولولا هذا النص لكان رأى القائلين بالتسمية سائغا)) فالنتيجة أن رأى القائلين بالتسمية سائغا .

وان الكاتب مرة يؤكد بأنه لم يقل بالتسمية أحد من القراء ومرة يؤكد بأن من قال بالتسمية فانما هو اتباع للأهواء واليمن الذى لا ينهض دليلا أمام جلال القرآن .

وكيف يقول لم يرد عن القراء . وقد جاء فى كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى قول ابن شيطا : ((**اعلم أننى قرأت على جميع الأئمة القائلين بالتسمية والتاركين لها عند ابتداء القراءة عليهم بالاستعاذة موصولة بالبسملة مجهورا بهما سواء كان المبدوء به أول سورة أو بعض سورة ولا علمت أحدا منهم قرأ على شيوخه الا كذلك**)) .

ولكن الكاتب الاستاذ **الشرقاوى** حينما يصادف من القراء رأيا مخالفا لرأيه يطالب بالدليل والحديث .

وحينما يصادف رأيا متفقا معه فهو الحجة من غير دليل . ثم يردد لا بد من اتباع الرسول وفعل الرسول . وطبعا هذا هدفنا جميعا وهدف كل طالب للحقيقة ولكن هل يكفى أن يفرض الانسان أن رأيه هو الموافق لاتباع الرسول بلا دليل ؟.

كنت أتوقع بأنه سيأتى بحديث صحيح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحرم فيه التسمية فى غير أوائل السور ولكنى لم أجد ما يستدل به ، كل ما هنالك يقول بأنه لم يثبت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفى اعتقادى أنه لا يقال بالتسمية لعدم معرفتنا الثبوت عن النبى أنه فعل الرسول .

واذا كان لم يثبت لا رأى القائلين بالتسمية ولا رأى القائلين بمنعها . فالمسألة خلافية فلنذهب الى رحاب الاجتهاد والقياس حيث لا نص قاطع ولا دليل مانع .

أى شىء يمنع أن نقيس اذا الابتداء للقراء فى غير أوائل السور على أوائلها . ما دامت العلة فى البدء واليمن والاستعانة لا يمنع من وجودها مانع ؟.

وانى حينما استدللت بقصة سيدنا سليمان فى ابتداء رسالته التى حماها الهدهد الى ملكة سبأ ((انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين)) .

وبالتسمية فى الذبح ((ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)) وفى ركوب البحر ((وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها))

لم أبعد عن الموضوع كما يحسب الكاتب .

ولكن لهذه الاستدلالات صلتها القوية بموضوع البسملة فى القراءة . أليست هذه التى ذكرتها أعمالا ؟ والقراءة خير الأعمال ؟ بل القراءة أوثق وأقرب وشيجة بالبسملة من غيرها من الاعمال . اذ القراءة من أوائل القرآن ومن غير أوائل القرآن آيات قرآنية

تتلاءم مع الآية القرآنية التى لهـا جلالهـا وقداستها ((**بسم الله الرحمن الرحيـم**)) واذا دققنا فى الحـكمة من الاستعاذة نؤيد ما قلناه من ان القراءة عمل وخير الأعمـال ونعلم ذلك من مناسبة الآية مما قبلها ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون . فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**)) .

فحكمة تفريع آية الاستعاذة على ما قبلها كما ذكر المفسرون ان قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب الاستعاذة عند القراءة ليحفظ من الضياع المترتب على وساوس الشيطان ، أى اذا علمت أن أعظم الجزاء لمحاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن التى هى أحسن الأعمال وأزكاها .

وعلى ذلك اليس من حقنا أن نقول بعد ما ذكرت من اثبات التسمية بالنص القرآنى فى بدء الأعمال من ركوب البحر والذبح ورسالة سيدنا سليمان فى بدء أوائل السور بأن القراءة من غير أوائل القرآن كما هى من أوائله أزكى الأعمال وأسماها وخير من أى عمـل آخر فنقدمها بالتسمية ؟

ولقد استدل الكاتب على عدم التسمية بما جاء فى الكشاف ((ان عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال : قرأت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقلت أعـوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ــ فقال لى يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ)) .

وانى أسائل الكاتب أى دليل فى هذا الحديث على عدم التسمية ، ان الحديث لم يتعرض على فرض صحته الا الى تصحيح صيغة الاستعاذة فقط . فضلا عن أنه لم يشر هل كان ذلك فى أوائل السور أو فى غير أوائلها . فهل يريد أن يقول بأنه لو كان هناك تسمية لذكرها ؟.

اذا كان يريد ذلك فأقول له لا يلزم ذلك مؤيدا كلامى بالدليل .

جاء فى صحيح البخارى : حدثنا عبد الله ابن يوسف أخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا سمـع رجلا يقرأ ((**قل هو الله أحد**)) يرددها فلما أصبح جاء الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ((**والذى نفسى بيده انها لتعدل ثلث القرآن**))

فهذا الحديث الصحيح لم يرد فيه ذكـر التسمية فى أول السورة مع أن الاجماع على ان التسمية تذكر فى هذا المقام والفاظه تدل على انه عرض على النبى ومع ذلك لم يرد ذكر التسمية قبل أول سورة الاخلاص ولا أمر بها الرسول عليه السلام .

هل يمكننا أن نقول ان معنى ذلك أن الرجل لم يقرأ بها لأنها لم تذكر ؟ كلا طبعا .

ان المقصود فى كثير من الاحـاديث ذكر مغزاها الذى يشرق منه المطلوب من حكم أو قصة أو رأى .

فالمقصود فى الحديث الذى استشـهد به الكاتب تصحيح صيغة الاستعاذة .

والمقصود فى هذا الحديث بيان فضـل سورة الاخلاص . وليس فى الحديثين ما يفيد عدم التسمية .

واذا كان الرسول ــ عليه السلام ــ لم يثبت عنه حديث صحيح يدلنا على منـع التسمية فأى جرم فى قياسهـا على أوائل السور او على فضائل الأعمال والقراءة افضلها كما قلنا .. حيث لم نخالف نصا قاطعا أو غير قاطع ؟ .

واذا سلمنا جـدلا انه لا يصح للمثبتين للتسمية ان يأخذوا بحجة البركة أو القياس على أوائل السور وفضائل الاعمال أو اتباع بعض القراء .

فما المانع أن يفهموا قوله تعالى ((**اقرأ باسم ربك**)) على أنها آية تدعو الى التسمية فى أوائل السور وغير أوائلهـا ما دام النص ليس به تحديد لأوائل السور ، وما دام الرأى لا غبـار عليه مطلقا بل يتمشى مع قوانين اللغة والشريعة ولا يصطدم بنص مخالف وهذا ما قـرره فى الرد على الكاتب الاستاذ الكبير فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى على صفحات مجـلة **منبر الاسلام** .

إقواء

رشاد

الأستاذ احمد محمد بربرى

عقيل بن علفة شاعر عربى متعصب لعروبته وللغته فكيف يقوى فى بيتين اثنين من الشعر : يقول فى أولهما :

من الحوادث شيب ليس من كبر

ويقول فى الثانى :

والجفن يخلق فيه الصارم الذكر

فيخرج من الكسر الى الضم وكان له عن ذلك مندوحة بأن يضم الأول أو يكسر الثانى ، وما كانت لغته الواسعة الا مواتية له .

هذا من حيث الشـــكل ، أما من حيث الموضوع فانى أراه مهتزا مناقضا : انه ليحتقر المال مبينا ان الدراهم ما كانت لتغلبـــه على أمره فيصهـــر الى خسيس ، ثم يعود مرة اخرى فيشيد بخطر المـــال الذى يصلح به الحال وينعم البـــال ،فلست ادرى أهو من أصحاب اليمين ، أم من أصحاب الشمال . ولا تؤاخذنى بما سجعت فقد جاء عفوا دون اعمال . **هذا ملخص رسالة تلقيتها من أستاذ جامعى .**

والحق انى لست ادرى : أيهزل الاستاذ أم يجد ؟ فهو لا بد يعـلم أن الاقواء فى الشعر العربى ظاهرة شائعة ، وانه ما كان لينتقص من شاعرية عقيل بن علفة أو من عروبته أن يقوى ويقوى ، ثم يعـود فيقوى . ذلك أن الاقواء عيب عند أصحاب العروض ، ولكنه لم يكن قط عيبا عنـــد الشعراء المطبوعين ، وبخاصة فى الضم والكسر ، اذ يبدو انهما فى ذوق القول متقاربان غير متنـــافرين ، وانه ليحضرنى الآن — من الذاكرة — قول نضر بن الحارث وقد عاش فى زمن ابن علفة قوله :

ولمـا ان نعى الناعى عمـــيرا
حسبت سماءهم دهيت بليــل
وكان النجم يطلع من قتـــام
وخاف الذل من يمن سهيــل

خرج من الكسر الى الضم ، ثم قال راجعا الى الكسر :

وكنت قبيلهـــــا يا ام عمرو
أرجـــل لمتى وأجـــر ذيلى

وقبله بزمن ليس طويلا — فى وقعة بدر — يقول الأسود يرثى بنيه :

أتبكى ان يضـل لهـا بعير
ويمنعها البكاء من الهجود

ويقول بعده :

فلا تبكى على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجـدود

فيضم ولا يلبث أن يراجع الكسر باكيا على « أسد الأسود » أحد بنيه ، ثم يعاود الضم بعد الحديث عن ابن آخر ليس له «من نديد»

الا قد ساد بعــدهم رجـال
ولولا يوم بدر لم يســودوا

كل ذلك فى مقطوعة قصيرة .

وما كان الأسود الا متبعـــا سنن الأولين فقبله يقوى كبير الشعراء وشيخ الســوق : سوق عكاظ النابغة الذبيانى ، فى قصيدته المشهورة التى عدها بعضهم من المعلقات :

أمن آل مية رائح أو مغتـدى
عجـلان ذا زاد وغـير مزود

اذ يقول :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الاسود

ويتبعه كاسرا :

لا مرحبـا بغد ولا أهـلا به
ان كان تفريق الأحبة فى غـد

ولا يتأثم أن يقول بعد :

بمخضب رخص كان بنانه
عنم يكاد من اللطافة يعقـد

ثم ينتهى الى الكسر :

وبفاحم رجـل اثيث نبتـه
كالكرم مال على الدعام المسند

وهكذا حتى آخر القصيدة .

نعم ان الرواة قالوا انه كان يقول ان فى شعره عاهة - أو آفة فلست أدرى - وانه غنى له بشعره فى يثرب ومطـل المغنى « الصوت » فبان له الاقواء فأصلحه .

قال : **وبذاك تنعاب الغراب الأسود** . بدل: **خبرنا الغراب الأسود .**

وقال : **عنم على أغصانه لم يعقد** . بدل : **يكاد من اللطافة يعقد**

والله يعلم اهو أم هم المصلحون . على أن النابغة نفسه لم يكن فى الاقواء الا سلفيـا يقتفى آثار السابقين ، ففى الجاهلية الأولى نجد الاقواء لا يكاد يحجم عنـه شاعر من الشعراء . ولنضرب لذلك مثلا قول خالد ابن جعفر :

أديرونى ادارتـكم فـانى
وحذفة كالشجى تحت الوريد

مقربة اسويها بجـزء
والحفهـا ردائى فى الجليد

يبيت رباطها باللـيـل كفى
على عود الحشيش وغير عود

لعـل الله يمكننى عليهـا
جهارا من زهير أو أسـيد

انها فرسه «حذفة» يقول انه مهما يقلبوه على اى وجه - اديرونى ادارتكم - فانه لن يفارقها . انه واياها كالوريد والعظم الـذى تحته لا يفترقان ، انه ليعزها ويسويها بابنـه « جزء » فيغطيها بردائه ، كيلا يصيبها البرد ويبيت ساهرا على علفها ، الحشيش وغيره .

فلعل الله يكرمه وتمكنه على ظهرها من قتـل زهير أو أخيه أسيد العبسيين . وبالله لقد فعل . وفعل كثيرا غير قتله زهيرا :

فترك نساء يربوع بن غيـظ
« أرامل يشتكين الى وليـد »

يعنى الحارث بن ظالم فلقد قتـل آباءه وتركه بين الأرامل يشتكين اليه .

يقلن لخـالد جزعـا عليه
لك الويلات مالك لا تسـود

يعنى انه قتل السادة والكبار كلهم فلم يبق الا هذا الوليد الذى يجب أن يسود على حد قوله :

غدر الزمان فسدت غير مسود
ومن الشقاء تفردى بالسؤدد

واحب أن تعلم أن هذا الوليد كبر وساد وقتل ذلك الطاغية خالد بن جعفر وان كان هذا ليس بذى بال فيما نحن بصدده .. وانما المهم ان خالدا اقوى فى قصيدته تلك ثم أقوى، أما الاقواء بالفتح فقد كانوا يتحرجون فيـه كثيرا وان كان قد ورد فى الشعر القديم كما انشد صاحب القاموس لأحد القدماء :

اطعمت خاقان حتى اشتـد مفرضه
وكـاد ينقـد لولا انه طـافا

فقـل لخاقان يتركنـا لطيتـه
نوم الضحى بعد نوم الليل اسراف

وأما من حيث الموضوع .. فان الاستاذ الجامعى لا بد يمزح . ذلك بأن عقيل بن علفة ليس من أصحاب اليمين ولا من أصحـاب اليسار . وما هو الا شيخ عرب جاهلى النزعة لم يصقل الاسلام عنجهيته . فهو مسلم آثم رجعى رجعية نسبية ان صح هـذا التعبير . فما كان ليعبد الوثنية وعبادة الاصنام لو كان اليه أمر النظام العام بيد أنه كان يبقى علـى أشياء كثيرة لا يرضى عنها المسلم الذى أشرب قلبه الاسلام . فهو - الى حد ما - قريب من أولئك الذين قال فيهم سبحانه وتعالى : « قالت الأعراب آمنا قـل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .

معجزة القرآن

المعجزة والتحدى

الدكتور محمد سعاد جلال

الجزء الأول

١ – يترتب الحكم بصحة الوحى المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – وابطال دعاوى الذى يزعمون كونه وحيا ذاتيا من المستشرقة والملاحدة ، ومنكرى الالهية ، أو منكرى النبوات – على اثبات اعجاز القرآن – كما فصلنا ذلك آنفا .

والكلام فى اعجاز القرآن لا يحسن الا بعد ايضاح حقيقة المعجزة ، فما هى المعجزة بمعناها الموضوعى أولا .

والمعجزة – كما قال علماؤنا – رضى الله عنهم – هى **الأمر الخارق للعادة الجارى بفعل الله – سبحانه – على يد النبى مع تحدى هذا النبى للناس بهذا الخارق .**

فمفهوم المعجزة مركب من امرين : ظهور الخارق على يد النبى ، وتحديه للناس به .

ومعنى الأمر الخارق : هو الحدث الذى لا يمكن حصوله ابدا فى مجال قدرة البشر، ولا تطمع فيه ملكاتهم ووجوه استطاعتهم .

ومعنى التحدى به من قبل النبى ، هو أن النبى يعلن نبوته على الناس ويطالبهم بتصديقه ، ويقيم لهم الحجة فى ذلك بأن الله سيجرى على يديه مااستأثرت بفعله قدرةالله وحده مما لا تناله قدر العباد ، لا منفردين ، ولا مجتمعين ، فيكون وقوع هذا الخارق على يديه اعلاما من الله بتصديقه فى دعوى النبوة فيلزم المخاطبين بها الاذعان والتسليم له بعد وقوعها على الوجه الذى شرط فى التحدى .

وهذه المعجزة كما نقول من فعل الله وحده ، وليس للنبى فيها أى مجهود . هو فقط المجال الذى ظهرت فى حيزه المعجزة ، وعجزه عن فعلها لو تصدى لذلك ، عجز سائر الناس عنها .

وقد يسأل بعض الناشئين – كما سئلت غير مرة – عن هذه المخترعات الحديثة المدهشة ، كالأجهزة التى تجوب الفضاء وتحاول الوصول للكواكب البعيدة عنا ، وأشباه ذلك مما يسمى معجزات القرن العشرين ، وان بعض هذه المعجزات ليكون فى أول ابتكاره ممتنعا على سائر الناس ، فلو تحدى به صاحبه حينئذ والناس بعد عاجزون عن الاتيان بمثله لجاز له أن يدعى النبوة وان يلزم الناس بتصديقه فى ذلك . هذا هوشرح السؤال الذى يتوارد على بعض خواطر الناشئة عندنا ..

والجواب المبسط عليه : هو أن هذه المخترعات جميعا يمكن تقليدها ومحاكاتها ، واكتسابها بالصنعة ، ولذلك يظهر «المخترع» عند قوم ليس له نظير عند الآخرين ، فلا

يلبث أن يجد من يجد من علماء هذا الجنس من العلوم حتى يحاكوه، ويأتوا بمثله بل مع امعان البحث وزيادة الوفرة فى الوسائل، يأتون بما هو أتم منه صنعة وأحسن تكوينا، أما المعجزة فهى لا تكتسب بالصنعة لا عند نزولها ولا بعد نزولها فاعجازها للخلق يظل قائما أبدا مهما ارتقت علومهم، وتفوقت عقولهم، واتسعت معارفهم .

٢ - والقرآن الكريم الذى ثبتت به نبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - معجزة تامة كاملة خالدة أبد الدهر - وقد تحدى به النبى عند نزوله أهل عصره من الانس والجن فأعجزهم وأفحمهم والزمهم طوعا وكرها، وسرا وعلانية وجوب التصديق بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وثبت عجزهم هذا للشاهد والغائب والقريب والبعيد، ونقله الينا التاريخ نقلا متواترا، لا يكابر فى صحة نقله، ولا فى ثبوت تواتره، عدو شانىء، ولا خصم معاند، مع كثرة أعداء الاسلام فى الأرض، كثرة تجعل المسلمين فيهم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، بل ان هذا التحدى بالقرآن لم يقتصر على أهل العصر الذى نزل فيه، ولم ينته بعجزهم وحدهم، بل انه ما زال يحمل راية التحدى فى كل عصور التاريخ، وفى كل أجيال الناس عصرا عصرا، وجيلا بعد جيل، وأمة بعد أمة، يتحداهم ويقرعهم ويستولى بسلطان اعجازه وجبروت برهانه على عقولهم وملكاتهم وطاقاتهم فى العلم، والبحث، والمطاولة .. وفيهم من يود بفداء نفسه، وذهاب عمره لو غض من بهائه، أو نقص من سنائه . فلا يزالون على الدهر وتقلب الأيام، وارتقاء العلوم حيارى مشدوهين، لايملكون من أنفسهم ومن كل ما أوتوا من القوة وأسبابها، الا الهزيمة والعجز .

وانت واجد أن أعداء هذا الاسلام من الملحدة، والمعطلة، وأهل الملل الأخرى، ينفقون الأموال الطائلة منذ عدة قرون، سعيا فى ابطال الاسلام وازالة دولته من الأرض بتجييش الدعاة والعلماء المتخصصين فى الكيد للاسلام، ونشر حشود الكتب المشحونة بالطعن على القرآن، ومحاولة التشكيك فى صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنهم لم يزالوا كذلك أبدا يضعون البحوث، ويلصقون التهم، ويخترعون الشبهات من حول الحقيقة الاسلامية، وكان أجدى عليهم من كل هذا العناء الممض، وأسلم لهم من العنت والمشقة فى ابطال الاسلام - لو قدروا - أن يجمعوا جموعهم ومن يستجيب لهم من شركائهم من أهل اللسان العربى - وان فيهم الفصحاء والبلغاء وأصحاب الملكة المتحكمة، والخبرة بصناعة الكلام، ليضعوا سورة واحدة يعارضون بها سور القرآن .. أى سورة شاءوا، فلقد كان ذلك أروح لهم فى ابطال الاسلام ونقضه من كل المحاولات الفاشلة والخيبات المتكررة التى يصرون عليها اصرارا .

لكنهم لم يفعلوا، وما جهلوا أن يفعلوا حين اعتسفوا الطريق والتمسوا غرضهم من أبعد أقطاره وأيأس مراميه بل انهم ليستيقنون يقينا لا يداخله الشك، ويجزمون جزما لا يحل عروته التردد .

ان هذا القرآن معجز أبد الدهر، وانه كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وان اعجازه باق ما بقيت السماوات والأرض، وان شيئا من الأشياء لا يزيد جانب القرآن تزكية ووثوقا ويمكن له من نفوس الخلق قداسة وايمانا، ويعرض من بهائه وروعته وضيائه ووجوه اعجازه، كالاقدام على معارضته اليوم والهجوم المخذول على استقباله بسورة من مثله « وكفى بربك هاديا ونصيرا »

٣ - قلنا ان شرط المعجزة أن تقع فى غير محل قدرة الانسان، فمجال اظهارها لا يتهيأ أبدا لمحاولات الخلق، ولا لعلومهم وصناعاتهم، وكذلك نقول: ان للتحدى أيضا شرطا ثانيا، وهو أن يرد التحدى على المخاطبين فى موضوع عرف لهم البصر به والقدرة فيه، وتمثيل الأفق الأعلى فى مزاولته، حتى يتبين أن يكون عجزهم اذا عجزوا، من قصور الطبيعة الانسانية فى هذا السبيل، لا من عجز الجهالة، وتخلف الدربة، وانحطاط البيئة ومن القصور الناشىء عن صرف الملكات فى وجهة مضادة لجهة التحدى، اذ لو كان الأمر كذلك، ووقع التحدى للمخاطبين به فى أمر كانوا لا يرتفعون فى البصر به الى الأفق الأعلى،

لما بان من عجزهم – حين يعجزون – أن عجزهم عجز للطاقة الانسانية العامة ولما كان اعجازهم خرقا للعادة ، فيما عجزوا عنه .

فلو انا تحدينا بعض البدائيين فى قلب افريقيا بشعر المتنبى، أو بمسرحيات شكسبير، فعجزوا ، لما كان ذلك تحديا ولا كان عجزهم عن الاتيان بمثله عجزا ، وانما يكون التحدى لقوم نبغوا فى صناعة من الصناعات ، أو فى علم من العلوم ، أو فى فن من الفنون فبلغوا فى ذلك المستوى ، الذى نسميه الأفق الأعلى فى تمثيل الطاقة الانسانية العامة بحيث يكون كسر هذا المستوى تعبيرا عن قدرة أكبر من قدرة الانسان أينما كان ، فهنا يكون مجال صحة التحدى، والاعجاز .. وفى هذا المجال الأصيل بصحة التحدى ، وتمام الاعجاز ، تحدى القرآن الأمة العربية فى وقت نزوله .

٤ – كانت الأمة العربية تعيش فى صحراء مترامية سماؤها مكشوفة ، ونجومها لامعة ، وجوها مثير ، ولم يكن فيها من الصناعة ولا من الزراعة ، ما يشغل بال أصحابها عن التأمل البعيد والخيال المحلق ولم يكن فيها من انواع المعارف والعلوم الجدية ، ما يقتطع جزءا كبيرا أو صغيرا من طاقاتهم الذهنية ، والنفسية ، ولم يكن أمامهم من أسباب التطلع الى متع الحياة الكبيرة الصعبة ، ما يبتليهم بالقلق العصبى ، ويستنفد قدرتهم على الاحساس بالجمال والحركة ثم كانوا بعد ذلك أمة حرة لا سلطان لأحد على جمهورها ولا على أفرادها ، تروح وتغدو فى صحرائها شرقا وغربا لا يصد أحد منها عن سبيله ، ولا يسأل أين تسير .

وكانت الحرية قد تمكنت منها حتى لكأنها جزء أصيل من عصبها واحساسها ، وعقلها وتكوين نخاعها ، فليست تعرف عقيدة غير الحرية ، ولا حياة غير طلاقة الفطرة ، وسجية النوازع ، فقد هيأ لها تاريخها وطبيعة أرضها أن تسلم من شر سلطتين فظيعتين ، هما أصل وقوع الاستبداد بالأمم والاستئثار على الجماهير بالقهر ، وهما سلطة الملوك المستبدين الذين لا تنهض عروشهم الا على ارهاق حريات المحكومين، أو الحد منها حدا كبيرا وسلطة رجال الكهنوت الذين ليس من شأنهم أن يعيشوا عيشة الرغد ، ولا أن تسلم لهم مراكزهم المرموقة ، بما لها من جاه وبريق ، ونفوذ ، الا على أساس من اخضاع الجماهير للأفكار والمشاعر التى تخدم سلطتهم وسلطة الحاكمين الذين يتبادلون معهم المنفعة والاستبداد ، وتعمية الشعوب عن مقاصدها الانسانية ، وحقوقها الأصيلة ، وأخذها بأنواع من المخاتلة والارهاق الذهنى والعصبى ، يجور على فطرة الناس أو يفسدها افسادا .

سلمت الأمة العربية ، فى صحرائها الواسعة المنيعة ، من غشم هاتين السلطتين ، فتهيأ لها من حرية النفس والشعور ، ومن حرية القول والنكر ، ومن البيئة الفطرية الباعثة على صفاء الحس واثارة التعبير ، ما لم يتهيا مثله لغيرها .

واذن فقد عمل فى صياغة الأمة العربية على أساس لغوى بلاغى – الأمران اللذان من شأن وجودهما حتما تكوين الأمة تكوينا لغويا بلاغيا تاما ، وهما : انفراد الطاقة الانسانية للعمل الكلامى ، لانعدام ما يشغل هذه الطاقة أو يزحمها والحرية الكاملة فى التعبير عن القلب والنفس بكل الألوان ، من غير احتمال ممانعة . فصارت بذلك أمة لغوية صرفة ليس لها صناعة غير صناعة الكلام ، ولا عمل غير الاشتغال بالبلاغة ، وليس لها فى ميدان المفاخرة ، ولا مظاهر الترقى والتفاضل غير الكلام واللغة والشعر ، والخطابة ، وما هو من بابها .

ولما لم يكن لهذه الأمة شىء آخر تعتز به غير صناعة الكلام وكانت طبيعتها لذلك مواتية وظروفها مسمحة ، وملكاتها متأصلة ، فقد وجهت كل همها ، لتنقيح لغتها ، وكمال لسانها والارتقاء فى درجات البلاغة والفصاحة الى المستوى الذى يتمثل عند انتهاء الطاقة الانسانية العامة فى فن القول وكمال البلاغة فعندئذ تحداهم القرآن فعجزوا ، ثم تحداهم فازدادوا عجزا ، ثم تحداهم فخروا على نواصيهم جاثمين .

« وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما » .

للبحث بقية وأوله الجزء الثانى فى آيات التحدى

أدب ودين

أولادنا

الأستاذ حسن جاد

وانما اولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الأرض

عاطفة الأبوة من أقوى العواطف الانسانية وأنبلها وأسماها ، بل لعلها أقواها لشدة اتصالها بالفريزة ، وأسماها لتجردها من الفاية ، وأصفاها لنقائها من الأنانية ، وأبقاها لتعلقها بسر الوجود .

فالأولاد زينة من زينات الحياة الدنيا ، وشهوة من شهوات الدنيا ، تتعلق بها قلوب الناس ، وتهيم بها حبا وافتتانا . يقول القرآن الكريم : ((**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**)) ويقول : ((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة**)) .

والاسلام ـ بحكمته ـ لا يدع الغرائز والعواطف تعمل عملها المطلق ، وتندفع فى جموح الى غايتها الطليقة ومداها البعيد ، حتى تورد أصحابها موارد الهلكة ، وتطيح بهم الى الهاوية السحيقة ، ولكنه ينظمها ويهذبها ويوجهها الى الاعتدال ، ويقودها الى الخير والفلاح .

لقد جمحت هذه العاطفة فى نفوس الجاهليين ، فكانوا يقتلون أولادهم من الفقر او خشيته ، اشفاقا عليهم من عوز الفاقة ومرارة الاملاق ، وما زال هذا الجموح يمتد مع الزمن ، حتى رأينا شاعرا كاسحق بن خلف يتحدث عن ابنته فيقول :

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا
والموت أكرم نزال على الحرم
أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ
وكنت أبقى عليها من أذى الكلم

فلما وقع ما تمناه لها من الموت بكاها بقوله :

قد كنت أخشى عليها أن تقدمنى
الى الحمام فيبدى وجهها العدم
فالآن نمت فلا هم يؤرقنى
يهدا الغيور اذا ما أودت الحرم
للموت عندى أياد لست أنكرها
أحيا سرورا وبى مما أتى ألم

وقد نهى القرآن الكريم عن هذا الاندفاع القاتل واليأس الكافر ، والاشفاق المميت ،

وكان من دقائقه فى التعبير ، ولطائفه فى البيان ، أن قال فى جانب الفقر الواقع فعلا : **((ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم))** فقدم ذكر الآباء على الأبناء فى ضمان الرزق تطمينا لنفوسهم التى تضيق بالفقر الواقع ، وقال فى جانب توقعهم نزول الفقر بأبنائهم : **((ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم))** فقدم ذكر الأولاد ، تثبيتا لأفئدتهم التى تتوجس فقر أولادهم ، وتطمينا على مستقبلهم ، ودفعا لما يتوقعونه من املاقهم .

وكانت عاطفة الأبوة المشبوبة ـ وما تزال ـ فتنة لكثير من الناس ، توقعهم فى الحرج ، وتصرفهم عن الواجب ، وتشغلهم عن حقوق الله وتقعد بهم عن الضرب فى الارض ابتغاء الرزق ، أو الخروج للجهاد فى سبيل الله .

وهذا أبو خالد القنانى يقعد به عن الجهاد الخوف على بناته ، فيقول :

لقد زاد الحياة الى حبا
بناتى انهن من الضعاف

أحاذر أن يرين الفقر بعدى
وأن يشربن رنقا بعد صاف

ولولا ذاك قد سومت مهرى
وفى الرحمن للضعفاء كاف

أبانا من لنا ان غبت عنا
وصار الحى بعدك فى اختلاف؟

وعلى هذا النحو كان حطان بن المعلى يقول :

لولا بنيات كزغب القطا
رددن من بعض الى بعض

لكان لى مضطرب واسع
فى الأرض ذات الطول والعرض

وانما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الارض

لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عينى من الغمض

وهكذا يجعل ضعف الأولاد وسيلة للزومهن ، والقعود عن السعى ، مع أنه داع ملح للضرب فى الأرض ، واقتحام الصعاب ، وركوب الأهوال ، فى سبيل اسعادهم ، كما يقول الشاعر الآخر :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح

وكما جعل اسحق بن خلف وجود البنت سببا فى حبه للحياة ، ومقاساته للأهوال ، واقتحام الدياجى ، ابتغاء للرزق والغنى :

لولا أميمة لم أجزع من العدم
ولم أقاس الدجى فى حندس الظلم

وزادنى رغبة فى العيش معرفتى
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم

أحاذر الفقر يوما أن يلم بها
فيهتك الستر عن لحم على وضم

والاسلام لا يقر هذا الاندفاع المفضى الى التواكل ، ولكنه يكبح جماح هذه العاطفة التى تصد عن طلب الرزق ، وتثبط عن الواجب المقدس ، وتبطىء عن الجهاد ، وتفتن المرء فى دينه بايثار الأبناء والركون اليهم على طاعة الله ومحبته .

((قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره)) ، ويقول القرآن الكريم أيضا : **((يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون))** .

ويحذر من هذه الفتنة : **((يأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم))** . **((انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم))** .

وليس معنى هذا أن الاسلام يصرف عن حب الأبناء ، أو ينفر من عاطفة الأبوة ، أو يريد بالآباء ان يكونوا غلاظ الأكباد ، قساة القلوب . كلا ، فان الاسلام أبر بالطفولة ، وأعطف على البنوة، وأحنى على الصغار ، وأحرص على اشاعة الرحمة والحنان .. انه يدعو الى هذا الحب ، ويبارك تلك العاطفة ، ولكنه يعصمها من الفتنة ، ويحميها من الانحراف ، وينأى بها عن التفريط فى الحقوق

والواجبات ، أو الاثرة التى تفقد الثقة فى الله الذى لا يضيع أحدا .

يقول حبيبة البصرى حين خرج للجهاد : فكرت فى بناتى ، فقلت لأمسكن عن الخروج لتفقدهن الليلة ، فلما كنت فى جوف الليل ، استسقت بنية « لى لى » ، فقالت : يا أبت اسقنى، فلم أقم ، فلما كانت الثانية قامت أخية لها أسن منها فسقتها ، فصممت على الخروج ، وعلمت أن الله غير مضيعهن .

وفى ظلال الاسلام الرحيمة عرف الناس حقوق الأولاد وما ينبغى لهم من لين الجانب ، ورقة القلب ، وحلاوة اللسان ، واظهار المودة، وحسن التلطف . ومن شريعته العادلة أدركوا ما يجب لهم من الانفاق والرعاية ، والتربية الصالحة ، والتنشئة الكريمة .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة المثالية ، والأسوة الحسنة ، لسمو الانسانية المتمثلة فى حبه للاطفال ، وملاطفته للصغار ، ورحمته بالاولاد ، ونفوره ممن لا يرحمهم ، وفيما رسمه للآباء مما أوجبه عليهم لأبنائهم ، حتى فى اختيار الأسماء لهم . يقول عليه الصلاة والسلام : **« انكم تدعون يوم القيامة بأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم »** .

ويقول فى واجب العناية بأدبهم وحسن تربيتهم ، وتتبع أحوالهم وتوجيههم للخير : **« الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »** .

ولقد كان من حكمته وعدله وادراكه النفسى العالى لأصول التربية السليمة ، ودخائل النفوس وأدوائها ، أن أمر بالعدل بين الاولاد فى الهدايا والمداعبة والاحسان والحنان ، فان التفاضل يؤدى الى التباغض والعقوق :

« اعدلوا بين أبنائكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف » .

أما العطف على الأولاد ، واشعارهم بالمحبة، واسعادهم بالمودة ، وايناسهم بالكلمة الهاشة ، والقبلة الحانية ، واللقاء المؤنس ، فحسبنا ما يحدثنا به أبوهريرة: **« قدم ناس من الأعراب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : تقبلون صبيانكم ؟ فقالوا :نعم، فقالوا: لكنا والله ما نقبل ، فقال الرسول أو أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة ؟ »** .

وقبل النبى – عليه السلام – الحسن – رضى الله عنه – وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر اليه الرسول الرحيم ، ثم قال : **« من لا يرحم لا يرحم »** .

وما ورد من حبه للحسن والحسين ومداعبته لهما ، واحتماله فى رضا وبشاشة عبثهما وعبث غيرهما حتى فى الصلاة ، مشهور معروف .

وبمثل هذا يغرس الاسلام عاطفة الأبوة الجياشة بالحب والدفء والحنان فى قلوب الآباء ، ويقويها وينميها ، ويباركها ويزكيها ، على ألا تكون فتنة جامحة ، تصد عن الواجب، وتصرف عن الخير ، وتفتن الوالد فى دينه ، وتحول بينه وبين ما يتطلبه الايمان بالله من العمل والسعى ، والبناء والتعمير ، والجهاد والنضال فى سبيل الدين والوطن .. انه حينئذ يردها الى الاعتدال ، ويوجهها الى الحق والعدل والخير .. انه صمام الأمان لثوران العواطف ، وفوران الغرائز ، ونزوات النفوس .

الميثاق فلسفة للثورة العربية

المهندس الزراعى
يحيى محمود رمضان

لقد سجل التاريخ بأحرف من نور حدثا تاريخيا عظيما فى الحادى والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٦٢ فقد قدم قائدنا العظيم ومعلم ثورتنا وباعث نهضتنا الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة والى الشعوب العربية والآسيوية والافريقية وسائر شعوب العالم ميثاقنا الخالد الذى سينير الطريق أمامنا ويساهم فى تطوير النهضة الاجتماعية للانسانية فى كل مكان ٠

وأن الميثاق بما احتوى عليه من مواد فهو يعتبر دستورا عالميا أظهر فلسفة الثورة العربية التى انبثقت عن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، تلك الثورة البيضاء التى حررت الشعب العربى فى مصر وأرسلت أشعة الحرية فى افريقيا وآسيا وأظهرت قوة الشعوب ومرارة الكفاح وحلاوة النصر

ومما لاشك فيه أن هذا الميثاق نابع من رغبتنا الفعلية لبرنامج نسير عليه حتى نعبر كل طريق صعب قد يصادفنا فى حاضرنا أو مستقبلنا وحتى يمكننا أن نتخطى كل الحواجز التى يضعها الاستعمار لنا فى أى وقت وفى أى مكان ٠

ولقد جاء هذا الميثاق وليدا لمجتمعنا الاشتراكى الديمقراطى التعاونى الذى يؤكد العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص أمام الشعب بمختلف طوائفه وهيئاته

ولقد أكد الميثاق فى طياته أسسا سليمة حتى يمكن للمجتمع أن يحققها وفقا للتخطيط الاشتراكى المنبعث من احتياجاتنا وكياننا وتاريخنا وديننا

ولقد أشعر الميثاق كل فرد حر بأنه استعاد حقه فى حياة كريمة يمكن ان يرسى جذورها بنفسه ليحقق آماله وأمانيه فى الحياة ــ وان الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة ، وينبغى لنا أن نذكر دائما أن حرية الانسان الفرد هى أكثر حوافزه على النضال

ان هذا الميثاق العظيم يدعو الى قوة الشعوب وخاصة الناهضة حديثا والتى حصلت على استقلالها بعد مرارة الكفاح حتى يكون بينها

وحدة الهدف فى القضاء على الاستعمار والرجعية وتطبيق نظام ينبع من كيانها يضعه أبناؤها بما يتلاءم مع دينهم وظروفهم ، وان خير دليل على هذا الكلام ماقاله الرئيس جمال عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة :

« وحين أسرح بخيالى الى ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا وخمسين مليونا فى الصين وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ومايقرب من مائة مليون فى الباكستان وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الأوسط وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفييتى وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة - حين أسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون

لايخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع ولكنه يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة »

وان الميثاق أظهر فى مواده أن بلادنا أثبتت قدرتها على تحمل المسئوليات الكبرى التى ألقيت على عاتقها ، وان الوعى الثورى قادر على صد كل سيطرة غاشمة تعرضنا اليها فى نضالنا من أجل الحرية ، بل ان الجمهورية العربية المتحدة أخذت على عاتقها أن تقف دائما بجانب الشعوب التواقة الى التحرر وتساعدها بكل ما استطاعت من قوة فى سبيل حريتها وهذه دعامة من الدعامات التى تقوم عليها سياستنا فى هذا الجانب من العالم ، ولا نريد بذلك عصبية فى الدين ولا عصبية فى الجنس ولا عصبية فى الأرض لأن ديننا دين الانسانية كلها ، لادين جنس من البشر ، ولأن جنسنا أول من بشر بمعانى السلام والأخوة الانسانية على الأرض ، فلا يستجيب لدعوة العنصرية ولأن أرضنا هى أرض النبوات فلا يمكن أن تنبعث منها دعوة الى شر بل دعوة الى خير على الدوام ، فنحن العرب ، ونحن المسلمين نريد أن نؤيد الحق والخير والسلام ونقاوم البغى والظلم والعدوان - وان هذا هو مايدعو اليه ديننا وانسانيتنا محققين بذلك التعاون بين الدول الاسلامية جميعا لرفع مستوى شعوبها فى كل نواحى الحياة .

ان الميثاق دق ساعة العمل الثورى لكى ننهض ونقف بعزيمة الثوار فى وجه كل اعتداء على الحرية فى أى مكان ، وجعلنا نستجمع كل حوافز القتال لنواصل معركة الحرية والشرف فى كل لحظة وفى أى مكان

ان الجمهورية العربية المتحدة ألقت على العالم درسا ووجهته وجهة جديدة ورسمت خطوط المستقبل كما تتصوره الأمم ذات الرسالات ، خطوطا من نور وسلام لها وللآخرين ممن يمشون فى طريق الكفاح .

ولا جدال فى أن الجمهورية العربية المتحدة تتمسك الآن بتحقيق رسالة السلام فى العالم ولا تنحاز بل تنشد الحياد الايجابى لتجعل من الدول الصغيرة قوة لها دورها الفعال فى خدمة البشرية ونشر رسالة الخير والمحبة والنور ، فهى التى ساهمت فى حضارة الشرق وجاهدت فى سبيل رفع صوت الشعوب الآسيوية والافريقية فى كل مجال دولى حتى تحققت مطالب كثير من الدول بل ساعدتها فى الحصول على استقلالها .

واذا كان ميثاقنا يعبر عن آمالنا ومستقبلنا فهو فى الوقت نفسه يدفع الشعوب الصغيرة لتحقق مزيدا من الحرية ومزيدا من التقدم لتأخذ مكانها بين الأمم المتقدمة

وانه لمن دواعى الخير أن يدرس الميثاق الآن فى بلدان كثيرة ليكون منهجا لهذه البلدان فى سبيل تحقيق أهدافها ورفع مستواها ورفاهية شعبها ، فالشعوب الاسيوية والافريقية ذات طابع واحد وظروف متشابهة . وهذا مما سيساعد تلك الدول باذن الله على المضى قدما فى سبيل النصر كما حققته الجمهورية العربية المتحدة برياسة عبد الناصر البطل

السعداء والأشقياء

الأستاذ محمود متولى بيومى

ان مقومات الفكر الصالح نور من الله يقذفه فى قلوب أحبابه الذين لا يغفلون عن ذكره ، فيسطع على الوجدان ، فينفى خواطر السوء، كما ينفى الكير خبث الحديد . والعلم النافع الذى يرد الانسان الى موارد الحكمة من الكتب السماوية ، وهدى أولى العلم والورع الذين يستنبطونه منها . وفى المخالطة الصالحة التى تتعدى آثارها الى الارواح فتجذبها من حيث لا تعلم الى موارد النور والحكمة ، فتصفو النفس من أكدار المادة والشهوات ، وتستعين فى سلوكها على اكتساب كل ارادة طيبة وتصبر وتصطبر حتى تلين الى ذكر الله وتخشع لما نزل من الحق ، وتصطبغ بصبغة أهل الهدى والنور .

ومقومات الفكر السيء ، غرام بالشهوات وولوغ فى الدناءات ، وصبر على المحرمات حتى يخبو نور العقل ، وترتفع عن العبد صلات ربه ، وينأى عن رحمته ولا يسمع لندائه ودعاه ، فيخلص الى استماع الشيطان وضالى الخلق ويدخل فى ظلام التقليد الأعمى . فلا يخطر بوجدانه الا خواطر السوء ولا تهتف بقلبه الا ارادات السوء . وتضعف ذاته أمام سلطان الضلال حتى يبوء بالخذلان والظلم وسوء الجزاء .

فطريق الله ايمان يملأ القلب ويسيطر على الشعور ، ويأخذ على الانسان جميع مسالكه، فلا يفكر الا فى الله ولا يسعى لغير الله ولا يرى غير الله . وطريق الله لا يعرف المظهر الخادع ولا المنطق البارع ، وانما هو القلب الخاشع والعلم النافع والعمل الصالح وتطهير الباطن من شوائب النفاق ، وتزكية النفس من ذميم الأخلاق واتقاء الله باتباع ما أمر .

والناس بحسب العاقبة اما سعداء أو أشقياء. قال الله تعالى :**((فمنهم شقى وسعيد))** والأشقياء هم أصحاب الشمال ، والسعداء هم المتقون ومنهم السابقون المقربون وأصحاب اليمين . قال الله تعالى : ((**وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**)) .

والمتقون جمع متق أى متصف بالتقوى : والتقوى درجات أدناها اجتناب الشرك واعلاها اجتناب ما نهى الله عنه ، والقيام بما امر به حسب الاستطاعة ، وأشار الى هذا من قال : **التقوى ان لا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك** فالمتقون هم الذين آمنوا بالله واحدا أحدا خالقا متصرفا مالكا ،

وآمنوا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ثم عملوا بوحى ايمانهم فأقاموا الصلاة صلة بينهم وبين ربهم، ووصلا بينهم وبين خالقهم، وادوا الزكاة وآتوا المال على حبه فى سبيل مانحه ومهديه، واستجابوا لدواعى يقينهم، فآتوا كل صالح وتباعدوا عن كل طالح، فاستحقوا بوصفهم مؤمنين عاملين أن يبارك الله لهم سعيهم ويهديهم سواء السبيل .

فالتقوى ذات عنصر ايجابى يدفع الى فعل الخير للنفس والغير وذات عنصر سلبى يمنع من فعل الشر للنفس والغير . قال سبحانه وتعالى : ((**... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**)) .

والسابقون المقربون هم من أهل الله وهم اما محبوبون واما محبون . فالمحبوبون هم أهل العناية الأزلية الذين اجتباهم وهداهم الى صراط مستقيم . وهم يحتاجون الى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه فى الله لقوله تعالى لحبيبه : ((**كذلك لنثبت به فؤادك**)) . وقوله : ((**وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك**)) .

اما المحبون فهم الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وانابوا اليه حق انابته فهداهم سبله .

فان للايمان باليوم الآخر اثر عظيم فى اجتناب الشر والاستكثار من الخير، ففى وصف المتقين به تنبيه على الوجه الذى أحرزوا به الغاية من تقوى الله فى السر والعلانية . فمن عرف الله من جهة الايمان أطاعه ومن عرفه من جهة اليقين آثره ومن عرفه من جهة التوحيد عظمه . ومن لم تفده المعرفة علما بالله وبصفاته، ومزيدا فى حقيقة توحيده فهو محجوب .

اما أصحاب اليمين فهم أهل الفضل والثواب وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومنهم أهل الرحمة الباقون على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المتبوءون درجات الجنة على حسب استعدادهم من فضل ربهم لا على حسب كمالاتهم من ميراث عملهم .

وأهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وهم قسمان : المعفو عنهم راسا لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيآتهم لقلة مزاولتهم اياها أو لامكان توبتهم عنها فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات . وأهل العدل والعقاب وهم المعذبون حينا بحسب ما رسخ فيهم من المعاصى حتى خلصوا من درن ما كسبوا فنجوا . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا، لكن الرحمة تتداركهم، فمحاسبة النفس وصفائها هى خطوة كبيرة نحو اكساب الروح حساسية اللوم الباطنى وهو يوصل الى التوبة، ويتلوه تصحيح النفس من العلل والشوائب والغايات وسائر الآفات حتى الخواطر القلبية . فان القوم يحاربونها باعتبارها عقبة فى طريق الصفاء، ولا تزال محاسبة المرء نفسه ترقى حتى لا تقف عند حد الأخطاء، بل تتعدى ذلك الى مهاجمة دفين الداء والتقصير فى الطاعة استنهاضا للهمة وأخذا للدين بالقوة، اذ لو قصد المرء بعمله الرياء — مثلا — لحبط عمله ((**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**)) وكما يقول الله تعالى : ((**الا لله الدين الخالص**)) وليس أشد وأشق فى العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعانى واعطاء الحروف حقها على ارادة وجه الله تعالى، وهو موضع الاخلاص والعزيمة على العمل بها .

والكافرون هم الفريق الأول من الاشقياء الذين هم أهل القهر الالهى لا ينجح فيهم الانذار ولا سبيل الى خلاصهم من النار، أولئك حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون . ((**وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار**)) سدت عليهم الطرق واغلقت

عليهم الابواب . اذ القلب هو المشعر الالهى الذى هو محل الالهام فحجبوا عنه بختمه ، والسمع والبصر هما المشعران الظاهران اللذان هما بابا الفهم والاعتبار فحرموا على ان يجودا لامتناع نفوذ المعنى فيهما الى القلب. فلا سبيل لهم فى الباطن الى العلم الذوقى الكشفى ولا فى الظاهر الى العلم التعليمى الكسبى فحبسوا فى سجون الظلمات فما اعظم عذابهم .

فالكفر هو الاحتجاب ، والحجاب اما عن الحق كما للمشركين ، واما عن الدين كما لأهل الكتاب . والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذى هو طريق الوصول اليه ومثلهم كمثل الطاغون المنهمكون فى الصفات النفسية البهيمية والسبعية والشيطانية ، وهذه الصفات تستولى على القلب فيسود ويعمى فتتكدر الروح .

والأشقياء عامة هم المطرودون الذين حق عليهم القول وهم أهل الظلمة المختوم على قلوبهم ازلا . كما قال تعالى : ((**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس** » .. **الآية** . وفى الحديث القدسى : **هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالى . وهم أصحاب الشمال .**

ومنهم المنافقون الذين كانوا مستعدين فى الأصل قابلية للنور بحسب الفطرة والنشأة ، ولكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل حتى رسخت الهيئات الفاسدة والملكات المظلمة فى انفسهم ، وارتكمت على افئدتهم فبقوا شاكين حيارى تائهين ، قد حبطت اعمالهم ، وانتكست رؤوسهم فهم اشد عذابا وأسوأ حالا .

والنفاق هو المخادعة حيث قال تعالى : ((**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون**)) .

والمخادعة استعمال الخدع من الجانبين ، وهو اظهار الخير واستبطان الشر ومخادعة الله مخادعة لرسوله .

وقيل ان الضالين هم المنافقون . وذلك لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم فى خمس آيات من أول البقرة ، ثم اتبعه بذكر الكفار وهو قوله : ((**ان الذين كفروا**)) ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله: « **ومن الناس من يقول آمنا**)) وفى الفاتحة بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله : ((**أنعمت عليهم**)) ثم اتبعه بذكر المنافقين وهو قوله : ((**الضالين**)) .

وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — يعرف هؤلاء المنافقين من أساليب كلامهم كما قال تعالى : ((**ولتعرفنهم فى لحن القول**)) اى لتعرفن بقوة فراستك وسمو فطنتك المنافقين من أساليب كلامهم . وقد يطلعه الله على حال بعض المنافقين من طريق الوحى . وجرت سياسة الاسلام على أن يكتفى منهم بما يجرى على ألسنتهم من الاقرار والتسليم بصدق الدعوة دون التنقيب عما تنطوى عليه صدورهم .

واذا أمعنا النظر فى تعرف حكمة هذا الوجه من السياسة ، وجدنا فى دخول المنافقين فى صفوف المؤمنين ، واغماض النبى — صلى الله عليه وسلم — عنهم مع ما يبدو فى أساليب كلامهم من دلائل النفاق حكما سامية، وفوائد يتضاءل بجانبها الأذى الذى يتحينون الفرص لالقائه فى سبيل الدعوة تحت ستار الرياء والنفاق كقوله تعالى : ((**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**)) لأن تأثير خداعهم فى أنفسهم . وبالغ القرآن فى ذمهم وتهديدهم أكثر من تهديده للمشركين . وذلك لامكان قبولهم للهداية عسى التقريع يكبح جماحهم ويقلع أصول رذائلهم فتتنور قلوبهم بنور الارادة فيسلكوا طريق الحق ، ولعل ملاطفة المؤمنين لهم تستميل طباعهم وتلين قلوبهم الى ذكر الله فيتوبوا ويصلحوا كما قال الله سبحانه وتعالى : ((**ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما**)) .

فروسية الإمام

من "جوانية" الإسلام

الدكتور عثمان أمين

لقد بين لنا الأستاذ الكبير عباس العقاد فى كتابه الجميل « عبقرية الامام » أن مفتاح شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب هو أخلاق ((الفروسية)) تلك التى نستطيع على ضوئها أن ندرك مرامى أقواله وبواعث أعماله.

ويحلو لنا اليوم أن نستأنف حديث أديبنا اللماح عن حكيم الاسلام ، فننوه بأن أخلاق الفروسية هذه التى نلمحها فى سيرة الامام ووصاياه ، هى أخلاق نابعة من جوانية الاسلام : انها أخلاق الصدق والصراحة والاخلاص ، تستوحى مبادىء الحق والخير والانسانية ، وتجعل الصدارة للنية والقصد والضمير ، وتلتزم حدود التوسط والاعتدال ، وترتكز على أحكام العقل الرشيد والوعى المستنير .

الضمير :

لا جدال فى أن السمة البارزة للأخلاق على نحو ما نتبينها عند الامام على ـ رضى الله عنه ـ هى الصدق والصراحة والاخلاص ، التى هى ثمرة ولاء الانسان لذاته الحقيقية ، ولجوهره الأصيل ، ومجلى حرصه على اصلاح نفسه فى سره وعلانيته ، مصداقا لقول النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **لكل امرىء جوانى وبرانى . فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه . ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه** » .

وأمير المؤمنين ـ كرم الله وجهه ـ يقول فى ذلك : « **احذر كل عمل يعمل فى السر ويستحى منه فى العلانية .. واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر عنه** » .. ذلك أن مناط العمل الأخلاقى ومعيار قيمته مطابقته لوحى القلب واستجابته لصوت الضمير . وفى ذلك يقول ـ رضى الله عنه ـ :

« **لقد علق بنياط هذا القلب بضعة هى أعجب منه ، وذلك القلب . وله مواد من الحكمة واضداد من خلاقها**)) .. ثم يقول : « **أول ما تغلبون عليه من الجهاد بأيديكم ، ثم بألسنتكم ، ثم بقلوبكم : فمن لم يعرف قلبه معروفا ، ولم ينكر منكرا ، قلب فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه** » .

« **ان الضمير أو « رقيب السر » أو « رصد النفس أساس جوانى مكين للأخلاق الاسلامية : لأن هذا الرقيب هو « واعظ السر الروحى ، الذى لا يغفل عن التنبيه ، ولا يخطىء فى الانذار والتحذير ، حتى لا تكون للمخطىء خطيئة الا ويناديه من سره مناد يعنفه على ما ارتكب ، ويبين له وجه الحق فيما فعل** » .

كما يقول الأستاذ الامام محمد عبده شارح « نهج البلاغة » .

وبهذا الأساس من رقابة الضمير جاوزت الأخلاق ملابسات الزمان والمكان ، وسمت الى منزلة أصبحت فيها تشريعا انسانيا ورحمة شاملة لأولئك الذين فقدوا أساس الهداية، وضيعوا أسباب الوجود ، فكانت حياتهم حياة برانية ، يعيشون على خلاف مع أنفسهم فيخطف بريق المادة أبصارهم ، ويخدعهم الزيف ، ويستغريهم المظهر والبهرج .

والأخلاق الاسلامية الجوانية من شأنها ، لكى تكون كذلك حقا ، أن تستوحى الضمائر التى هى « **عيون الله** » على حد تعبير الامام على ، اذ يقول – رضى الله عنه – :

« ان الله – سبحانه وتعالى – لا يخفى عليه ما العباد مقترفون فى ليلهم ونهارهم لطف به خبرا وأحاط به علما . وأعضاؤكم شهوده ، وجوارحكم جنوده ، وضمائركم عيونه ، وخلواتكم عيانه » .

ويصف أمير المؤمنين لأصحابه رجلا من المتقين المؤمنين فيقول :

« والمتقون فى هذه الدنيا هم أهل الفضائل منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع . غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم منهم فى البلاء ، كالتى نزلت فى الرخاء ، عظم الخالق فى أنفسهم ، فصغر ما دونه فى أعينهم .. أرادتهم دنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا انفسهم منها . علماء أبرار أتقياء ، لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير . فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، اذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول : أنا أعلم بنفسى من غيرى ، وربى أعلم بى من نفسى.. فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتحرجا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل . الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون . يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ، مقبلا خيره ، مدبرا شره ، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة . »

التزام الحد الوسط :

والجوانية تراعى ما يمكن أن نسميه فى أخلاق أمير المؤمنين بلزوم الوسط : فهو يقسم الناس – كما يرى الامام محمد عبده – الى ثلاثة أقسام : « الأول الساعى الى ما عند الله ، السريع فى سعيه ، وهو الواقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها ولا شاقها عن سهلها . والثانى الطالب البطىء له قلب تعمره الخشية ، وله صلة الى الطاعة ، لكن ربما قعد به عن السابقين ميل الى الراحة فيكتفى من العمل بفرضه ، وربما انتظر غير وقته ، وينال من الرخص حظه ، وربما كانت له هفوات ، ولشهوته نزوات ، على أنه رجاع الى ربه ، كثير الندم على ذنبه : فذلك الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، فهو يرجو أن يغفر له .

والثالث المقصر ، وهو الذى حفظ الرسم ، ولبس الاسم ، وقال بلسانه انه مؤمن ، وربما شارك الناس فيما يأتون من أعمال ظاهرة ، كصوم ، وصلاة ، وما شابهها ، وظن أن ذلك كل ما يطلب منه ، ثم لا تورده شهوته منهلا الا عب فيه ، ولا يميل به هواه الى أمر الا انتهى اليه : فذلك عبد الهوى ، وجدير به أن يكون فى النار هوى » .

ذلك هو « البرانى » الزائف المخادع ، وما يخدع فى الواقع الا نفسه ، وفى هـذا المعنى أجمل الامام أصناف الناس فقال : « **شغل من الجنة والنار أمامه ساع سريع نجا ، وطالب بطىء رجا ، ومقصر فى النار هوى** » •

« وان لسان المؤمن من وراء قلبه ، وان قلب المنافق من وراء لسانه » ، لأن المؤمن لا يقول الا ما يعتقد ، واذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره فى نفسه ، فان كان خيرا أبداه ، وان كان شرا واراه • فيكون لسانه تابعا لاعتقاده • أما المنافق فيقول ما ينال به غايته الخبيثة ، فاذا قال شيئا أخطره على قلبه حتى لا ينساه فيناقضه مرة أخرى ، فيكون اعتقاده تابعا للسانه •

الأخلاق ترتكز على الوعى المستنير :

والأخلاق الاسلامية على ذلك ترتكز أولا على وعى مستنير ينشأ منه الوعى المنير المحدد لمسئولية الانسان، والهادى الى الطريق القويم، وكما يقول أمير المؤمنين بحق : « العامل بغير علم كسائر فى غير طريق • فلا يزيده بعده عن الطريق، الا بعدا عن حاجته، والعامل بالعلم كسائر على الطريق الواضح ، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع • »

وأمير المؤمنين يريد للأخلاق الاسلامية أن تجرى على سنة العرب، فتجعل الوفاء والصدق أصلا من أصولها ، وهو يقول فى ذلك :

« والوفاء توأم الصدق ، ولا أعلم جنة أوقى منه • ولا يغدر من علم كيف المرجع • »

ثم يشير بعد ذلك الى أولئك الذين انطمست بصائرهم ففقدوا القدرة على تمييز الخير من الشر ، والحسن من القبيح ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين ، فيقول :

« **ولقد أصبحنا فى زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا ، ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ، ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها ، وينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين** • »

فالمؤمن الصحيح له من ضميره وخلقه رادع ينهاه عن فعل الشر وارتكاب الرذيلة، وضميره هو صوت الله فى أعماقه •

العدالة :

والأخلاق الاسلامية عند أمير المؤمنين أخلاق الاخاء الانسانى ، والعدالة الكاملة التى تعطى لكل ذى حق حقه ، ولا تقر ظلم الانسان للانسان ، بل تعتبر ذلك شركا واثما لا يترك •• ويقول الامام فى هذا المعنى :

« **ألا وان الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفر ، وظلم لا يترك ، وظلم مغفور لا يطلب • فأما الظلم الذى لا يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات ، وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا : القصاص هناك شديد ، ليس جرحا بالمدى ، ولا ضربا بالسياط ، ولكنه ما يستصغر ذلك معه** » •

أخلاق ارادية :

والأخلاق الاسلامية هى فى آخر الأمر أخلاق الارادة ، الارادة الحازمة التى تقتضى قهر النفس ، وقمع الشهوة • ومن خطبة للامام – رضى الله عنه – :

« **اعلموا أن ما من طاعة الله شىء الا يأتى فى كره ، وما من معصية الله شىء الا يأتى فى شهوة ، فرحم الله رجلا نزع عن شهوته ، وقمع نفسه ، فان هذه النفس أبعد شىء منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية فى هوى** • »

وأكبر آفة تصيب النفس هى الكفر والنفاق والغى والضلال ، وواجب المؤمن أن يكون صاحب رسالة : فان للاسلام غاية علينا أن ننتهى اليها ، ونخرج الى الله بما افترض علينا من حقه . وعلينا ان نتمثل قول أمير المؤمنين – رضى الله عنه – : « **اعلموا فى غير رياء ولا سمعة** • »

أخبار سريعة

رسالة للشافعى من امام المسلمين بفنلندة

تلقى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف رسالة من الامام حبيب الرحمن شاكر ، امام الملة الاسلامية فى تامبرى والقائم بتبليغ الدعوة الاسلامية بفنلندة ، يشكر فيها الوزارة على هدية المصحف المرتل ، ويهنىء فيها الجمهورية العربية المتحدة بهذاالمشروع الجليل باعتبارها زعيمة البلاد الاسلامية والشرقية .

وقد جاء فى رسالة الامام حبيب الرحمن أن هذا المشروع قد أوجد حلا مناسبا لطريقة توحيد تلاوة القرآن وتعليمها بدلا من مشروع انشاء المراكز الاسلامية لهذا الفرض فى النهاية وما كان سيتكلف من انشاء مكاتب وايفاد المدرسين مما لقى كثيرا من الصعوبات عند التنفيذ .

مجلس الكنائس العالمى يشيد بالميثاق الوطنى

جاء فى تصريح للبابا كيرلس السادس بابا الكرازة المرقسية أن اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمى التى تضم ممثلين عن مائتى كنيسة فى أكثر من ٥٠ دولة شرقية وغربية أصدرت خلال اجتماعها فى باريس قرارا اشادت فيه بما جاء فى الميثاق الوطنى للجمهورية العربية الذى قدم الرئيس جمال عبد الناصر مشروعه للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، واعتبرت اللجنة الميثاق نبراسا لتقدير رسالة الدين ومبادىء الحرية الدينية وقواعد العدالة الاجتماعية .

كما جاء فى قرار اللجنة أن الميثاق يعتبر عملا انسانيا يقدس حرية العقيدة ، ويرسى قواعد العدالة الاجتماعية على أسس قومية من الحق والخير ، ويرفع حقوق الانسان فوق مستوى المآرب السياسية والمصالح الذاتية .

التخطيط الجديد للدعوة

تدرس الجهات المسئولة مشروعا جديدا لتخطيط الدعوة ..

ويقضى هذا المشروع باعداد من يقوم بالدعوة الاسلامية وفق برنامج دراسى خاص يواظب عليه الطالب منذ التحاقه بالأزهر الى أن يتخرج فيه .

وقد عنى المشروع الى جانب العناية بمن يقوم بالدعوة الاسلامية بتخطيط المساجد وتحديد معالم رسالتها بحيث يصبح المسجد مقرا شعبيا قياديا للمنطقة التى يقوم فيها فيكون مقرا للعبادة ، ومدرسة ابتدائية اسلامية تؤهل لدخول الازهر ، ومجلسا خاصا للفصل فى المنازعات ، وجمعية خيرية ترعى الفقير والمريض .

وسيعد برنامج تدريبى شامل لجميع أئمة المساجد الحاليين لتخريجهم قادة اجتماعيين الى كونهم أئمة فى الدين .. وبذلك يرتبط المسجد ارتباطا كاملا بالحى الذى يقوم فيه ، ويرتبط الامام بطوائف الشعب فى المنطقة .

كذلك ستتجه خطبة الجمعة فى التخطيط الجديد بالشعب الى الأهداف الصحيحة للاسلام والمفاهيم الجديدة للثورة ، كما ستتقصى أحوال المجتمع بحيث يصبح امام المسجد مثلا للحى الذى يقوم فيه المسجد .

شباب ٧٠ دولة يستنكرون موقف الانفصاليين

عقد الشباب السورى فى معسكرات أبى بكر الصديق مؤتمرا حضره ممثلو ٧٠ دولة اسلامية لمناقشة موقف وفد سلطات دمشق فى اجتماع مجلس جامعة الدول العربية فى شتورا ... وقد أرسل المجتمعون برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر جاء فيها :

« نستنكر موقف حكام دمشق دعاة الانفصالية وأعداء الشعب السورى الذين يريدون بادعاءاتهم الكاذبة أن يشوهوا الحقائق ويبتعدوا بالشعب عن طريق الحرية والوحدة »

الاسلام
دين الدولة الرسمى فى الجزائر

أصدر العلماء المسلمون فى الجزائر بيانا طالبوا فيه بأن يكون الاسلام هو الدين الرسمى للدولة الجزائرية ، وأن تكون اللغة العربية هى لغتها الرسمية .

الجمهورية العربية
قاعدة الانطلاق لتحرير فلسطين

عقد المجلس التشريعى لقطاع غزة جلسة خاصة ناقش فيها موقف الاستعمار من قضية فلسطين والحملات التى يقوم بها الانفصاليون والرجعيون ضد الجمهورية العربية المتحدة .

وقد أعلن المجلس أنه يجدد ثقته المطلقة بالسيد الرئيس جمال عبد الناصر رائد القومية العربية ، وأعرب عن ايمانه بأن الجمهورية العربية المتحدة هى قاعدة الانطلاق لتحرير فلسطين ، كما أعرب عن تمسكه بالالتفاف حول رايتها القومية ..

واستنكر المجلس الأحلاف التى يقيمها الاستعمار فى المنطقة ، والتى تهدف الى التآمر على سلامة البلاد العربية وتصفية قضية فلسطين وفى مقدمتها الحلف السعودى الهاشمى .

استخدام الموالد
فى التوعية القومية

بدأت لجان التوجيه القومى فى تنظيم برامج ثقافية لاستغلال الموالد وجعلها مراكز شعبية للتوعية القومية ..

وقد تضمنت هذه البرامج عقد ندوات ثقافية لشرح المفاهيم القومية .. والميثاق والمبادىء الاشتراكية .

تسليم أطيان الأوقاف وأعيانها

تم اعتماد البرنامج الكامل لتسليم بقية أعيان وأطيان الأوقاف الى الاصلاح الزراعى والمحافظات فى موعد أقصاه ١٥ يناير القادم .

سينقل حوالى ٣٠٠ موظفا من ادارات الوزارة الى الاصلاح وتبقى المراقبة فى المحافظات تابعة للوزارة بحيث تضم كل منها مراقبا يمثل الوزارة فى مجلس المحافظة .

يقضى التنظيم الجديد التوسع فى أقسام ادارة البر والخيرات وادارة الدعوة والمؤتمرات والزيارات ..

اذاعة جديدة
لجبهة التحرير السعودى

جاء فى الأنباء أن اذاعة جبهة التحرير السعودية قد بدأت عملها .. ويشرف عليها الأمير طلال بنفسه ويعاونه الأمراء الأحرار

وبهذه المناسبة نشرت صحيفة كبرى بألمانيا الغربية مقالا قالت فيه ان الأمير طلال يعتبر زعيما لفريق الاصلاح فى المملكة السعودية ، وانه آلى على نفسه أن يحد من سيطرة سعود على أموال الدولة ، كما أعلن الحرب السافرة على الملك من أجل قيام برلمان متحرر فى السعودية ..

رفض هدايا سعود

صرح مصدر سعودى كبير يقيم الآن فى روما أن جميع شيوخ القبائل رفضوا الهبة المالية التى اعتاد الملك سعود منحها لهم كلما عاد من رحلة فى الخارج .. وطلبوا منه بناء المستشفيات ورفع مستوى الشعب ..

مسجد لكل ٢٠٠٠ مواطن

تقرر أن يراعى فى التخطيط لانشاء المساجد الجديدة خلال السنوات الخمس القادمة .. أن يكون ذلك على أساس مسجد لكل ٢٠٠٠ مواطن ..

وستوزع هذه المساجد بحسب كثافة السكان وامتداد العمران بمختلف الأحياء والمناطق .

معونات لمنكوبى الزلازل بايران

اعتمدت جمعية الهلال الأحمر بالجمهورية العربية المتحدة مبلغ ٢٠ الف جنيه لاغاثة منكوبى الزلازل بايران .

صدرت التعليمات بارسال شحنات الاغاثة بالطائرات .

قامت أول طائرة فى الصباح الباكر من يوم ١٠ سبتمبر تحمل ٥٠٠٠ بطانية وكميات كبيرة من الأدوية ومواد الاسعاف ..

واتخذت الاجراءات السريعة لارسال باخرة شحنات الاغاثة عن طريق البحر بأسرع ما يمكن .

ممالك إسلامية قديمة

العبيديون

الأستاذ عبده بدوى

لم تتشكل « الشيعة » بشكل محدد الا فى عصر العباسيين ، وقد ساعد على هذا التحدد ظلم العباسيين لهم ، وتتبعهم ، ورصد تحركاتهم ، ومع أن الخليفة المأمون قد أدخل الى قلوبهم الأمن فترة من الزمن ، حين جعل من شعارهم « الأخضر » شعارا له ، وحين نصب « عليا الرضا » العلوى وليا لعهده .. الا أن هذه الفترة سرعان ما أطفأها فى نفوسهم الخليفة « المتوكل » الذى وصل به الانتقام الى حد تحطيم قبر على بالنجف ، وقبر الحسين وابنه فى كربلاء .

وقد أثر كل هذا على العلويين ، وجعلهم ينسحبون من المجتمع ، ويأخذون بمبدأ « التقية » ولكنهم فى عزلتهم كانوا يلتقون عند عدة حقائق تتمثل فى القول بوراثة الامامة فى آل على ، وبالقول بالمهدى المنتظر ، والفيض الالهى ، على أن ماكان يدفعهم دفعا الى الثورات والى الخروج من جمعياتهم السرية فى بعض الأحيان هو ايمانهم بوجود « الامام » فى كل عصر ، ومن هنا يمكن القول بلغة العصر أنهم كانوا يقيمون فى معازلهم حكومة سرية الى جانب الحكومة التى تتولى شئون البلاد !

وقد نبع من هذا اللون من التفكير ، بعض الأفكار المنحرفة التى ربما يرجع السر فى انحرافها الى أنها كانت تتكون فى السروتحت ظروف ضاغطة من الحكم القائم مثل تلك الأفكار التى ظهرت عند القرامطة ، والحشاشين ، والبساشيريين وأتباع البابية والقاديانية والتختجية ، والعلى الالهية والنصيرية ، والقزل باشيه .

على أن قمة ازدهار الشيعة لم تتمثل الافى تلك الخلافة الكبرى التى زاحمت العباسيين ، واضطرتهم الى تسليم الأمر لهم ، وهى خلافة العبيديين التى قامت فى تونس عام (٩٠٩ م

ـ ٢٩٧ هـ) ، والعبيديون هؤلاء ليسوا سوى الفاطميين المعروفين فى التاريخ الاسلامى والذين تحدد اسمهم بالفاطميين فيما بعد ٠

ويرجع الفضل فى قيام هذه الدولة الى ذلك الاصرار الغريب على أن الامام موجود فى كل عصر ، والى هؤلاء الفدائيين الذين كانوا ينتشرون فى حذر للتبشير به بين الحين والحين ، وقد كان من هؤلاء الفدائيين رجل يعرف بالحلوانى والآخر يعرف بأبى سفيان ، وقد صدرت اليهما الأوامر بالتوجه الى الشمال الأفريقى ، وكان مما قيل لهما « **ان المغرب أرض بور فاذهب فاحرث حتى يأتى صاحب البذر** » ٠

ثم رزقت هذه الدعوة برجل قوى هو « أبو عبد الله الحسين الشيعى » فقد وجد أن موسم الحج يعتبر خير مكان لبث دعوى الشيعة ، وسرعان ماتفتح وعيه الى وجود نفر من قبيلة كتامة الذين يعيشون فى الشمال الافريقى ، والذين وجد منهم اعجابا بهذه الدعوة ، ورغبة منهم فى حضوره معهم ، وهناك لقى الأمر ممهدا ، فقد كانت كتامة فى حاجة الى زعيم ، وفى حاجة الى فكر جديد يلم شتاتها ويقف بها أمام قوة « زنانة » التى تتهددهم بل ويزلزل حكم « الأغالبة » فى معاقلهم ٠

ولما كان لابد لهذه الدعوة من « امام » فانا نرى رجلا يسمى « سعيد » يغادر بلدة « سلمية » التى كانت المقر الرسمى للاسماعيلية ، ثم يتنكر ويواصل سيره للالتقاء بأبى عبد الله الحسين الشيعى ، ولكن « الأغالبة » يقبضون عليه ، حتى يتمكن « أبو عبد الله الحسين الشيعى ، من فك أساره ، ومن تحطيم الأغالبة تماما ٠

وحين مات « سعيد » نرى « أبا عبد الله الحسين » يرسل الدعاة لاستقدام ابن الامام المتوفى المسمى « عبيد الله » وسرعان مايحضر « عبيد الله » ويعمل على تأكيد ملكه بكافة الطرق التى كان من احداها قتل داعى الدعاة « أبو عبد الله الحسين الشيعى » ٠٠ ثم نراه يعمل على توسيع رقعة الخلافة بالسيف ، وبقوة الأسطول الذى ورثه من « الأغالبة »

على أنه سرعان ماأحس أنه غريب عن مشاعر أهل البلاد ، وأن العلماء لايقبلون عليه ، وأن « مملكة الامام مالك » التى تبسط نفوذها على النفوكى تزلزل أعماق دعوته ، بل ان البعض كانوا ينظرون اليه والى قضاته وعماله نظرة الخارجين على الدين ، وقد رأى أن يضع السيف جانبا ، وأن يعمل على تصارع الفكرة بالفكرة ، فكان أن دعا علماء المالكية وعلماء الشيعة الى الدخول فى مساجلات علمية تدور حول حقيقة مايعتنقه كل منهما ، ولكن الغلبة كانت لعلماء المالكية مما جعل وضعه حرجا فى البلاد ، وما جعله فى الوقت نفسه يعمل على أن يجد لدولته مخرجا ٠

ومن هنا كانت هذه الفتوح المبكرة التى كان القصد منها التحول الى بلاد يتعاطف أهلها مع الفكرة الشيعية ، والى التدعيم الحربى للبلاد مما جعلها تحصل على انتصارات مذهلة ، ومن هنا يفسر بعض المؤرخين انتقال عاصمة الحكم الى بلدة « المهدية » ، ثم الى « القاهرة » وكان أن بلغت هذه الخلافة الشيعية حدا جعل المسلمين يخطبون باسمها فى مساجدهم من المحيط الأطلسى الى البحر الأحمر ، وفى اليمن ومكة ، ودمشق ، بل وفى الموصل ، بالاضافة الى تأثيرها على مالطة ، وصقلية ، وسردينية وقورسيقة وجزائر البليار ، والى سواحل اسبانيا ، والسواحل الجنوبية الفرنسية حيث كانت « جنوة » تحت قبضتهم ، وهناك صورة جميلة يذكرها المؤرخون عن عملية التوسع هذه وهى أن رجال هذه الخلافة حين وصلوا الى المحيط الأطلسى ، وجدوا أن أجمل شىء يؤكدون به نصرهم ، هو أن يحملوا الى القائم بالأمر بعض أسماك المحيط الاطلسى ٠ وقد حملت هذه الأسماك فى قدور بها ماء الى الأمام بحيث رآها مازالت تتحرك أمامه !

على أن اسمهم لم يتردد على هذا الامتداد الكبير فقط ، لأنا نرى الظاهر (١٠٢١ ـ

١٠٣٥) يدخل مع الامبراطور قسطنطين الثامن فى مفاوضات تتضمن الدعاء له فى المساجد التى تقع فى ممتلكاته ، كما يطلب منه ترميم مسجد قسطنطينة فى مقابل اعادة بناء « كنيسة القيامة » التى أمر بهدمها من قبل الحاكم بأمر الله ٠

وقد كانت آخر انتصارات هذه الخلافة ـ بلاشك ـ تنازل الخليفة « القائم العباسى عن حقه فى الخلافة للامام الفاطمى »

ثم أخذت عمليات التخريب أشكالا علنية فى تقويض هذه الدولة ، فكان أن ظهرت الأفكار المناوئة لها بصورة مجاهرة ، وكان أن أخذ الجنود المرتزقة عن الشراكسة والترك والافريقيين يتنازعون ، وكان أن أخذ الصليبيون يوجهون ضربات قوية الى هذه الدولة ، وأخيرا فقد كان نظام الوراثة ، والارهاق الاقتصادى ، وبعض الثورات من المعاول الضخمة التى كانت لا تكف عن الضرب على قلب هذه الدولة ، مما هيأها للسقوط تماما فى يد « صلاح الدين الأيوبى » وجردها من القلب الذى ينبض فى جنبها وهو الدعوة الى الشيعة ، بالدعوة مرة أخرى للعباسيين !

ومما لاشك فيه أن انتقال الفاطميين الى مصر قد أجرى فيها النضارة ، وحرك فيها قوى تعتمد على الرسوخ الدينى لم تكن لها فى يوم من الأيام الا فى عهد الفراعنة ، كما أن هذه الخلافة الشيعية قد تميزت بصبغة لاهوتية لم توجد من قبل عند الأمويين والعباسيين ، وأنها أحدثت « تكتيكا » جديدا فى أسلوب الدعوات يقوم على اثارة شكوك الفرد ، ثم التسلط عليه بالبراهين العقلية ، ثم الوصول به فى رفق الى آرائهم ، وأن أثرها فى العلم والفن كان ثمرة لالتقاء الفكر العربى بالفكر الفارسى وتوليد شىء جديد منه هو ذلك الطابع الفاطمى ٠

فاذا قلنا ان الفن والعمارة والعلم واذا قلنا ان الأزهر والقاهرة نتاج للفكر الشيعى لم نذهب بعيدا ، ولم نكن مجانبين للصواب ، مما يمكن القول معه باطمئنان أن هذه الامامة الشيعية قد أدت دورها كاملا ، وأنها عرفت كيف تؤكد الفكر الشيعى وتهىء له التربة الصالحة ، وتترك أثره على الحياة فى المنطقة الكبيرة التى دانت لسلطانها ٠

لقد كانت آخر دولة للعرب الخلص فى الشمال الافريقى ، ولكنها فى الوقت نفسه عملت على تأثره بالفكر الشيعى ، بل لقد وصل هذا التأثر الى ايطاليا وفرنسا ، مما يجعل دورها فى التاريخ بارزا وله أهمية خاصة ٠

منهج الاسلام فى بناء المجتمع

الأستاذ ابراهيم محمد اسماعيل

واذا اطمان الاسلام الى صدق أفراده فى تعاطى الدواء ، وتبين له أنه أصبح عقيدة راسخة فى النفوس ، يضحى من أجلها المسلم بنفسه ، بماله ، بأهله ، بداره . بكل هذا . حينما تم للاسلام ذلك ، رأى فى هؤلاء الأفراد اللبنات الأولى الصالحة لأنهاض مجتمعه عليها، ومن ثم انتقل بها الى المرحلة الثانية ، خشية الانتكاس والتداعى ، فأخذ لبناته تلك بضروب الحفظ والصيانة .

وكانت وسيلته فى ذلك لا تقل واقعية وصدقا عن وسيلته السابقة فى العلاج . وسار معهم فيها بالتدرج الملائم لنفوس البشر كى تصبح سلوكا يعتادون السير على منواله ـ والحياة فى ظلاله . .

ولاختلاف تلك الوسائل فى المظهر لم يأخذهم بها فى فترة واحدة ، ولم يطالبهم بأعمالها طفرة انما هى الحكمة الحكيمة ، والدقة المتناهية فى اختيار الوقت المناسب لكل وسيلة ، فجاءت لهذا مفرقة متوزعة ، وان كانت فى واقع الأمر واحدة ، تهدف الى غاية واحدة .

ومن ثم أخذت السماء تطالب المسلمين بضروب من العبادة ، تفرضها عليهم فرضا ، وتفصل لهم طرائقها ، وتوضح لهم نتائجها .

١ ـ **وكانت أولادها** ـ وقبيل هجرة المسلمين الى المدينة حيث تكون المجتمع الاسلامى ـ **الصلاة .**

فرضها الله على المسلمين فى لحظة من لحظات الاشراق ، حين كان محمد فى ضيافة ربه ، يظهره على مكانته عنده ، وحبه له .

وجاءت آيات القرآن تلفت أنظارنا الى الصلاة ، وتعرفنا ما تعنى ، وما اليه تهدف **« وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »**

فمثل هذا المسلم ـ وقد صحت عقيدته ـ

حقيق بأن لا يترك للفراغ يتخطف تلك العقيدة من جديد ، جدير بأن تصان فيه الروح من طغيان المادة ، وبغى الشهوات ، حتى يعيد اليه التوازن ، وينفى عن حياته الانحراف الى واحد من الجانبين فى الانسان **(المادة والروح)** .

وبهذا يمكن الاعتماد على مثل ذلك الفرد اذ يأخذ مكانه فى بناء يجتمع معه أخوة له فيه ـ آمنين عليه ارتكاب ما يشين ، مطمئنين الى انه لن يعتدى ولن يظلم ، واثقين بهذا من انه لن ينجرف فى تيار الغفلة والنسيان .

وفى الصلاة ـ اذا ما أمعنا النظر ـ كل ما يحقق ذلك ويوصل اليه ، فهى :

أولا : اقتلاع للفرد من ماديته ، خشية الاندماج فيها أثناء وظيفته اليومية ، وما تتطلبه الحياة من ارتباط بها .

ولعل سر توزيع الصلاة على ساعات اليوم ، وتفاوتها فى العدد يتعلق بتلك الغاية ، ويرمى الى ذلك الهدف .

ثانيا : تهيئة للحياة الهادئة ، ومعوان فى الحصول على الاستقرار **((يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((جعلت قرة عينى فى الصلاة ...))**

فالصلاة واحة يلقى فيها الانسان راحته بعد جولته فى صحراء الحياة الشاقة ، ويتخلص فيها من كل ما يثقل كاهله وينوء به فؤاده .

ثم هى لحظات من التجرد يعيشها الفرد فى لقاء مع ربه ، تصقل نفسه ، وتصفو معها روحه ويحس خلالها فيضا من الحب والرحمة ، لا يفتأ يشيع فى حياته كلها ، وسلوكه مع نفسه ومع الآخرين .. حيث تقوى الأواصر ، وينتعش المجتمع .

٢ ـ وعندما يتم للاسلام ما يريد ، ويتأكد من وجود الفرد المنشود ، الذى يصلح لان يكون عضوا حيا فى مجتمع نابض قوى ـ عندما يحقق الاسلام مع الفرد المسلم مجتمعه ، ويصبح حقيقة واقعة . عند ذلك يصبح لزاما عليه ـ وهو دين الفطرة والواقع ـ أن يعاود النظر الى هؤلاء الأفراد ، فالنفوس البشرية دائمة التغير لا تستقر على حال ، ولا تثبت على وضع ، فهى فى جماعة مشتتة غيرها فى مجتمع مترابط ، وحاجاتها اليوم غيرها بالأمس ، والتزاماتها تتزايد كلما قوى الترابط فى المجتمع ، وما تأنفه اليوم قد تستبيحه فى الغد ((فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ..))

لهذا كان لزاما على الاسلام أن ينتقل مع هؤلاء الأفراد خطوة أخرى فى طريق الحياطة والحفظ وكانت تلك النقلة متمثلة فى فرض الصيام شهرا من كل عام .

ولم يكن الاسلام فى ذلك عابثا ولا مستبدا ، وانما هو الله الحكيم العليم **((يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور))**

يلمس جوانب الضعف التى سوف تطرأ على الفرد **(فى وضعه الجديد)** فتقوده الى الزلل ، وتنحرف به عن الطريق السوى المستقيم ، فالفرد فى جماعة تزداد أعباؤه ... فبعد أن كان أمينا فقط على نفسه أصبح أمينا على نفسه وأمينا على غيره ، عليه له الكثير يقدمه ويضحى بنفسه فى سبيله .

ومثل هذا الفرد فى حاجة الى نوع خاص من التهذيب والتوجيه ، يرقى به عن الشبهات ، ويعلو به عن سيطرة الميل أو استعباد الرغبة مثل هذا الفرد فى حاجة الى مران يسيطر فى أثنائه على كل شهواته ونوازعه ، كى نعد منه أمينا بحق على نفسه ونفوس الآخرين من أعضاء جماعته .

فكان الصيام خير وسيلة لذلك ، يمنع فيه الانسان كل ما ترغب نفس البشر ، حتى ماهو ضرورى للحياة وكان شهرا متتابعا حتى تتشرب النفوس هذا المبدأ ، ويصير سلوكا يحول بينها وبين خيانة ما تحمله من أمانات وصدق الله **((يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون))** .

فالصيام مفروض علينا وعلى من قبلنا رجاء أن نتقى الذلل ، ونتصون من الخطأ **((لعلكم تتقون))** ويقول عليه الصلاة والسلام مفصلا تلك الحقيقة : **((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم))**

٣ ـ واذ يتحقق للاسلام ذلك ـ ويصل بمجتمعه الى تلك المرحلة فى سلم الترقى الى المجتمع المتكامل كل التكامل ـ يخطو بالفرد خطوة أخرى ، توائم حياته الجديدة ، وتخلصه من مشكل طارىء

فقد ظهر فى أفق الجماعة من لا يستطيع عملا ، ومن هو فى حاجة الى معاونة الآخرين ـ شأن المجتمعات الحية جمعاء فهى لا تخلو بحال من أمثال هؤلاء ـ

وما يحق لمشرع يبنى مجتمعا أن يتجاهل هذه الفئة ـ فيحطم أمن جماعته بذلك ـ أو أن يترك أمرها الى ضمير الأفراد وتقديرهم ـ حتى لو افترضنا أنهم جميعا ذوو ضميرحى ـ خشية أن يهمل واحد اعتمادا على آخروهكذا مما يضيع هذه الطائفة الضعيفة المحتاجة .

وطائفة تشعر بالضياع فى مجتمعها ، لا تعبأ بسلامة ، ولا تفكر فى أمنه ، ولا تساهم صيانته وحفظه فهى ثغرة فى هذا البناء توشك أن تودى به ، وتقضى عليه

فكان أن عمل الاسلام على تلافى ذلك وفرض على المسلمين قسطا من أموالهم محددا يرصد لهؤلاء ، فشاع الأمن فى النفوس ، وملأها اطمئنانا ـ ولا يحتاج الى أكثر من هذا المجتمع ـ فلن يخشى الضياع انسان يعيش فى ذلك المجتمع اذا ما تقلبت به الظروف وتغيرت الأحوال « **يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد . الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** »

واذ ننظر فى هذه الآونة من الزمن نجد أن المجتمعات البشرية لا يعوزها شىء مثل الشعور بالأمن وبالاحساس بالطمأنينة ، فهما سر تقدمه ورقيه وضمان حضارته وتمدينه

٤ ـ وما أن يصل الاسلام بأفراده الى تلك المرحلة ، حتى يدفع بهم الى رحلة عامة تجمع بينهم ضعيفا وقويا ، شيخا وشابا ، ذكرا وأنثى ، غنيا وفقيرا ، حاكما ومحكوما ، سيدا وعبدا . يتجردون جميعا من كل مظاهر الدنيا فى لقاء مع الله خالقهم ، وبارىء نفوسهم ، ليغرس فى تلك النفوس معانى جديدة يحتاج اليها الانسان ويصبو نحوها ، فحيث قررمبدأ التعاون ووجه النفوس اليه بفريضة الزكاة ، قرر هنا مبدأ المساواة ، فما يحق لانسان أن يفخر بجاه ، أو يعتز بلقب أو سلطان ، ومايحق لانسان أن يتعالى على آخر لأنه أعانه وأخذ بيده . انما الجميع لاجىء الى الله ، محتاج اليه ، يسأله ويرجوه « **يأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد** » .

فلتقر عيون الضعفاء ، ولتتطامن نفوس الأقوياء ، فهم جميعا فى بناء ، لكل لبنة فيه مكانها الذى لا غناء فيها عنها « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير . »

وهكذا يختتم الاسلام مرحلته الثانية ـ اذ يبنى مجتمعه ـ بفريضة الحج الى بيت الله الحرام ، ممهدا فى نفس الوقت بها الى البدء فى مرحلته الثالثة .

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ».

ابراهيم بن سيار النظام

الدكتور جمال الدين الرمادى

هذا فيلسوف من أشهر فلاسفة الاسلام ، وأحد (فرسان أهل النظر والكلام) على حد تعبير الخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » ولد فى القرن الثانى من الهجـرة وتوفى فى الربع الأول من القرن الثالث للهجرة على وجه التقريب ، كانت له آراء رشيدة ، ونظرات سديدة فى اعجاز القرآن وتفسيره ، وتحليله وتفصيله ، كما كانت له آراء فى الذات الالهية والصفات الربانية ، والأفعال العلية ، والقدرات الانسانية .

ويقال ان ابراهيم بن سيار النظام عاصر هارون الرشيد ، وحضر نكبة البرامكة ، ولكن هذا القول ينقصه كثير من الدليـل غير أن الثابت أنه ولد فى البصرة ، وأنه لقب بالنظام لنظمه الشعر ، كمـا كان يحضر مجلس أبى الهذيل العلاف وكان يصحبه فى غـدواته وروحاته ويحضر مناقشاته ومناظراته ، فتعلم منه فن الاستمالة والاقناع ، وقد طاف بكثير من البلاد الشرقية ، ونهل من جداول ثقافتها المختلفة ودرس المذاهب المتباينة فاشتد ايمانه بالله ، وازداد تمسكا بعقيدته ، وكان يرى أن اعجاز القرآن بالصرفة ، بمعنى أن الله صرفهم عن معارضته والاتيان بمثله مع قدرتهم على ذلك ، لولا أن الله منعهم من ذلك وأعجزهم عنه .

والمعروف أن المتكلمين ذهبوا مذاهب شتى فى وجه الاعجاز ، فقال بعضهم : ان وجـه الاعجاز يقع فى النظم الغريب المخالف لنظم العرب ، وقال بعضهم : ان وجه الاعجاز يقع فى الذروة من البلاغة التى اشتمل عليها ولم يأت بشىء مثلها ، وقال بعضهم : ان وجـه الاعجاز فى النظم حينا ، وفى كـونه أعلى درجات البلاغة حينا آخر ، وذهب بعضـهم ومنهم الشريف الرضى الى أن الله صرفهم بأن

سلبهم العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة ، وذهب ابن حزم الى أن الله منع الناس من معارضته ، وكسا القرآن بالاعجاز وسلبه جميع الخلق ، وأن قليله وكثيره معجز ويرى بعضهم أن وجه الاعجاز فى القرآن أنه يخبر عن الغائب كقوله تعالى « **وهم من بعد غلبهم سيغلبون** » أما ابن سيار النظام فيقال انه كان يرى الاعجاز فى الصرفة أى أن الله يصرف البشر فلا يستطيعون أن يأتوا بمثله كما كان يرى الاعجاز فى الاخبار بالغيب « فالآية والأعجوبة فى القرآن مافيه من الاخبار عن الغيوب ، فاما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله منعهم وعجز أحدثهما فيهم »

والواقع أن اعجاز القرآن لايرجع الى الصرفة فحسب ولا يرجع الى اخباره عن الغيوب فحسب ولا يرجع الى أسلوبه الرصين وآياته المحكمات انما يرجع الى هذا كله فان ما اشتمل عليه القرآن من نسج متين ، وعبارة منتقاه ، ومعنى مبتكر ، وأسلوب قصصى جذاب خلاب ، وموعظة حسنة وحكمة بالغة ، يصلح بها حال الناس فى دنياهم وآخرتهم ، ليفحم العرب ويقرعهم بالعجز فى المحافل ، وكان الكلام سيد عملهم وجاشت به صدورهم وفاض به بيانهم حتى قالوا فى كل مالاح لعيونهم ، وخطر على قلوبهم ، وكان فيهم العدد الكبير من العقلاء والنفر الغفير من أهل الحزم والحكماء ، وهم بعد هذا كله أشد خلق الله أنفة ، وأفرطهم حمية ، وأطلبهم بطائلة ومع كل هذا لم يعارضوه ، ولا تكلفه أحد منهم ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه ، ولا ادعى أنه قد فعل ، ومحال أن تكون المعارضة فى طاقتهم مع كثرة دهاتهم وبلغائهم وبعد الهمة وشدة العداوة ثم لايعارضوه ولايجوز أن تكون المعارضة بالكلام ، ثم يتجشمون الحرب ، وبذل المهج والأموال والخروج من الديار لأن تحبير الكلام أيسر من القتال واخراج المال .

وتاريخ العرب حافل بكثير من الهراء الذى حاول المرجفون أن يقلدوا به القرآن بيد أنهم باءوا بالفشل والخسران المبين ، وجاء كلامهم أشبه بهذيان المحمومين ، وتهاوين النائمين فقال مسليمة الكذاب ، « الفيل وماأدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل ، وقال : « ياضفدع كم تنقين نصفك فى الماء ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين »

وغير خاف أن هذا الكلام أشبه بالأوهام والترهات وأقرب الى الطيش والحماقات منه الى الحديث المعقول الذى يخاطب القلوب والعقول جميعا .

وقد أكمل الجاحظ تلميذ ابراهيم بن سيار النظام رأيه فى الاعجاز فقال فى كتاب « حجج النبوة » لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له فى نظامها ومخرجها وفى لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها ، وليس ذلك فى الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين، ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ فى طباعهم ، ويجرى على ألسنتهم أن يقول رجل منهم : الحمد لله ، وانا لله ، وعلى الله توكلنا ، وربنا الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؟ وهذا كله فى القرآن ، غير أنه متفرق غير مجتمع ، ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ، ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان »

وكان ابن سيار يرى عدم البعد فى التأويل فى تفسير القرآن ، وانتقد مايذهب اليه بعض المفسرين من تفسير المساجد بالحياة ، والابل بالسحاب لا الجمال ولا النوق والويل بواد فى جهنم كما قسموا « سلسبيلا » فى قوله تعالى « عينا فيها تسمى سلسبيلا » الى كلمتين هما سل سبيلا ، كما انتقد تفسيرهم للجلود فى قوله تعالى : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » بأنها كناية عن الفروج ، وتفسيرهم لقوله تعالى : « يأكلون الطعام » بأن ذلك كناية عن الغائط ، وقوله تعالى « وثيابك فطهر » **بمعنى قلبك فطهر .**

وهكذا مضى ابن سيار النظام ينتقد المفسرين ، ومقطع الرأى عنده هو البعد عن التأويل وترك التكلف والجرى وراء الغريب ٠

أما فيما يتعلق بذات الله فانه لايخالف سائر المعتزلة من تنزيه الله التنزيه المطلق واثباته ذاتا قديمة ونفى الصفات الزائدة عن الذات ، وكان يقول : ان الله لم يزل عالما حيا سميعا بصيرا قديما بنفسه لابعلم وقدرة ، وحياة وسمع وبصر ، وقدم ، والله عالم كامل ويفعل بمقتضى علمه وارادته هى فعله فهى المراد ، كما أن الخلق هو المخلوق ، والله لايفعل الا ماهو كمال فلا معنى للقول بأنه يقدر على القبائح فالقانون الذى تسير عليه الأفعال الالهية هو الكمال الواجب لله ، فالله لايفعل مادون الأصلح ، ولا يجوز على الله عز وجل فعل النقص وان الله قديم والعالم حادث ومخلوق لله لغرض وهو المنفعة ،والله خلق الخلق لعلة تكون هى المنفعة والعلة هى الغرض فى خلقه لهم وماأراد من منفعتهم واذا كان الانسان عاقلا قادرا ، وجب عليه معرفة الله بالنظر والاستدلال والقرآن الكريم يحض على النظر والاستدلال ويدعو الى التفكر والتأمل ، ويحث على التمعن والتبصر فقال تعالى فى سورة آل عمران « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » وقال فى سورة البقرة « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » وقال تعالى : « أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ؟ « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها» «وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

ومن أجل ذلك دعا النظام الى النظر العقلى فى الخير والشر والقاعدة عنده أن العقل والاختيار والفعل المترتب على ذلك هى التى توجب الثواب والعقاب فاذا انعدم العقل أو الفعل أو الاختيار ارتفع التكليف وانعدم العقاب ٠

هذه بعض آراء ابراهيم بن سيار النظام التى تثبت أن الايمان اذا اقترن بالعقل كان أعظم رسوخا وأقوى ثباتا وأن الاسلام لا ينكر فضل العقل ولا يجحد أهميته ولا يغمط حقه انما يستعين بالعقل فى نشر تعاليمه ووصاياه وكلما كان العقل رائدا للقلب وهاديا له استطاع القلب أن يهتك أستار الحجب التى تنسدل عليه ، ويبدد غياهب الظلمات التى تحوط به وتتضح حياله الأمور وتتكشف أمام بصره الحقائق وكلها شاهدة على قدرة الله عز وجل معبرة عن عظمته

وقد قيض الله لابراهيم بن سيار النظام تلميذا من تلاميذه الذين نشروا آراءه وتعاليمه هو الجاحظ الاديب العربى المعروف صاحب المؤلفات والكتب والتصانيف الكثيرة فكان لسان صدق ودعوة حق لاستاذه ولاتخلو كتاباته من التأثر بمذهبه ان لم تكن صورة منه فيها كثير من التفصيل والتحليل والاسهاب والاطناب ٠

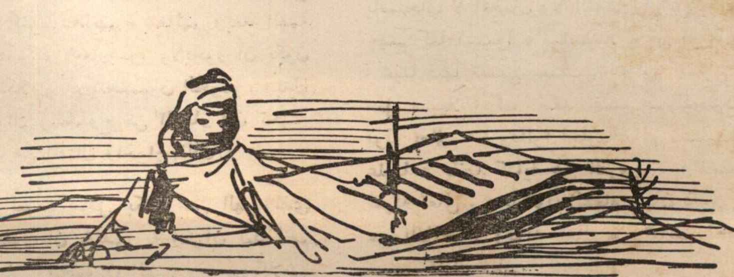

الشرق الإسلامى بين الماضى والحاضر

الأستاذ عبد المنعم حمادة

فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ العرب، وفى هذه الأيام التى تشتد فيها الحملة التى تشنها قوى الاستعمار تؤيدها قوى الرجعية والانفصالية ، وتقف فيها موقف المتحدى للقومية العربية ، وتحاول بكل امكانياتها ووسائلها المختلفة أن تحول دون تقدم الشعوب العربية ، وبناء حضارتها الجديدة على أسس ثابتة من مجدها القديم وتراثها الخالد ، وعاداتها وتقاليدها السامية ..

وفى هذا الوقت الذى يقف فيه الأحرار فى كل أمة من هذه الأمم العربية تساندهم الجمهورية العربية المتحدة بكل ما تملك من أدوات النضال .. فى هذه الفترة .. وفى هذه الأيام .. وفى هذا الوقت المشحون بالآراء والاتجاهات والأحداث ، أجدنى منقادا الى الرجوع بذاكرتى الى أعوام بعيدة يظن البعض أنها طويت فى سجل التاريخ ولكنها فى الحقيقة ما تزال ماثلة أمام أعين المجاهدين، متجددة في ذاكرة كل منهم ، وفي تصوره ، وفى خياله ، لأن الاحرار انما يعيشون على ذكريات الماضى وما يزدحم به من أمجاد ، وتاريخ من سبقوهم وما بذله أولئك السابقون من تضحيات، كما يعيشون على الآمال العريضة الواسعة فى مستقبل مشرق بسام .

وليس من شك فى أن الصراع الذى عانيناه خلال السنوات العشر الماضية ، ولا زلنا نعانيه حتى اليوم .. ذلك الصراع السافر مرة ، والمستتر مرة أخرى ، وهذه الألاعيب التى تتكشف عنها الأيام يوما بعد يوم ، وهذه الادعاءات المسمومة التى توجه الينا بين لحظة وأخرى ، وهذه الاتهامات التى ترمى بها الجمهورية العربية المتحدة ومن يؤمن بمبادئها ويؤيد كفاحها ، ويقف الى جوارها ..

ليس من شك فى أن هذا الصراع المتجدد، والذى يلبس كل يوم لباسا من نوع جديد ، ويضع القائمون به على وجوههم أقنعة مختلفة الألوان والأشكال .. ليس من شك فى أن هذا الصراع بأشكاله وألوانه هو الذى دفعنى

دفعا الى العودة بالذاكرة الى تلك السنوات البعيدة من تاريخ الأمة العربية المجيد ، والى التفكير فى الماضى واستعراض صفحات ذلك الصراع الذى لا ينتهى حتى يتجدد ، والصلة بينه وبين ذلك الصراع القديم الضارب فى التاريخ ، والذى يظن البعض أن صفحاته قد طويت وأصبح فى عالم النسيان .

فالصراع الذى يعيش فيه الشرق ، والذى نلمس آثاره من دول الاستعمار يرجع الى أزمنة قديمة ضاربة فى التاريخ ، والى جذور متأصلة تمتد الى تلك الأيام التى كان الغربيون ينظرون فيها الى أنفسهم على أنهم حملة التمدين والرقى ، وان ما عداهم من الناس أجانب ليس لهم من المدنية والنهوض شىء يذكر ، وانهم قوم همج لا يتميزون بشىء ، ولا تفوق لهم فى شىء ، ولذلك كانوا يطلقون عليهم لفظ « البرابرة » .. والى جانب هذه النظرة المتعالية المتكبرة الى الأجناس الملونة اختصت أوربا العالم الاسلامى بكثير من البغض الذى ملأ نفسها عداوة للاسلام ، والغل الذى أثار فيها روح الحقد والموجدة على المسلمين ..

واذا كانت الحروب التى دارت بين أوربا والمسلمين قبل عصر الحروب الصليبية قد اتسمت بالطابع المحلى، فان الحروب الصليبية قد أذكت فى الاوربيين روح النشوة بالاتحاد الذى بدأت تشعر به لأول مرة منذ ذلك الوقت ، والذى راحت توجهه ضد العالم الاسلامى منذ ذلك الحين .

ولعل السبب فى هذا البغض الذى أفعم القلوب بالحقد والموجدة على العالم الاسلامى واضح جلى ، فانه يرجع فى أول الأمر الى هذه الروح المتكبرة المتعالية من جانب الغربيين ، واحتقارهم لمن عداهم من الأجناس الملونة ، والدليل على ذلك واضح جلى كذلك فى أقوال كتابهم أنفسهم حيث كتب « رينان » يقول :

« ان العنصر الاوربى ، هو عنصر الأسياد والجنود ، ولهذا فان حمل هذا العنصر النبيل على العمل كما يعمل العبيد والشرقيون يدفعه الى الثورة ، وذلك لأن كل ثائر عندنا ، انما هو جندى لم يؤد رسالته لأنه مخلوق وجد ليحيا حياة البطولة ، فاذ به يجبر على القيام بمهمة لا تتفق وعنصره ، فهو عنصر فاشل وان كان جنديا باسلا ، غير أن الحياة التى يسير عليها عمالنا تجعل العامل والفلاح سعيدين ، وهما كائنان لم يخلقا للحرب ، فليقم كل منا بما خلق له ، فتسير الأمورعندئذ على أتم وجه » .

وهكذا انحدرت الينا هذه الروح الحاقدة الحاسدة منذ عهود بعيدة ، ثم ازدادت قوة وضراوة بانتشار الاسلام ، وبما أفاء به على العالم من نور ، وما بعثه من مدنية وحضارة ، وما جاء به من تعاليم الاخاء والمساواة والحرية والعدالة ، وما بعثه فى النفوس من عزة وكرامة ، وتمجيد العمل والجهاد دون نظر الى عنصر أو لون .. وكل هذه أشياء ان آمن بها الناس فقد ضاعت الهيبة الاوربية فى كل جانب من جوانبها المتعددة ، ولذلك كان لا بد من تكتل أوربا من جديد ، ومن أن تجاهد فى سبيل المكانة التى تدعيها ، وفى سبيل الكيان الذى تسعى اليه ..

وكانت الحروب الصليبية عاملا جديدا فى دفع عجلة التكتل الى الأمام .. واشتد الصراع فى غير ما خفاء نتيجة لغريزة حب البقاء من ناحية، ومن ناحية أخرى نتيجة لهذه القوى الاسلامية الجديدة التى تشع النور فى أرجاء العالم ، والتى اعتقد الغرب أنها ما بقيت قوية فسوف تقضى على كل قوة باغية ، وتطمس أمامها كل نور مصطنع ، وتحطم ذلك الضرب من التعصب ضد الاسلام والمسلمين، واشتد الصراع بشكل أعنف خوفا من هذه المدنية الجديدة التى تذكى روح الاخاء والعدالة والمساواة ، وتدعو الى العزة والحرية مما لا يتفق وطبيعة الأسياد على حد قولهم ، ولقد ظهر ذلك فى أقوال « جوستاف لوبون » حيث يقول حين كتب عن المدنية العربية :

« لربما يتساءل القارىء الذى ينكر من أجله العلماء ـ الذين يجب عليهم أن يتجردوا

من كل تعصب ديني ـ اليوم تأثير العرب ٠٠ والواقع أن استقلال الرأى ظاهرى أكثر منه حقيقى ، وذلك لأننا لسنا أحرارا قط فى تفكيرنا حول بعض الموضوعات ، فقد استمر التعصب الذى ورثناه ضد الاسلام وزعمائه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءا من تركيبنا العضوى » ٠٠

ومضت السنون يتلو بعضها بعضا ، واذا العالم العربى مفتاح الشرق بأسره ، واذا هو البرزخ الذى تعبر عنه أوروبا الى القارتين آسيا وافريقيا ، واذا هو الطريق القريب السهل الى تلك الثروات المكدسة فى بلاد هاتين القارتين سواء فوق الأرض أو فى باطن الأرض ، واذا لعاب أوربا يسيل على هذه الثروات ، واذا بها يجن جنونها للاستيلاء على هذه الثروات التى تطعم بها شعوبها الجائعة ، وتستخدمها فيما تسعى له من قوة ، وتنفقها على ما تحاول أن تحققه من حضارة ٠٠ وكان على أوربا أن تسير الجيوش لاحتلال هذا الشرق العربى ، وتوجيه ثرواته وفق ماتشاء ٠٠ وكان هذا أيضا من عوامل الحقد ، وسببا من أسباب التطاحن والرغبة فى السيطرة من جانب الغرب على الشرق ٠

ويقول المرحوم الأستاذ طه عبد الباقى سرور فى ذلك :

« ولقد ابتلى العرب ، وابتلى المسلمون بهذه الروح بلاء تاريخيا ، فبلادهم هى مفاتيح الشرق بأسره ، هى البرزخ الذى تعبر منه أوربا الى أعماق القارتين الملونتين ، القارتين اللتين يسيل لعاب الاستعمار حول كنوزهما ومواردهما ٠

« وأرضهم هى قلب الدنيا ، وأغناها بالموارد التى تبعث الحياة فى الحضارة القائمة وتدير عجلاتها ، وتكون طاقاتها ٠

« وكما يقول صاحب « مجالى الاسلام » ان جميع الطرق البحرية والجوية الكبرى التى تتجه من الغرب الى الشرق ، وجميع الطرق البرية التى تقود من الشمال الى الجنوب ، تمر من بلاد الاسلام ٠

« ولهذا كان الثقل الاوربى الاستعمارى على تلك المنطقة أعظم ثقل استعمارى فى التاريخ ، ومن ثم شهدت تلك المنطقة أروع ضروب النضال والجهاد فى سبيل الحرية والحياة ٠

« وأصبح مستقبل الانسانية بأسره ، وقفا على نتيجة الصراع الداخلى والخارجى الذى تدور رحاه فى أرض العروبة والاسلام من المحيط الأطلسى الى المحيط الهادى » ٠

ولم يستطع الشرق العربى أن يقف مكتوف الأيدى طوال هذه السنين ، ولم يستطع أن يبقى راضيا بما يرميه به الغرب من ضعف وهمجية ، وما يتهمه به من تعصب وضيق أفق ، وما يوجهه اليه من طعنات متلاحقة ، فأخذ يدافع عن عقيدته وايمانه ، ويناضل فى سبيل كيانه ووجوده ، ويجاهد من أجل حضارته ومعارفه ، وينادى بحقوقه ، ويهتف بحريته واستقلاله حتى استطاع أن يتخلص شيئا فشيئا من هذه الأحمال الثقيلة التى حملها كارها لفترة طويلة من الزمن ٠٠ واستطاع أن يقف من الغرب على قدم المساواة ٠٠ ولقد خيل للغرب فى أول الأمر أن يضم هذا الشرق الى جانبه لينال ثقته ، ويشاركه فى خيراته ، فلما خاب ظنه وأدرك أن الشرق يريد بكل قوته ، وبكل امكانياته أن يعيد تاريخه ، ويسترد عظمته ، وقف من جديد يناصبه العداء ، محاولا أن يسد أمامه السبل ، ويغلق فى وجهه جميع المنافذ ٠٠ ولم يستطع الغرب أن يستعمل نفس الوسائل القديمة فلجأ الى أساليب المكر والخداع ، والى ضعفاء النفوس يغريهم بما يغدقه عليهم من مناصب ، وما يملأ به جيوبهم من مال ، وهكذا وجد أعوان الاستعمار ، ووجد الرجعيون ، ووجد الانفصاليون ، وكان كل ذلك توهينا لعرى الاخوة بين البلاد العربية والاسلامية من ناحية ، والمسئولين عن مصائر هذه البلاد من ناحية أخرى ٠٠ واستطاع الغرب أن يجد النافذة التى يدخل منها للقضاء على صاحب الدار ،

ثم النهب والسرقة بعد أن يخلو له الجو ، ولكنه لن يستطيع باذن الله ، فداخل الدار اخوة شجعان بواسل ٠٠ ان اختلفت الكلمة فيما بينهم ساعة ، فانهم لن يلبثوا أن تجمعهم هذه الكلمة ضد الطارق المغتصب عندما تحين الساعة ٠

وينظر الغرب الى الشرق من جديد يتأمل عوامل هذه الوثبة الجبارة من أجل وجوده وكيانه ، ويفكر فى القوى التى تحركه وتدفع به الى الأمام فى خطوات جريئة يتخطى بها الحواجز والسدود ، واذا بالغرب يدرك أن الجمهورية العربية المتحدة تقف من وراء هذا النضال تذكيه وتشجعه ، وتبعث فيه من روحها المتيقظة الوثابة ، وتؤيده بقدر ما فى نفوس شعبها من ثقة بنفسه وماضيه ، وبقدر ما يملأ صدور أبناء هذا الشعب من ايمان بالحق والعدالة والمساواة ، وبكل ما يحمله كل فرد منهم من تقدير للعزة والكرامة ٠٠ وكان منطقيا ــ وهذا موقف الجمهورية العربية المتحدة ــ أن توجه اليها كل قوى الاستعمار ، وأن يسخر ضدها الرجعيون الناقمون ، والانفصاليون الحاقدون ، ظنا من الغرب أن ذلك قد يوهن من قوتها ، ويكسر شوكتها ، ويضعف من شأنها ، ويحول بينها وبين محاولة القضاء عليه ، ومناصرة الحرية ودعاة الحرية ٠

من هذا كله يتضح أن الصراع الذى نجابهه فى هذه الأيام انما هو امتداد لذلك الصراع القديم الذى جابهناه فى الماضى وتغلبنا عليه ، والذى سوف نقضى عليه اليوم وغدا ان شاء الله ٠

يقول الرئيس جمال عبد الناصر :

« بيننا وبين الاستعمار معركة قد بدأت فى بعض الميادين ، ولكن معارك فى ميادين أخرى لم تبدأ بعد بيننا وبينه ، وان لنا وله كذلك غدا قريبا أو بعيدا نغسل فيه عارا ، ونحقق أمانى ، ونسترد حقوقا » ٠

ولست أدرى كيف غاب عن أبناء هذه الأمة العربية الاسلامية هذا التاريخ ، وكيف لم يتدبروا أمرهم ، ويستعرضوا حياتهم ، ويربطوا بين الأسباب والمسببات ، وبين الحاضر والماضى ليكون لهم فى حاضرهم درس من ماضيهم ، درس يعيدهم الى الطريق السوى ، ويرشدهم الى النهج القويم ٠

ولست أدرى كيف ضربت الفرقة أطنابها بين ملوك هذا الشرق ورؤسائه فراح كل منهم فى طريقه وعلى هواه ، بينما دعوة الحق واضحة ، ورسالة السلام تدوى فى كل مكان والتاريخ شاهد عدل على أن هذه الفرقة التى صنعها الغرب لمصلحته ، وقواها بأمواله ، وزكاها بدعاياته وادعاءاته ، انما هى مكسب له ، وخسارة للشرق ، له منها كل المغانم ، وعلينا نحن منها كل المغارم ٠

لست أدرى والله كيف غاب عن أولئك الملوك والرؤساء أن الأمة العربية ، ما عزت وقويت وفرضت نفسها على العالم وأجبرته على تقديرها الا حين اتبعت تعاليم الدين ٠٠ ووحدت كلمتها ، وجمعت صفوفها تحت راية واحدة ٠٠ وما هانت فى أعين الناس ، وضعفت شوكتها ، وتخطفتها الأيدى المتحفزة عليها من كل ناحية الا حين بعدت عن تعاليم الدين ، واختلفت كلمتها ، وتفرقت وحدتها ، وتنازعت فيما بينها على عوارض الدنيا ومغانمها الزائلة ٠

والغريب أن هذه الحقيقة لم تغب عن أناس سبقونا ، أناس ظهروا فى وقت أظلمت فيه سماء الشرق العربى ، وتلبد جوه بالغيوم ٠٠ ومن الغريب وقد أشرقت الشمس من جديد ، وانقشعت تلك الغيوم الطارئة ، أن ننسى هذا وذاك ، وأن ننسى تلك الحقائق ، وننسى ماقاله جمال الدين الأفغانى عن الغرب وهو ينتحل الأعذار فى هجومه وعدوانه على البلاد الاسلامية بقوله :

« ان الممالك الاسلامية هـذه انما هى من **الانحطاط والهوان بحيث لا تستطيع أن تكون قوامة على شئون نفسها بنفسها ، فى حين أن تلك الدول عينها لا تكف عن التذرع بألوف الذرائع حتى بالحرب والحديد والنار للقضاء على كل حركة من حركات النهضة والاصلاح فى البلاد الاسلامية ، ومن ثم يجب على العالم الاسلامى أن يتحد فى حلف دفاعى كبيـــر ليستطيع بذلك أن يصون نفسه من الفنـاء ، وللوصول الى هذه الغاية ، انما يجب عليه أن يأخذ بأسباب التقدم فى الغرب ، وأن يكتنـه أسرار تفوقه وقدرته » .**

وفى اعتقادى أن هـــذا كله لم يغب عن ادراك أولئك الملوك والرؤساء ، وانمــا هى المطامع والأهواء ، وانما هو حب الدنيــا والتهافت على المغانم العاجلة ان كان هنـاك مغانم ، وانما هو ضعف النفوس التى أغراها الذهب ، ولعبت بها الوعود ، وزين لها الركون الى الراحة ونسيت ما أمر به الدين من اتحاد وتعاون ، وما نهى عنه من تفرق وتخاذل .. وفى اعتقادى انه لا بد لنا الآن من عـودة الى الماضى البعيد والقريب ، والى مطالعة سـير العظماء الذين وجهوا أنظــارنا الى ألاعيب الغرب ، وحذرونا من الوقـوع فى الشراك ، وطالبونا بالعودة الى طريق الحق والصواب ، يقول السيد جمال الدين الأفغانى فى جـريدة العروة الوثقى :

« ولا ريب أن الراسخين فى العلم من أهل الدين الاسلامى يعلمـــون أن ما أصيب به المسلمون فى هذه الأزمان الأخيرة ، انما هو مما امتحنهم الله به جزاء على بعض ما فرطوا ، وليس للناس على الله حجـة ، فالرجاء فى هممهم وغيرتهم الدينية ، وحميتهم الملية ، أن يوجهوا العناية الى رتق الفتق قبل اتساعه ، ومداواة العلة قبل استحكامها ، فيذكروا أبناء الملة بأحكام الله ، ويحكموا بينهم روابـط الاخوة والألفة كما أمر الله فى كتابه وعـلى لسان نبيـه ، ويبذلوا الجهد لمحو اليأس والقنوط الذى ملك أفئدة البعض منهـــم ، ويقنعوهم أنه لا ييأس من لطف الله الا الذين فى قلوبهم مرض ، وفى عقــائدهم زيغ ، ويسيروا بهم فى سبيل يجمع كلمتهـــم ، ويوحد وجهتهم ، ويقوى فيهم اباءة الضيم ، والنفرة من الذل ، ويحرك فيهم روح الانفة ، حتى لا تسمح نفس أحدهم أن يأتى الدنية من دينه ، ويكشفوا لهم حقيقة وعد الله الحق فى قوله : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

فالى أولئك المارقين الخارجين على وحـدة الصف ، أرجو أن يتدبروا أمر الله سبحانه عز وجل :

« واعتصموا بحبل الله جميعـا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

وأن يذكروا قوله سبحانه : « كنتم خيـر أمة أخرجت للناس » ، ثم يتأملوا فى قوله عز من قائل : « وتعاونوا على البر والتقـوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، وقوله « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشـلوا وتذهب ريحكم » .

وأخيرا قول النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وبعد ..

فانى أرجو مخلصا ولوجه الله ، ولمصلحة الأمة العربية والاسلامية ، أن يتـدبر العرب والمسلمون فى كل بقعة من بقاع العالم ، وفى كل ركن من أركانه ، هذه الآيات والأحاديث ، ويطالبوا حكامهم بالتمعن فيما جاء به دينهم وما أنزل على نبيهم المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليـه ـ فانهم ولا شك سـوف يفيئون الى رشدهم ، واذا كل واحد منهم يسعى الى صاحبه بالمودة التى أمر بها الدين ، والتعاون الذى دعا اليه القرآن ، والاخاء الذى طالبت به الرسالة الاسلامية .

والله ولى التوفيق .

الاسلام دين السلام

بالأستاذ محمد بهى الدين سالم

ان عقيدة الاسلام أصح العقائد وأوفاها فى كل ضرب من ضروب الحياة ، تلك العقيدة التى تضمن لبنى الانسان رفاهية الدنيا وسعادة الآخرة ، فهى فى الحقيقة الشرع والمنهاج الذى ينهل من معينه كل طالب للهداية والرشد سواء فى حياته الخاصة أم العامة على حد سواء ، فكتاب الله هو الفيصل العدل فيما يعترى الانسان من أمور قد يعجز العقل عن بلوغها ، بل هو الدستور القويم لكل زمان ومكان .. يقول الله سبحانه وتعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ..

ولقد يعجب المتأمل كيف سبق الاسلام بتعاليمه السمحة كل مستحدثات البشرية من نظم وقوانين ، فكل النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية قد سبقها الاسلام بمثله العليا وقيمه الروحية الخالدة ، وكل من يدمغ هذه الحقائق هو خادع لنفسه قبل أن يخدع الناس ، والمتتبع لمحاسن تلك النظم يجدها قد انبثقت عن شريعة الحق .. شريعة الله ، بل تسير وفق تعاليم القرآن الكريم معجز البشرية جمعاء منذ أربعة عشر قرنا ، والعين الفاحصة لآيات الله البينات تجدها لم تترك كبيرة ولا صغيرة الا أحصتها . وما وصل اليه العلم الحديث فى كل أبحاثه لا يمكن أن يساوى ذرة فى علم الله عالم كل شىء .

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ان حب البقاء واغارة القوى على الضعيف والسلب والنهب وحب الذات لهى من طبائع النفس البشرية قبل تهذيبها ، ولعل القوانين والنظم الحديثة لهى السبب الوحيد فى القضاء على تلك المفارقات التى ان تركت وشأنها لكانت دمارا للانسانية ومحوا للجنس البشرى ، وان التسابق لامتلاك وسائل الدمار والفتك واستخدام العقل البشرى لخدمة هذه المخترعات لهو السبيل الوحيد لمحو كل الحضارات والرجوع الى قوانين الغاب ...

لقد جاء الاسلام فوجد العرب متفرقين لا يجمعهم دين ولا يهيمن عليهم سلطان ، بل قبائل متنافرة لا يسودها سلام ولا تعرف لها دستورا ينظم حياتها ، يغير القوى منها على الضعيف ، قانونهم أن البقاء للقوى والفناء للضعيف ، كل يسعى لبلوغ آماله ولو على أشلاء غيره من الناس .. ولكن الاسلام بنور هدايته قضى على كل هذه النقائص ورسم معالم الطريق أمام الناس ودعا الى السلام ونهى عن الظلم وحرم قتل النفس بغير حق ، ووضع دستورا للحياة ومبادىء ومثلا عليا من استمسك بها لن يضل أبدا .. كيف لا وهو

سلام فى اسمه ، سلام فى سلامه ، سلام ساعة نزوله ، وكان وما يزال داعيا للسلم محاربا للظلم والهوان وهذا نلمسه كثيرا من الآيات القرآنية :

« **يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان** » •

« **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا** » •

ومع هذه الدعوة الى السلام فقد دعى الى القتال متى وجدت أسبابه •• ولقد كان الباعث على القتال فى الاسلام هو دفع الاعتداء ولم يدخل الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى حرب من الحروب الا فى سبيل الله ودفعا لاعتداء الكفار وايذائهم للمسلمين •

يقول – سبحانه وتعالى – : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » •

ان الله سبحانه قوى لا يحب المستضعفين ولا يحب عبده المتهاون فى حق دينه أو حق نفسه ، وان من تعاليم الاسلام العادلة فى الحروب أنه يحرم قتل رجال الدين والشيوخ والنساء والأطفال ، بل ويدعو الى حسن معاملة الأسرى ، كما أنه يكره السلب والنهب •

يقول رسول الاسلام – عليه الصلاة والسلام – :

« **ليس منا من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب** » ، **ويقول أيضا** : « **استوصوا بالأسرى خيرا** » •

ان الاسلام دعوة عادلة مسالمة لا تعرف الفوارق الطبقية ، فقد سوى الاسلام بين الناس جميعا فلم يجبر أحدا على الدخول فى رحابه انما دعى الى حرية العقيدة الدينية •• فقال الله سبحانه :

« **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » ، « **لكم دينكم ولى دين** » ، « **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » •

ومع دعوة الاسلام للحرية العقائدية فقد قرر أن الناس جميعا أمة واحدة لا فرق بين أسود وأبيض ولا بين غنى وفقير ، بل لا فرق بين قوى وضعيف فالكل سواء أمام عدالة الله سبحانه •

« **وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون** » • « **ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » •

ولعل فى التكافل العبادى من صلاة وصيام وحج دليل قاطع على تلك المساواة بين الناس

ان الاسلام لم ينتشر بحد السيف كما زعم الكذبة والمفترون عليه ، فالاسلام لم يعرف العنف فى انتشاره بل كانت دعوته للناس كافة فلم يكره أحدا على الدخول فيه ، بل دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة كقول الله سبحانه :

« **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » •

ومن بدأ بالاعتداء فجزاؤه حرب لا هوادة فيها وعقاب رادع لكل من تسول له نفسه الاقدام على العدوان •

« **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين** » •

ومن أخذ العهد وسالم فقد أمن على نفسه وأهله ، وصدق عليه قول الله سبحانه :

وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » •

وان السياسة الخارجية لجمهوريتنا الفتية كما رسمها سيادة الرئيس جمال عبد الناصر بقوله :

« **نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا ونمد يدنا لجميع الشعوب والأمم العاملة من أجل السلام العالمى والرخاء الانسانى** » •

لنسير وفق المعانى السامية والمثل العليا التى نادى بها الاسلام منذ عصر الرسول الكريم وخلفاؤه من بعده ، بل هى بمثابة الدستور للسياسة الخارجية لكل شعب مسالم يحرص على السلم ويكره الاستسلام •• وهكذا يدعو الاسلام فهو دين السلام لا الاستسلام •

تطبيق مبادئ الإسلام هو الكفيل بشيوع الأمن والسلام

الأستاذ
محمود لطفي عبد الكريم

فى عهد خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقع حادثان ، عالجهما - رضى الله عنه - بطريقة تصور عدالة الاسلام أصدق تصوير ، وتوضح لنا العوامل الحقيقية فى سرعة انتشار هذا الدين ، واقبال الناس عليه ، طيبة به نفوسهم ، مطمئنة اليه قلوبهم .

ويتلخص الحادث الأول ، فى أن جبلة بن الأيهم - أحد ملوك المسلمين بالشام - بينما كان يطوف بالبيت وطئ على ازاره رجل اعرابى من فزارة ، فغضب ولطم الفزارى لطمة شديدة ، هشم بها أنفه ، وكسر ثناياه ، فرفع الفزارى أمره الى عمر ، فاستدعاه ، وأنكر عليه عدوانه على أحد المسلمين ، فقال معتذرا : ياأمير المؤمنين ، انه وطئ على ازارى ، ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف ، **فقال له عمر : ان لم ترضه أقدته منك .** فقال جبلة : فيصنع بى ماذا ؟ قال : مثل ماصنعت به ، فقال : أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهو سوقة ؟ **فقال له عمر : الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى ،** فقال : ان كنت أنا وهذا الرجل فى الدين سواء فانى أتنصر ، لقد كنت أظن ياأمير المؤمنين أنى سأكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية ، **فقال له عمر : اذا تنصرت ضربت عنقك ، قال : فأمهلنى الليلة حتى أنظر فى أمرى ، قال ذلك الى خصمك ،** وعندئذ قال الفزارى : أمهلته ياأمير المؤمنين ، فأذن له عمر فى الانصراف ، فانصرف ، وكان قد بيت النية على الهرب ، فركب ليلا فى بنى عمه ، وهرب الى القسطنطينية ، وأعلن أمام هرقل عودته الى النصرانية ، وكان دائما مع الروم فى حروبهم للمسلمين حتى مات على هذه الحالة

وأما الحادث الثانى ، فان عمرو بن العاص كان أميرا على مصر من قبل أمير المؤمنين عمر ، وفى أحد الأيام تسابق ابن عمرو مع أحد أقباط مصر ، فسبقه القبطى ، فضربه ابن الأمير

بسوطه وهو يقول : خذهاوأنا ابن الأكرمين ، وشد القبطى وأبوه رحالهما الى المدينة ، ورفعا أمرهما الى عمر ، فكتب الى عمرو ، يطلب حضوره مع ابنه بدون ابطاء ، فلما قدما أمر عمر القبطى أن يضرب ابن عمرو بالسوط كما ضربه فى مصر ، ففعل ، ولم يكتف عمر بهذا ، بل قال للقبطى : أدرها على أبيه ، فو الله ماضربك الاعتماداعلى جاه أبيه ، فقال : ياأمير المؤمنين ، قد أخذنا حقنا ممن أساء الينا ، فجزاك الله عنا خيرا ، ثم التفت أمير المؤمنين الى عمرو ، وقال له تلك الكلمة الخالدة : **ياعمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟**

ومن هاتين القصتين نخرج بكثير من العبر والدروس ، ومن أهمها **أولا** - أن المسلمين لا يقاسون - فى نظر الاسلام - بكثرةعددهم بل بقوة معنوياتهم ، ونضج وعيهم الدينى ، وعلى هذا فانه لاقيمة لهم الا اذا غمر الايمان قلوبهم ، ونزلوا على أحكام الله ، راضية بذلك نفوسهم ، قريرة بهذا عيونهم ، والا كانوا - كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - غثاء كغثاء السيل ٠

وقد أدرك عمر أن المسلم الذىلايرضى بحكم الله ، أخطر على المسلمين من الكافر الصريح، وكان من رأيه أن مثل هذا يجب بتره من جسم المسلمين ، حتى لايفسدهم بتفكيره المنحرف ، وآرائه المسمومة ، وطبق - رضى الله عنه - رأيه هذا عمليا فى حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك أنه احتكم رجلان الى النبى - صلوات الله وسلامه عليه -وكان أحدهما مسلما منافقا ، والآخريهوديا وحكم عليه السلام - لليهودى ، لأن الحق كان فى جانبه ، ولم يرض المنافق بهذا الحكم ، واستمر النزاع بينه وبين خصمه حتى مر بهما عمر ، ولما علم بقصتهما استمهلهما حتى دخل بيته ، ثم خرج وفى يده سيف مسلول ، فضرب به عنق المنافق وقال : هذا جزاء من لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا المعنى هو الذى جعله يقف مثل هذا الموقف - أيام خلافته - من جبلة ، دون أن يقيم أى وزن لمركزه كملك يعتز المسلمون بوجود مثله بينهم ، وحرص على انصاف الأعرابى البسيط ، ولو خرج جبلة « الملك » من صفوف المسلمين ، لأنه - رضى الله عنه - كان يرى أن المؤمن الصادق مهما نزلت مكانته الاجتماعية ، أنفع للمسلمين ، وأجدى على الاسلام من المسلم الزائف مهما ارتفعت منزلته الدنيوية ، فانه اذا دعا داعى الدين، لايستجيب له الا المخلصون ، بينما يقف الآخرون موقفا سلبيا ، قد يضر المسلمين أكثر مما ينفعهم ٠

وثانى العبر التى نستخلصها من القصتين الآنفتين ، أن تطبيق مبادىء الاسلام هووحده الكفيل بشيوع الأمن والسلام بين الناس ، لأنهم يرون فيها المبادىء السليمة العادلة ، التى يستوى أمامها الكبير والصغير ، والأمير والصعلوك ، والمسلم وغير المسلم ٠

أنظروا كيف طابت نفس الأعرابى بتصرف عمر مع جبلة ، حتى تنازل عن حقه باختياره حينما رفض عمر امهاله الى الصباح الا اذا رضى الأعرابى ؟

ثم أنظروا كيف طابت نفس القبطى بعد أن اقتص له عمر من ابن عمرو ، حتى انطلق لسانه بالدعاء لأمير المؤمنين ؟

وتأملوا أثر هذا فى نفوس المصريين ، الذين لم يكونوا قد دانوا بالاسلام وقتذاك ، وكيف أنهم أقبلوا على هذا الدين القيم بعد ذلك عن طواعية واختيار ؟

ان المسلمين حينما يرون هذه المعاملة الكريمة المثالية ، التى تكفل حقوقهم ، وتصون حرماتهم ، وتحترم آدميتهم ، لايمكن أن تضيق صدورهم بهذا الدين ، ولا أن يتبرموا بنظام المجتمع فى ظل هذا الدين

وان غير المسلمين حينما يرون حكام المسلمين يسوون فى المعاملة بين الملوك والصعاليك ، وينصفون السوقة من الأمراء ، سيسعون حتما الى هذا الدين ، وسيطلبون من تلقاء أنفسهم الاستظلال برايته ، والاحتماء بعدالته

من أعلام الإسلام

أبو عامر المنصور

القائد الذى غزا بلاد الإفرنج ٥٦ مرة - ارتفعت للإسلام فيها جميعا رايته

الأستاذ عبد العزيز الإسلامبولى

— ١ —

أشرف ما يطالعنا من بداية هذا الرجل ، قول الامام ابن الأبار ، فى وصف مولده : «ان الله اخذ بثار الاسلام على يد المنصور» .

ذلك بأن ولادته كانت فى عام ٣٢٨ للهجرة ، وكان عبد الرحمن الناصر أميرا على قرطبة سنتئذ ، وكانت الأندلس تغلى بمراجل الفتن والحروب ، وتناحر الأمراء والوزراء المسلمين ، واستفحال خطر الممالك المسيحية فى شمال أسبانيا وجنوب فرنسا ، مما غير مجرى الأمور لمصلحة ملوك الافرنج ، ثم تجمعهم أخيرا فى معركة « ليون » بفرنسا ، وحفرهم خندقا كبيرا ، وقع فى فخه عدد ضخم من المسلمين ، استشهد منهم فيه جمع غفير ، مما اضطر الخليفة عبد الرحمن الناصر الى سحب جنوده والتوقف عن الحرب حتى يعد لها اعدادا كاملا .

وأراد الله سبحانه وتعالى ان ياخذ بثار المسلمين من نصارى فرنسا ، فمكن لأبى عامر المنصور من رقابهم ، حين خرج فى غزوته الأخيرة قبيل وفاته ، سنة ٣٩٢ للهجرة ، للاستيلاء على مدينة (شنت مانكش) ، وهى مكان « الخندق » الذى انهزم عنده المسلمون من قبل ، فاقتحمها ، بعد أن هدم أسوارها ، وأزال كل أثر فيها ، وغنم ما فيها من غنائم ، ثم عاد الى قرطبة ، يحمل جيشه الغنائم ويسوق أمامه الأسرى ، ووراءه السبى .

— ٢ —

وأبو عامر هذا ، هو حفيد عبد الملك المعافرى القحطانى ، وقبيلة بنى عامر ، من القبائل اليمنية القليلة التى كان لها شأن فى جيش طارق بن زياد ، فى فتح الأندلس .

وكان معروفا بين لداته من طلاب العلم بجامعة قرطبة بحدة الذكاء ، ونباهة الفكر ،

وشدة البراعة ، حفظا وتجويدا ، يجمع - الى ذلك - شدة العكوف على سير الأعلام ، ولا سيما الصحابة والتابعين ، وكثرة القراءة لتاريخ الاسلام ، ودوام التفكير فى أمور المسلمين ، والعمل على جمع أواصرهم واعلاء شأنهم ، ونصرة دينهم . ودفع مؤامرات نصارى الافرنج عنهم .

وكان الفتى يعلم تمام العلم ، أنه لا يملك من الأمر شيئا ، ولكن نفسه الوثابة لم تركن الى اليأس ، فاعتزم أن يأخذ الطريق الى تحقيق أحلامه ، بالصبر والمثابرة والجهد والعمل .

وكان أهله ، حين ارسلوه فى طلب العلم ، قد دبروا له من أمر معاشه بعد تخرجه فى جامعة قرطبة ، أن يكون قاضيا كبعض آله ، ولكن القدر جرى على غير ما يشتهون ، فاضطر الفتى الى تلمس أسباب الرزق ، من كتابة الرسائل لطلابها ، والشكايات لأصحابها والظلامات لأربابها ، لقاء نذر من الأجر ، ليس فيه كثير ماء .

ومع ذلك فقد ظل يتدرج فى عمله ، حتى نبه اسمه ، وعلا ذكره ، وأصبح معروفا فى المجتمع القرطبى بحسن بيانه ، ونصاعة برهانه ، واتخذ لنفسه مكانا بالقرب من دار الخليفة الحكم الثانى ، ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكان أمره قد تناهى الى سمع الخليفة وزوجه ، فأعجبا بما سمعا عنه ، ولا سيما سجاحة خلقه ، ونبالة قصده ، وشدة تدينه ، وحسن عقيدته ، ولباقة منطقه ، وروعة حديثه ، فأحبا أن يكون مربيا لابنهما ووكيلا لشئونه .

وكان لهما ما أرادا ، وكان أبو عامر نعم المربى والوكيل .

- ٣ -

وقد استطاع أبو عامر أن يملك ناصية الأمور ، حين ملك ناصية القلوب ، من المتصلين بعمله والمحيطين بشخصه ، واللائذين بمروءته ، وتروى عنه فى هذه البابة أعاجيب هى فى نفسها سر نجاحه ، وأساس سلطانه .

قال ابن أفلح ، وهو من سراة قرطبة وعيونها ، وقد ألمت به ملمة أتت على الأخضر واليابس من كل نفيس أو غال ، ولم يبق له من مورد يفى بحاجته ، ولا من خصاصة يجتمع منها ما ينفقه على عرس لابنته ، وقد أزف يوم العرس أو كاد :

« دفعت الى ما لا أطيقه من نفقة عرس ابنة لى ، ولم يبق معى سوى لجام محلى ثقيل الوزن ردىء العيار ، وكان عندى أيام المراكب ، وتقاعد فيه التجار ، فانقطع بى أملى ، وضاقت بى الأسباب ، فوقع فى نفسى قصد ابن أبى عامر ، صاحب السكة (وكان قد بلغ هذا المنصب فى الدولة ، **وهو يعادل وزير الخزانة فى العصر الحديث**) فقصدته للذائع من كرمه ، وعرفته رغبتى ، فسارع طلق الوجه ، وقال :

سر الى بدار الضرب (وهى دار سك النقود) فجئته ، وأوصلنى الى نفسه - والدرهم المطبوعة بين يديه - وأومأ الى فأخرجت اللجام وأناخائف من صرفه لسقوط عياره ، فوالله ما نظر اليه ولا عايره ، وراطلنى والله باللجام بحدائده وسيوره ، فأخذت مالم يدر فى وهمى أن أظفر بمثله ، وعظم ابن أبى عامر فى عينى ، وقمت عنه وحجرى ملآن ولا أصدق بما حصلت عليه .. فجهزت ابنتى ، وفضل لى شىء يكفينى ، وقل مولاى الحكم فى عينى ، وأحببت ابن أبى عامر ، حتى لو دعانى الى معصية الحكم - وهو مالك رقى وامامى - لما قعدت عنه » .

والمتأمل فى هذه القصة ، يحكم لأول وهلة ، بأن فى ذلك العمل مخاطرة غير مأمونة ، ولكنه كان قد أحكم أمره ، اذ اقترض المال من صديقه ابن جدير ، وكان من أكبر الوزراء شأنا ، وأوفرهم مالا ، وقد رد اليه ما استقرضه اياه فى وقت نرجح انه كان بعد أن ارتفعت أسهمه ، فوكل اليه الخليفة الحكم ما جل ودق من أموره ، وعهد اليه بالمواريث فيما عليها ، ثم عينه - بعد قليل - قاضيا لأشبيلية .

- ٤ -

وقد ظل أبو عامر يرقى منصبا بعد منصب ، حتى آل اليه أمر الدولة فعلا ، وان صار أمرها اسما لهشام بن الحكم ، بعد وفاة أبيه ،

وتفرغ للغزوات يخرج على رأسها فاتحا بلاد الفرنج ، مستعيدا ما فقده المسلمون فيها ، وهو فى كل ذلك يخرج من نصر الى نصر .

وقد أحدث ، جيوش المسلمين بالاندلس، نظاما مبتدعا ، فى الفنون العسكرية ، وهوازالة تقليد قديم توارثه العرب والبربر ، وهو نظام القبيلة ، حيث تحارب كل قبيلة بقيادة شيخها ، فاستبدل بذلك توزيع العرب بين البربر والمسيحيين من أهالى ليون ونافار وقشتالة .. الخ ممن انضووا تحت لوائه ، فأعلى رواتبهم ، وأحسن معاملتهم ، فأخلصوا له اخلاصا شديدا .

وهذا الذى يراه بعض المؤرخين ، نراه منقوضا بما نعلمه من أن توحيد القيادة ، دون نظر الى القبيلة ، كان من مبتكرات أعظم قواد المسلمين مشرقا ومغربا ، وهو سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، ولقد أقر بهذه الحقيقة رجال التاريخ العسكرى فى أوروبا وأمريكا ، لا فرق فى ذلك بين جنس وجنس .

— ٥ —

ولأبى عامر خصيصة قمينة بالذكر ، هى أنه على الرغم من كرمه ومروءته ، كان بين الصرامة مع جنده لا يسمح لأحدهم بالخروج على النظام ولو كان مضطرا ، ولقد عرفت عنه هذه الخصيصة فى الممالك المسيحية الأوربية فكانت موضع تقدير عميق ، حتى لقد ذهبت هذه بشدة مثلا يضرب للخوف ، أو أسطورة من الأساطير .

من ذلك أنهم زعموا ، أن أبا عامر المنصور، وقف يوما يعرض جيوش المسلمين فى عرض عام ، فأدرك فى لمحة خاطفة أن جنديا من الجنود أخرج سيفه من غمده أثناء العرض، ولم يكن ثمة أمر بذلك ، ومن ثم كانت عقوبة الجندى الاعدام فورا .

ويروى مؤرخ مراكشى من ثقات مؤرخى الأندلس ، وهو ابن عذارى فيقول :

ان المنصور ضرب معسكره مرة فى مكان ، وأقام علمه على رابية قريبة ، ثم بدا لهفغادر المكان ونسى العلم مكانه ، فلبث الأعداءشهورا لا يجرءون على الاقتراب من العلم مخافة المنصور .

وفى باب حزمه وشدته يروون أنه انتهى اليه أن ابنه عبد الله يأتمر عليه ، فلما قامت الحجة لديه علىصحة الادعاء، استدرج ابنه اليه ، ثم نكل به وأجهز عليه ، دون أن تطرف له عين بدمعة ، أو يرق له قلب بنبضة، ولذلك يروون عنه أنه كان كثيرا ما يردد قوله :

« من عدل بالأمر والنهى لذة ، فقد انتفى من الذكورة »

ومع ذلك فقد كان لين العريكة ، رقيق الحاشية ، شديد العطف على المساكين والبائسين ، كثير الحدب على الضعفاء والمسنين ، عميق التقدير للمتبتلين والمنقطعين لخدمة الدين ، سواء فى الأديرة والكنائس أم فى المعابد والمساجد ، لا فرق بين دين ودين، على الرغم من شدة كراهيته لنصارى أوروبا وعمله على اخلائها منهم .

ويؤيد ذلك أنه حين دخل ليون ، جعل يتتبع فلول الأعداء فى كل زاوية من زواياها لتطهيرها منهم ، وهم يلوذون بالجبال فارين مهاجرين ، حتى اذا بلغ معتصمهم وجدهم قد فروا وجلين خائفين ، الا راهبين يقومان على خدمة قبر القديس يعقوب ، وهو قبر له عند المسيحيين مكانة خاصة ، فطمأن الراهبين وأمر رجاله بعدم الاعتداء عليهما ، وبالغ فى ذلك ، فأمر بأن يتركوا القبر على حاله ، وألا يمنعوا نصرانيا من زيارته .

— ٦ —

وهكذا ظل المنصور يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة ، ويسرف أحيانا فى الخير ، وقد يسرف أحيانا فيما يبدو أول وهلة أنه ليس بخير ، ولكن المتأمل لتلك الحقبة من تاريخ الأندلس ، يحكم ـ دون تردد ـ بأنه كان أعظم قائد مسلم ، عرفته الأندلس فى تاريخها كله ، وأن الرجل ـ على الرغم مما قد يشكك فى بعض تصرفاته ، قد انطبعت نفسه على بعض خصال من خصائص جليلة ، تفرد بها ثلاثة من أجل أئمة المسلمين: عمر بن الخطاب فى عدله وشدته ، وعمر بن عبد العزيز فى ورعه ورقته ، وخالد بنالوليد فى شجاعته وعبقريته .

وحسب هذا الرجل فضلا ومثوبة من الله سبحانه وتعالى أن آزره ونصره فى جميع غزواته فى أوروبا ، ولم يمت حتى كرمه العلى القدير ، قبيل وفاته بأيام معدودات فى عام ٣٩٢ هـ ، فأخذ بثأر المسلمين فى معركة الخندق بجنوب فرنسا ، تلك التى وقعت فى عام ولادته ، لعهد عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٨ هـ .

وبذلك تحققت له ٥٦ غزوة هى كل غزواته ، ارتفعت فيها للاسلام جميعا رايته.

وحسبه طهارة ونقاء وايمانا، احساسه بدنو أجله ، قبل المعركة الأخيرة ، فأخذ يدعو الله آناء الليل وأطراف النهار ، أن يتوفاه فى ميدان الجهاد ، شهيدا فى سبيل الله ، وجعل يجمع ما علق بوجهه وجسده من الغبار فىغزواته، حتى لقد رووا أنه اجتمع له من ذلك شىء كثير ، فأمر بأن يوضع فى كفنه عند موته ، ولم يكن كفنه يفارقه فى جميع غزواته ، فقد كان يتوقع الموت فى كل غزوة غزاها .

وكان دائم التبرك بما فيه من غبار . وكانت جيوش المسلمين تؤمن بالنصر تحت قيادته ، فثبتوا معه ، لأن النصر — فى نظرهم — معقود بلوائه ، ولذلك سموه « المنصور » تفاؤلا وتبركا .

لذلك لم يكن مستغربا أن يقول فيه لسان الدين ابن الخطيب :

« كانت الجزالة والرجولة ثوبه الذى لم يخلعه ، الى أن وصل الى ربه ، والحزم والحذر شعاره الذى لم يفارقه طول حياته، والنصب والسهر شأنه فى يومه وليله » .

وقد سلم له الخصوم والخلصاء على حد سواء ، قدامى ومحدثين ، بالتفرد فى النصر، من بين جميع المسلمين فى الأندلس ، ونباهة الذكر ، ورفعة القدر ، وحسن القصد ، وشدة الاخلاص لدينه والتحمس لعروبته .

يقول الامام ابن حيان ، حجة مؤرخى الأندلس ، فى وصفه :

« انه رمى الى الغرض الأقصى من ضبط الملك والحجر عليه ، والاستعداد دونه ... فنال بغيته .. وأورثه عقبه بعده ، من غير اقتدار عليه بجند خاص ، ولا صيال بعشيرة ولا مكاثرة بمال ولا عدة .. بل رمى الدولة من كنانتها ، وعدا عليها بأعضادها ، وأنفق على خيلها أموالها وعددها ، حتى حولها اليه، وسكبها فى قالبه » .

ويوازن الفتح بن خاقان ، بين من تقدموه فى حكم الأندلس ، أو تولوا قيادة المسلمين فيها ، فيصفه بأنه :

« نابه تفرد على من تقدمه ، وأنه كان أمضى الجميع سنانا ، وأذكاهم جنانا ، وأتمهم جلالا، وأعظمهم استقلالا » .

وأضاف ابن خاقان الى ما أسلفنا وصفه اياه بأنه :

« كان آية الله فى اتفاق سعده ، وقربه من الملك مع بعده . ساس الأمور أحسن سياسة، فانتظمت له ممالك ، وانتشر الأمن فى كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق » .

ويختتم ابن خاقان حديثه عن المنصور فيقول :

« وكانت أيامه أحمد أيام » .

ولكن الفتح ابن خاقان لم يدعه دون توجيه بعض النقد اليه ، فقد أخذ عليه استكثاره من جند البربر فى الأندلس ، وبذلك أخمل الأعلام من العرب، ولكن المؤرخين يلتمسون له الأعذار فى هذا الصنيع ، فقد كان الأمر يتطلبه ، ولم يكن ثم مناص منه . لذلك كان دائم التفكير فى ذلك ، وكان يقول :

« لو نمت الليل ما نام أحد فى هذا القطر آمنا » .

ولقد صدق حقا ، فلقد كان توليه الأمور — كما أسلفنا — أمرا تقتضيه مصلحة المسلمين، وكان عمله خير شاهد على أنه أعظم رجل خدم الاسلام والمسلمين فى الأندلس .

وصدق الامام الذهبى ، فيما قال فى دول الاسلام ، وكيف أنه كان كل شىء فى الدولة ، وكان المؤيد (هشام بن الحكم) ، صورة بلا معنى » .

ومن ثم ندرك قول الشاعر الذى سجل رأيه فيه مكتوبا على قبره :

آثاره تنبيك عن أخباره
حتى كأنك بالعيان تراه
تالله، لا يأتى الزمان بمثله
أبدا، ولا يحمى الثغور سواه

التربية الروحية أساس المجتمع

حاجتنا إلى هذه التربية

الأستاذ أحمد الشرباصي

التربية الروحية من ألزم اللوازم للمجتمع الذى يريد أن يحيا حياة فاضلة مستقيمة ، لأن هذه التربية هى التى توقظ روح الانسان أى توقظ ضميره ، أى توقظ الرقابة الذاتية الداخلية العميقة على الانسان ، وتذكره بمن خلق الروح ومن وهبها له ، وتشعره بأن الله يعلم السر والنجوى : « **وأسروا قولكم أو أجهروا به انه عليم بذات الصدور ، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » ؟

ونحن نعلم أن رقابة الضمير المبنية على الاعتقاد بربوبية الله جل جلاله ، واطلاعه على كل شىء ، ومحاسبته على كل أمر ، حتى على الفتيل والقطمير ، تكون أقوى وأوسع وأشمل من سلطة القانون الوضعى القاصرة ، لأن القانون الوضعى يعتمد على الرؤية الحسية والمشاهدة الملموسة وعلى اثبات الجريمة ، وعلى وجود شهود عليها ، مع ما يتعرض له هذا القانون من فرص الاحتيال للتخلص منه بالكذب تارة ، وبقوة العارضة تارة ، ولكن سلطان التربية الروحية - أو الدينية بتعبير آخر - أوسع وأشمل ، فالرجل المعتقد المتدين ، أو صاحب الروح الحى ، قد يزل فيرتكب الجريمة سرا ولا يراه أحدا ، ولكن ضميره يؤنبه ، ودينه يناديه قائلا له : « فضوح الدنيا خير من فضوح الآخرة » فلا يتقاعس عن الاعتراف وتحمل الجزاء ٠ ولقد كان الرجل يأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعترف له بخطيئة ارتكبها ، ويطلب اليه أن يقيم عليه الحد ، وقد يعرض الرجل حياته للموت بهذا ، ولكنه يلقاه باسما مسرورا ، فأين هذا من الاحتيال للتخلص من العقوبة ، مما نراه فاشيا شائعا بين الذين لم يستقم دينهم ولم تتطهر أرواحهم ؟

والرجل الذى تهذب روحيا لا يقبل لنفسه أن يقترف اثما ، ثم يلصقه بسواه ، وذلك لأن الله تعالى يقول : « ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » ٠ وهذا رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام يحذر أتباعه الذين يعدهم روحيا من أن يقبل أحدهم أخذ شىء ليس من حقه ، يحصل عليه بطريق البراعة فى البيان أو المطالبة ، حتى ولو حكم له الرسول بذلك الشىء ٠٠

يقول النبى مامعناه : « **انى أقضى بينكم ، ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من صاحبه ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فقبله ، فانما هو قطعة من النار** » ٠

ولقد قص علينا تاريخ التربية الروحية المتسامية ، أن رجلا باع دارا لصاحبه ، وبعد حين عثر المشترى على كنز فى الدار • فرأى أن هذاالكنز ليس من حقه ، لأنه اشترى دارا فقط ، ولم يشتر معها كنزا ، فذهب الى صاحب الدار الأول يطلب اليه أن يأخذ الكنز لأنه لا يقبل أن يأخذ شيئا حراما • فرفض صاحب الدار أن يقبل الكنز ، وقال للمشترى : لقد بعتك الدار بما فيها فلاحق لى بعد ذلك فى هذا الكنز ، وتحرز كل منهما وتأبى أن يقبل شيئا لا يثق بحله‌له ، واحتكما الى حكم يفصل بينهما ، فسألهما : ألكما ذرية؟ فعرف أن لأحدهما ولدا ، وأن للآخر بنتا ، فأشار بأن يتزوج الولد الفتاة ، وأن يكون الكنز قسمة بينهما ، فرضيا هذا الحل !

ولقد كان المجتمع الاسلامى المتطهر فى خلقه وفى روحه يقيم دعائمه على أن الحلال الطيب هو عماد الحياة الفاضلة ، وسبيل النجاة من الشقاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، وأن الحرام هوالسوس الخبيث الذى يقوض الدعائم ويفضى الى الهلاك والعذاب ، وذلك لأنهم آمنوا بقول نبيهم:« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى‌به « ، وقدضرب المسلمون الأولون أروع الأمثلة فى هذا الباب ، ومن يطالع سيرة الصديق أبى بكر مثلا يجد الروائع فى هذا الباب ، ولقد شمل هذا التحوط والتحرز من الحرام النساء مع الرجال ، ولقد كان النساء المؤمنات يودعن رجالهن عند الخروج من المنزل فى الصباح : اياكم اياكم وكسب الحرام ، فاننا نصبر على الجوع ، ولكننا لا نصبر على النار !

والتربية الروحية تحارب فى الانسان روح الأثرة والأنانية ، وتجعله يؤمن ايمانا راسخا بأنه لبنة فى بناء ، وحلقة فى سلسلة ، وعضو فى جماعة ،فهو لايعيش لنفسه وحدها لأنه مااستحق الحياةمن‌عاش لنفسه‌فقط، فهو يشارك غيره النعمة ، ويشاطره النكبة ، وقد يقدم غيره ويفضله على نفسه ، ويؤثره على ذاته ، ولقد كان من نتيجة التربية الروحية المستقيمة فى صدر الاسلام ان أوجدت لنا أمثال الأنصار الأبرار الذين قال فيهم القرآن: **« والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة ممأأوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** •

وتاريخنا العربى والاسلامى يفيض بأمثلة من الايثار ، وحسبنا القصة التى خلاصتها أن سبعة من المجاهدين أصيبوا فى المعركة ، واشتد بهم العطش فطلبوا الماء ، فجاءهم الماء ، وعرضوه على‌الأول منهم ، فقال للساقى: اعط جارى ليشرب أولا فانه أشد عطشا منى ،

فلما ذهب الساقى الى الثانى قال له : أعط جارى الذى بعدى فانه أشد عطشا منى •• وهكذا استمر الوضع حتى بلغ الساقى بالماء الرجل السابع ، فوجده قد أسلم الروح فعاد الى السابقين فوجدهم قد أسلموا أرواحهم واحدا بعد واحد •

والواقع الملموس أن الأثرة فاشية فينا مسيطرة على الكثير من نفوسنا ، وعلى كثير من نواحى مجتمعنا ، فنحن مصابون بداء الأخذ لما ليس من حقنا ، وبداء عدم المبالاة أو التقدير لحقوق غيرنا ، وهذا أمر نشاهده فى حياتنا الخاصة والعامة •

***

والتربية الروحية توجد فى الانسان عنصر التميز الواعى والاختيار البصير ، فهو يعرف عن طريق هذه التربية حسن الحسن وقبح القبيح ، ويعرف التمييزالايجابى بين الأضداد كالفضيلة والرذيلة ، والحق‌والباطل ، والخير والشر ، والحلال والحرام ، والقرآن الكريم يشير الى هذا حين يقول :« **وهديناه النجدين**» اى طريق الصواب وطريق الخطأ ، ليسلك أيهما شاء ، وفى النهاية ينتظره الجزاء ، ويعود القرآن فيقول فى‌هذا الأمر : «**انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا** » •

والتربية الروحية الصادقة تعلمنا ألا نغتر بالمظاهر ، وألا ننخدع بالأشكال ، لأن المظهر

طــلاء خارجى ليس له كبـير قيمة ، وانما العبرة بالجوهر الداخلى وهو القلب أو الروح، ومن هنا قال الحديث النبوى : « **ان اللــه لاينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم** » ، ويقــول : « **ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب** »

والاسلام يعلمنا أن ننظر الى حقائق الأمور لا الى أشكالها وظواهرها ، ولقد روى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر به يومارجل فقال لرجل جالس عنده : ما رأيك فى هذا ؟ فقال : هذا رجل من أشراف الناس ، هــذا والله حرى ان خطب أن يزوج ، وان شفع أن يشفع ، فسكت رسول الله صلى عليه وسلم ، ثم مر به رجل آخر ، فقــال النبى ، مارأيك فى هذا ؟ فقال : يارسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هــذا والله حرى ان خطب ألا يزوج ، وان شفع ألا يشفع ، وان قال ألا يسمع لقوله ٠ فقال النبى : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا ٠

وانما قال الرسول ذلك لأن الرجل الأول الغنى له مظهر براق خداع ، وليس له حقيقة أو باطن جميل عامر بالخير ، وأما الرجــل الآخر فهو على الرغم من فقره اقوى الايمــان متين الخلق ، عامر القلب بالهدى والنور ٠

ومن هنا سأل النبى أبا ذر فقال له: ياأباذر أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قــال أبو ذر : نعم يا رسول الله ، فقال له النبى : فترى قلة المال هو الفقر ؟ فقال أبو ذر : نعم يارسول اللــه ، قال النبى : انمــا الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب ٠

***

والتربية الروحية هى التى تجعل صاحبها لا يخشى فى الحق أحداً ، بل يصدع بكلمــة الحق أينما كان ، فى حكمة ورشد واعتدال ، لا فى تهور أو رعونة ، وتاريخ الاسلام حافل بمواقف الوعاظ والزهاد والعلماء الذين صفت أرواحهم ، وعلت هممهم ، وخلصت لله نياتهم، فكانوا يقفــون أمام الخلفاء والأمراء يعظونهم ويذكرونهم بكلمة الله ، ولقد كان بعض هؤلاء الوعاظ يشتد فى نصائحه فنحن نرى سفيان الثورى يلقــاه الخليفة أبو جعفر المنصور ، فيضرب على عاتقه بيده وتقول له : أتعرفنى ؟ فيقول سفيان : لا ، ولكنك قبضت على قبضة جبار ٠ فقال له المنصور : عظنى يا أبا عبد الله ! فقال له الثورى : وما عملت فيما عملت فأعظك فيما جهلت ! قال المنصور : فمايمنعك أن تأتينا ؟ قال : ان الله نهى عنكم فقال : « ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار »٠ فمسح أبو جعفــر يــده به ، ثم التفت الى أصحابه وقال :

ألقينا الحب الى العلماء فلقطوا ، الا ماكان من سفيان ، فانه أعيانا فرارا ٠

لماذا جرؤ سفيان على هذا الموقف ؟٠٠ لأن روحه كانت قوية ، ولأن ايمــانه كان عميقا راسخا ٠

***

وليست التربية الروحية دروسا تلقى أو عظات تساق ، وانما هى أولا دراسة عميقة أصيلة للمبادىء الروحية السليمة الصادقة ، حتى يعرفها الدراس خير معرفة ، فيؤمن بها ويوقن ، ومن ثم يلتـزم الانسان تبعات هذه المبادىء ومقتضياتها ، ولعل هذا هو ما أراده بعض الفلاسفة القدماء بقولهم : الفضيلة هى المعرفة ٠٠ لأن المعــرفة اذا تعمقت وصدقت تأدت بصاحبها الى التزام ماعرفــه وتطبيــق ما آمن به ٠

واذا نظرنا الى تعاليم الاسلام وجدنا أنه يحملنا على تطبيق المبادىء النظرية فى أعمالنا الواقعية وعبادتنا المتكررة ، فنحن نعرف أن قواعد الاسلام خمس هى : شهادة أن لا الــه الا الله ، وأن محمــدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصــوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ٠

والمدقق فى هذه الفرائض وحكمة تشريعها

يجد أنها لم تنظم لتكون طقوسا مبهمة ، بل شرعت لتكون عوامل متوالية لتهذيب النفس وتطهير الروح بالأسلوب العملى المنتج .

فشهادة التوحيد تجعل روح المرء خالصة سالمة لاله واحد ليس كمثله شىء ، تحلى بكل جمال وكمال ، وتنزه عن كل نقص ، وتجعل روحه مهتدية بهدى رسول أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وبعثه ـ كما يقول هو ـ ليتمم مكارم الأخلاق .

والصلاة شرعت لعصمة الروح من الفحش والأذى ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وفى الحديث القدسى : « انما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب » .

والزكاة شرعت لتعلم المرء الرحمة والرأفة والاحسان ، وفى ذلك سمو بالروح ، ولذلك يقول الله تعالى : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » .

والصوم شرع لتنقية الحس والنفس ، وتطهير البدن والروح ، وتعويد النفس معنى المراقبة لله ، ولذلك يقول الله تعالى : « **يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » ، فكأن ثمرة الصوم هى التقوى ، والتقوى طهارة وصفاء ، وقوة الروح تستلزم الطهارة والصفاء . وفى الحديث النبوى : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** » . وفى الحديث أيضا : « **ليس الصيام من الأكل والشرب ، انما الصيام من اللغو والرفث** » .

والحج كان أيضا لتطهير الروح وتنقيتها، والله يقول : « **الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولا جدال فى الحج ، وماتفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يأولى الألباب** » .

وحسبنا أخيرا أن الله يجعل الروح الطاهرة النقية هى سبب النجاة والسعادة يوم لقائه فهو يقول : « **يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم** » .

تحف من الفن الشعبي في مصر الاسلامي

الأستاذ عبد الرؤوف علي يوسف

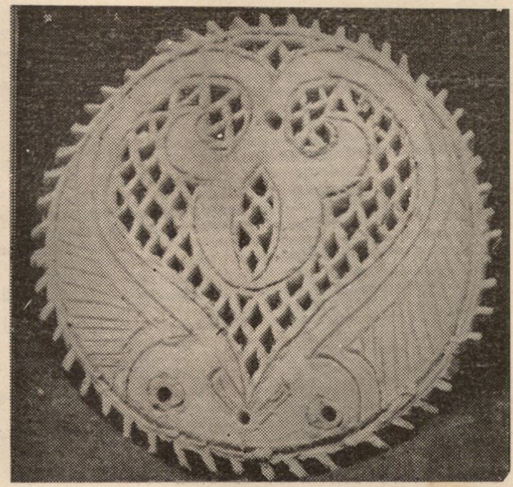

شباك قلة من الفخار غير المطلى عليه رسم سمكتين بينهما زخرفة نباتية

اذا استثنينا التحف الثمينة الجليلة التى تصنع للخلفاء والولاة ومن دونهم من علية القوم والتى تأنق الفنانون فى صناعتها وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما ، اذا تركنا هذا النوع جانبا لوجدنا من التحف نوعا شعبيا يصنع للاستعمال اليومى ويمتاز بالبساطة وقلة التكاليف ، وان لم يخل من حسن الذوق ودقة الصنعة وروعة التخيل والابتكار . ونقتصر هنا على نوع من التحف الشعبية من الفخار والخزف ، تكشف لنا بالاضافة الى أسلوبها الفنى نواح من عادات وتقاليد هذا العصر .

ومن هذه التحف المسارج الزيتية بأشكالها المختلفة ، وما يزخرفها من رسوم وما يتصل بمقابضها من تماثيل صغيرة ..

فنجد منها مسارج بيضاوية الشكل واخرى مستطيلة ترتكز على أربع قوائم صغيرة .

ومن أنواعها الشائعة ما يشبه شكل ابريق صغير له رقبة ومقبض وتخرج من بدنه شعبة طويلة للاشعال وقد تتعدد هذه الشعب فتصل الى أربعة فأكثر .

وينفسح المجال أمام الخزاف فى هذا النوع من المسارج بشكل الأباريق ، فنجد بعض تحفه ذات جدارين ، الخارجي منها بشكل شبكة

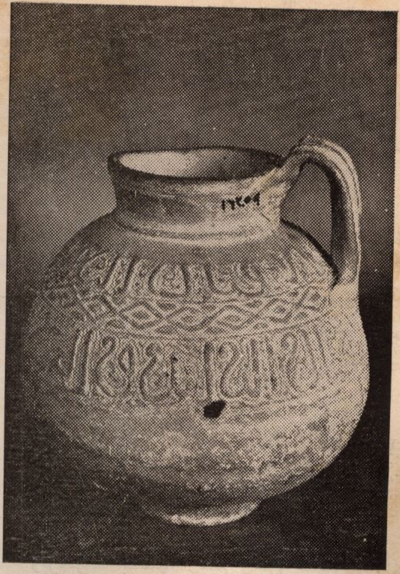

قلة ذات قصيص من الفخار الرقيق غير المطلى بزخارف كتابية بارزة . مصر .. القرن ١٣-١٤ م

ذات زخارف هندسية مفرغة ، والداخلى لحفظ الزيت .

وفى بعض هذه المسارج لا يصب الزيت من فوهة الابريق وانما تجعل له فتحة خاصة فى المقبض يصب منها ويتخلل جدار الآنية ، وكثيرا ما تشكل مقابض هذه السرج على هيئة حيوانات صغيرة كالقطط ونحوها . ومن المسارج ما يشبه صحنا صغيرا شكلت حافته بالضغط الى الداخل فى بعض أجزائها فكونت شعبة للاشعال ، وقد يتصل هذا النوع بحامل طويل فى أسفله ينتهى بصحن للارتكاز فيصير شكله كالشمعدان .

هذا عن أشكال المسارج ، أما عن ألوانها وزخارفها ، فمن أقدم الأنواع الاسلامية نوع مصنوع من الفخار يترك دون طلاء وزخارفه بارزة مطبوعة فى القالب وتتألف من رسوم حيوانية وعناقيد العنب وبعض كتابات كوفية بخط بسيط . ويلى هذا النوع فى التاريخ حوالى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) نوع آخر لوزى الشكل أومستطيل يرتكز على أربع قوائم صغيرة ، وطلاؤه الزجاجى أصفر محاك للذهب ، أو أخضر ، وزخارفه بارزة مطبوعة بالقالب أيضا ، وتتألف هذه الزخارف من أشكال لوزية تشبه القلب أو طواويس صغيرة .

أما فى العصر الفاطمى فنجد فيه مسارج من الخزف ذات طلاء زجاجى من لون واحد كالأخضر والأزرق الفيروزى ، أو اللون الزبدى الذى نجده أحيانا مرشوشا بالازرق أو البنفسجى . ومن هذه المسارج ما يشبه كأسا مضلعا مرتكزا على أربع قوائم وله شعبة للاشعال فيشبه شكل الكلجة ـ وهى كلمة تطلق على حامل الزير وكانت تصنع غالبا من الرخام ولها حوض بارز يرشح فيه ماء الزير ـ ومنها ماهو على شكل ابريق كما ذكرنا وبعض هذا النوع الأخير تزخرفه رسوم نباتية وهندسية وكتابات بالبريق المعدنى فوق طلاق أبيض أزرق فيروزى ، بنفس أسلوب الخزاف الفاطمى الشهير (سعد) فى أواخر القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر الميلاديين .

وتنسب الى عصر الأيوبيين والمماليك مسارج ذات أشكال متنوعة من الخزف والفخار ، تزخرف بعضها رسوم بالأسود والأزرق تحت الطلاء الزجاجى الشفاف ، وقد نجد على بعضها دنوكا كعصاتى البولو مثلا مما يساعد على تحديد عصرها .

ومن المسارج نوع مصنوع من الفخار المطلى بالميناء ، وعليه زخارف هندسية ، ورسوم حيوانية أو كتابات نسخية نجد مثيلا لها فى أوانى الفخار المطلية بالميناء فى العصر المملوكى .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن بعض المسارج الفاطمية من ذات اللون الواحد ، والتى تنسب على الأرجح الى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، كانت مقابضها تزخرف بهيئة فيران تصعد الى المسرجة لتشرب الزيت .

كما نجد كثيرا من مقابض هذا النوع من المسارج بشكل قط متربص عند الفوهة

ينتظر قدوم الفأر ، وربما قصد بذلك اخافة الفيران وارهابها .

وعلى مقابض بعض هذه المسارج نجدالقط ممسكا بفأر يحاول الوصـــول الى الزيت

وقد احتاط الخزافون لهذه الحالة فى صنع بعض المسارج ، فجعلوا فى فوهات الأباريـق مصاف تمنع وصول الفيران الى الزيت ، وفى بعضها الآخر جعلوا ثقب صب الزيت ضيقـا فى أعلى المقبض ، ويحجز الزيت فى الفراغ بين جدار المسرجة المزدوج فلا يصل اليه شئ .

ولقد ورد فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة تحذير من ترك السراج دون اطفـاء حتى لا توقعه الفأر فتضرم النار فى البيت ، قـال عليه الصلاة والسلام :

« غطوا الاناء وأوكئو السقاء وأغلقـــوا الأبواب ، وأطفئـوا السراج ، فان الشـيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابا ولا يكشف اناء ، فان لم يجد أحدكم الا أن يعرض على انائه عـودا ويذكر اسم الله فليفعل ، فان الفويسقة ـ الفأرة ـ تضرم النار على أهل البيت » .

والحق أن صنع مقابض التحف والأوانى وقوائمها على هيئة الحيوان والطير فى هـذا النوع من الخزف الفاطمى ، نعرفه أيضـا فى الخزف الصينى من عهد أسرة (سونج ـ Sung) ، والذى كان يستورد من الصين مباشرة فى ذلك العصر ، ونجد الخزاف هنـا يستلهم الواقع فى تصوير الفيران تبحث عن الزيت والقطط تطـاردها ، فزين بها مقابض المسارج »

ومن الأوانى الشائعة ذات الصفة الشعبية قلل الفخار لتبريد المياه ، ويزين بعضها بزخارف متنوعة بأساليب مختلفة ، من حفر غائر أو بارز ، وطبع بالقالب ، وزخارف مضـافة باستعمال القرطاس (الأسلوب المعروف باسم البarbotين) .

وبعض هذه القلل مطلى من الخارج بطلاء زجاجى أزرق أو أخضر ، ويستعمل هذا النوع فى الشتاء لحفظ حرارة الماء ، وبعضـها ذو طلاء زجاجى رسمت عليه زخارف بالبـريق المعدنى تمثل أسماكا أو كتابات كوفيـة مـن أسلوب الخزاف (سعد) فى العصر الفاطمى . وقليل منها زين ظاهره بعد حـرقه بزخارف بالأحمر والأخضر والأصفر ، ولم تثبت هذه الألوان بالحرق .

وأغلب هذه القلل يترك سطحها ساذجا دون زخارف ، ويكتفى الخزاف بزخرفة شباك القلة من الداخل بين الرقبة والبدن بزخارف مفرغة غاية فى الدقة والابداع تشهـد برقى الذوق الفنى وتكسب هذه الأوانى الشعبية البسيطة رونقا وجمالا .

ومن الزخارف التى نجدها على شبـابيك هذه القلل رسوم منازل أمامها شـجيرات النخيل أو قوارب السفن .

ويزخرف بعضها رسم رجل جالس يمسك كأسا ، ولبعض الأشخاص أنوف طويلة مبالغ فى رسمها .

ومن الرسوم الحيوانية على بعض هـذه التحف ، رسم الفيل والغزال والأسد والفهد ، فضلا عن رســوم حمام وطواويس وأسماك

أما الرسوم الخزفية فنجد منهـا الطائر ذا الوجه الآدمى والتنين وطائرا ذا رأس آدمى ينتهى بلحية طويلة وذيله بشكل تنين يعض رأس الشخص .

ومن الزخارف النباتية وردات كبيـرة متعددة الأوراق ، وعلى بعض القطع زخارف هندسية متنوعة .

ويزخرف عددا من شبابيك القلل هـذه رنوك وشارات مختلفـة نعرفهـا فى العصر المملوكى ، مثل زهرة الزنبق وزهرة اللؤلؤ ورنك السبع والهدف والـدرع والـكأس وغيرها .

ويمتاز بعض هذه المجموعة من شبابيـك القلل بما عليها من كتابات كوفية ونسخيـة بعضها عبارات دعائية ومنهـا حكم وأقوال

مأثورة مثل : « العز الدايم – والبركة – ·· – ودمت سعيدا بهم – وبرسم الثقة – ومن صبر قدر – واقنع تعز – وفاز من اتقا – عف تعاف – ومن خف طف – ويانايم فيق » ·

وبعض هذه العبارات بأسلوب دارج وتحمل بعض القطع أسماء الصناع بعبارة موجزة مثل « عمل عابد » بالخط النسخى

ونستطيع من مقارنة الزخارف والكتابات على مصافى القلل الفخارية هذه ودراسة ما عليها من رنوك ، أن ننسب كثيرا منها الى عصورها الاسلامية المختلفة والتى تمتد من العصر الطولونى الى عصر المماليك (من القرن ٩ – ١٥ م) ·

وقد وصل الينا اسما صانعين آخرين للقلل الفخارية ، هما (قاسم) و (المصرى) ولأولهما قطعة من الفخار يزخرفها بالخز رسم مسدسى داخله زخرفة نباتية يتوسطها اسم الصانع بالخط النسخى (عمل قاسم) وثانيهما نعرف من انتاجه قلة من الفخار يزخرف أعلى بدنها شريط دائرى عريض به رسوم طيور كبيرة وأخرى صغيرة تشبه البجع أو الأوز ·

ومن التحف الفخارية الشعبية ايضا أختام مستديرة مزخرفة يطبع بها الكعك فى الأعياد والمواسم ، وعلى هذه الأختام بالحفر رسم باز ينقض على أوزة ، أو صقر ناشر جناحيه أو رسوم أرانب وغزلان وأسماك ، فضلا عن زخارف نباتية وزخارف هندسية مختلفة . ويزخرف بعض هذه الأختام عبارات دعائية بالخط الكوفى مكتوبة فى اتجاه عكسى مثل « كل هنيئا » أو « بالشكر تدوم النعم » ، ونجد على بعضها « كل واشكر مولاك » .

ومن الطريف أن عبارة « كل واشكر » هذه التى تكرر ورودها على أختام الكعك تطلق الآن على نوع معروف من الحلوى الشامية .

اما لعب الأطفال من الفخار غير المطلى فكثيرة متنوعة ، منها تماثيل مفرغة لحيوانات كالغزلان والكباش واشكال آدمية كالعرائس أو شخص على رأسه (طرطور) ونحو ذلك .

والأرجح ان هذه التحف كانت تملأ بالمياه فنجدها مفرغة ولها فتحات ومقابض · وبعض هذه التماثيل واللعب صماء غير مفرغة ،نجد فيها تمثال (الجمل والهودج) وتماثيل كلاب وغزلان وكباش وقطة راقدة ترضع صغارها . هذا فضلا عن كلج صغيرة وأزيارها ومسارج صغيرة وسلال وأوان ، وصنارات على هيئة أسماك مما يستعمل فى لعب الأطفال ولهوهم ·

وبالاضافة الى هذه اللعب من الفخار غير المطلى لدينا مثيلات لها من الخزف ، فنجد تماثيل خزفية لكباش وطيور كالديكة ونحوها، وكذلك تمثال القطة ترضع صغارها . وهذه القطع اما مطلية بلون واحد ازرق فيروزى أو أخضر وبعضها بطلاء زبدى اللون مرشوش بالازرق والبنفسجى ·

ويزخرف حافات بعض الأوانى الخزفية تماثيل بارزة لأوجه آدمية وحيوانية ، كما نجد بعض تماثيل آدمية صغيرة لأشخاص منهم الشيخ المعمم الملتحى والشاب يلبس قلنسوة صغيرة والسيدة ذات الشعر المصفف · وطلاءات هذه التماثيل بنفس السابق ذكرها ، فنجد منها اللون الزبدى والبنفسجى والأصفر السمنى والأخضر والفيروزى ·

ويمكن أن ننسب معظم هذه المجموعة من التماثيل الخزفية الى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) من عهد الدولة الفاطمية وأوائل عصر الأيوبيين · ونلفت النظر هنا أيضا الى أوجه الشبه بين بعض هذه التماثيل الآدمية والحيوانية وبين التماثيل البورسيلانية من عهد أسرة (سونج) الصينية ·

يتضح مما تقدم جانبا من الفن الشعبى ، لبى فيه الخزافون حاجات الشعب ومطالبه اليومية ، بانتاج تحف من الفخار والخزف ذات جمال فنى خاص ، رغم ما يبدو عليها من بساطة وسرعة فى التنفيذ .

شيء من الإيجابية ...

الأستاذ عبد السلام داود

فى الوقت الذى استأثرت فيه الناحية الدينية بجانب لا يستهان به من اهتمام الميثاق الوطنى ، وفى الوقت الذى بدأت فيه مبادىء الميثاق توضع موضع التنفيذ ، يتلفت المسلمون حولهم بحثا عن حلول لكثير من مشاكلهم التى طال عليها العهد .

ان اهتمام الدولة المتزايد بالناحية الدينية يجب أن يكون حافزا لجميع المشتغلين بقضية الاسلام لمضاعفة جهودهم والانطلاق بكل طاقاتهم فى هذا الاتجاه .

فالدولة من ناحيتها قد أولت الناحية التنفيذية كل اهتمامها ، فكان هذا الجهد الرائع فى تطوير الدراسة بالازهر ، وكانت هذه الاعمال المشرفة الخلاقة التى قام ويقوم بها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

ولكن البناء لا يمكن أن يرتفع ، ويبلغ غايته ما لم يتوفر فى أيدى البنائين المواد الخام اللازمة . والمواد الخام اللازمة لبناء الصرح الاسلامى الشاهق الذى نحلم به هى أفكار وحماسة وبحوث المفكرين .

اننا قد نطالب الدولة مثلا بانشاء مساجد، أو مراكز اسلامية ، أو تطوير الدراسة فى المعاهد أو اعداد جيش من الدعاة ، ولكننا لا نستطيع أن نطالبها بأن تدخل فى مناقشة مع رواد الفضاء السوفييت مثلا الذين جعلوا الله هدفا لسخريتهم عقب نزولهم الى الارض.

ان مثل هذا القول يزلزل كيان المؤمن ويشق عليه احتماله . وهو ــ أى المؤمن ــ ليس فى حاجة الى من ينبرى للاحتجاج على هذا القول ، بقدر ما هو فى حاجة الى من يفلسف له الموقف .. فى حاجة الى من يملك أن يغوص فى كنز التراث الاسلامى ليخرج وفى جعبته ملايين الحقائق والأدلة ، والردود المفحمة التى تغسل مرارة هذا التطاول من القلوب ، وتملؤها اطمئنانا وسخرية ممن جرى على لسانه القول الخطير

وانه ليشق على المسلم ــ من بين المؤمنين بالله ــ أن تنبرى الكنيسة المسيحية ممثلة فى الفاتيكان للاحتجاج على قحة وغرورهؤلاء، بينما لا يرتفع فى بلاد المسلمين طولا وعرضا صوت واحد لبث الطمأنينة فى قلوب المسلمين .

ومن أفدح الاخطاء فى مثل هذه الحالة ، أن نترفع عن الرد ، أو نعرض عنه ، باعتباره لغوا واثما نهينا أن نرد على مثله ، حتى لا يزداد تطاول الكافرين على مقدساتنا .

ومن الخطأ أن يحكم هذا المنطق تصرفنا . لأن الذى يسب ويسخر ويتطاول يستمد سخريته وتطاوله من نجاح علمى أحيط بضجة كبرى . ومن شأن من يتحدى بلا علم أن يتهم بالغرور ، أما ذلك الذى يتحدى مستندا الى نظر ساذج فقد يخدع بمغالطته ضعاف النفوس .

ومن هنا كان الواجب يحتم على علمائنا ومفكرينا أن ينتهزوا هذه الفرصة ليرفعوا صوتهم فوق صوت الضلال . أن يقفوا بعلمهم وفكرهم سورا يحمى جمهور المسلمين من رياح الانكار والجحود .

هذا فيما يتعلق بالميدان الخارجى . أما فى الداخل فما أكثر ما حولنا من قضايا تحتاج الى جهود المفكرين والعلماء . ويأتى على رأس هذه القضايا مشاكل تعدد الزوجات والطلاق، وتحديد النسل ، وقضايا الاشتراكية نفسها التى تتعرض الى حملات تضليل واسعة النطاق من هؤلاء الذين يتخذون الدين ستارا لمظالمهم .

ولا يزعمن أحد أن أحاديث الصحف والاذاعة والتليفزيون هى غاية ما نستطيع أن نسهم به . فان هذه الآراء السريعة لا يمكن أن تخلف وراءها غير أثر سريع .

اننا نطالب علماءنا ومفكرينا بمزيد من الايجابية ، فالطريق لم يكن يوما ممهدا كما هو ممهد الآن .

في الطريق إلى التحرير

أندونيسيا تحرّر إيريان الغربيَة من قبضة الاستعمار

تحقيق قام به : سعد محمد الديب ومحمد عبد العزيز السنجرجى

* الاستعمار الهولندى ـ فى ايريان الغربية ـ يرتكب أبشع جريمة فى حق المسلمين .

* ((ايريان الغربية)) قطعة من أندنونيسيا ونسبة المسلمين فيها تكاد تكون معدومة .

* الاستعمار يحرم على مسلمى اندونيسيا دخول ((ايريان الغربية)) ويسمح للارساليات التبشيرية المغرضة بمزاولة نشاطها على اوسع نطاق .

* الارساليات التبشيرية تنشىء ٤٩٩ مدرسة تبشيرية مغرضة فى جزيرة ((ايريان)) .

الرئيس احمد سوكارنو .. نذر نفسه لتحرير
« ايريان الغربية »

فى اليوم الخامس عشر من شهر اغسطس الماضى تم توقيع الاتفاق بين أندونيسيا وهولندا بشأن مشكلة « ايريان الغربية » ، وقد اهتمت الشعوب الافريقية والاسيوية كل الاهتمام بهذه المشكلة ، كما كان لنبأ توقيع هذا الاتفاق وقع حسن لدى هذه الشعوب ، وخاصة بالصورة التى تم بها ، اذ استطاع الجانب الاندونيسى فى المفاوضات التى سبقت هذا الاتفاق أن ينتزع حقوقه كاملة،ولم يرض مطلقا بأنصاف الحلول..من أجل هذا أعربت الدول الافريقية الاسيوية عن سرورها البالغ بهذه النتيجة الحسنة ، واعتبرت هذا اليوم من أيام تصفية الاستعمار فى القارتين ، كما اعتبرت أندونيسيا هذا اليوم أيضا نهاية لاستقلال جميع أراضيها..وأعلنت دوائر الامم المتحدة بأن هذا اليوم يعتبر – بحق – هزيمة لهولندا ونصرا لكفاح أندونيسيا وشعبها الحر المناضل .. كما يعتبر – بحق – نصرا لسكرتيرها العام المؤقت الذى بذل كل الجهود لنجاح هذه المفاوضات . ومن نصوص هذه الاتفاقية :

- وضع « ايريان الغربية » تحت ادارة الأمم المتحدة فى أكتوبر «الحالى» .. وسوف يعين السكرتير العام للامم المتحدة مديرا لها « عن هيئة الامم » ، كما سيرسل قوة دولية تضم نحو الف جندى ..
- تسلم الأمم المتحدة « ايريان الغربية » الى الادارة الاندونيسية فى أول مايو ١٩٦٣، وبذلك تتم سيطرة الحكومة الاندونيسية على جميع اراضيها .
- يجرى استفتاء لحق تقرير المصير فى « ايريان الغربية » فى عام ١٩٦٩ ليقرر شعبها ما اذا كان يريد اتباع اندونيسيا أو الحصول على الاستقلال .
- وقف جميع العمليات العسكرية بين القوات الاندونيسية والهولندية .
- تشترك أندونيسيا وهولندا فى دفع نفقات قوات الامم المتحدة فى « ايريان » خلال الفترة المؤقتة .

ان الفضل فى هذا النصر الحاسم يرجع الى الشعب الاندونيسى الذى صمم بكل صلابة على تحرير أراضيه من قبضة المستعمر الغاصب ، كما يعود الفضل أيضا الى الحكومة الاندونيسية وعلى رأسها الدكتور أحمد سوكارنو الذى قاد هذا الشعب الى طريق النصر والعزة والكرامة .. لقد نذر هذا الرجل نفسه لتحرير جزيرة « ايريان » وهو صادق كل الصدق فى هذا الوعد ، وأمام هذا الموقف الحازم من الشعب وحكامه سلمت هولندا بكل حقوقه ومطالبه ، اذ لم يكن لها حرية الاختيار بين البقاء واستنزاف خيرات هذه البلاد الطيبة أو الرحيل عنها ..

ان الشعب الاندونيسى الحر الأبى قد دفع ثمن هذا النصر الحاسم من دمائه الزكية .. قدم الضحايا من أبنائه ثمنا لهذا النصر .. صبر على انتزاع أمواله واستنزاف خيراته انتظارا لهذا اليوم العظيم .. أشعل نيران الثورة فى كل مكان على المستعمر الغاصب ، وفى كل مرة تسقط منه الضحايا والشهداء ، وترتوى الأرض الطيبة المباركة بدمائهم الطيبة الطاهرة .. ان وراء هذا النصر قصة كفاح

مريرة بطلها الشعب الاندونيسى العظيم ، ومسرحها الجزر الاندونيسية الطيبة المباركة .. ويرجع زمن حوادثها الى أكثر من ثلاثة قرون.

ان مجلة ((منبر الاسلام)) تقدم لقرائها حقيقة هذه القصة .. قصة كفاح أندونيسيا الاسلامية ، مع المستعمر الغاشم .. قصة المؤامرات الدنيئة التى ينفذها فى ((ايريان الغربية)) .. فان قضية ((ايريان)) ليست قضية أندونيسيا وحدها .. انها قضية المسلمين فى كل مكان .. قضية كل مواطن فى ((آسيا وأفريقيا)) .. قضية الاحرار فى جميع أنحاء العالم .. فقد حاول المستعمر أن يخلق من ((ايريان)) اسرائيل جديدة فى ((آسيا)) ليكرر نفس المأساة التى خلفها فى ((افريقيا)) ..مأساة تشريد مليون مواطن عربى فلسطينى .. وليعمل على خلق دول مصطنعة يدعى أنها مستقلة .. بينما هى فى الواقع مكبلة بالاغلال .. صنيعة للاستعمار .. تحقق أهدافه .. وتنفذ أوامره الدنيئة .. واليك أيها القارىء قصة هذا الصراع ..

حقائق جغرافية

● تمتد اندونيسيا من خط عرض ٦ شمال خط الاستواء الى خط عرض ١١ جنوبا ، وتمتد من خط طول ٩٥ غربا الى خط ١٤١ شرقا .

● اكبر مساحة من الغرب الى الشرق ٥ر١١٠ كيلو متر ، واكبر عرض من الشمال الى الجنوب ١ر٨٨٨ كيلو متر .

● المساحة الكلية لاندونيسيا ١ر٩٠٤ر٣٤٦ كيلو متر .

● عدد السكان يبلغ ٩٥ر٨٨٩٠٠٠ نسمة ، ويكون المسلمون ٩٠ ٪ من عدد سكان اندونيسيا .

اندونيسيا تكافح الاستعمار :

ترجع قصة الاستعمار الهولندى لاندونيسيا الى اكثر من ثلاثة قرون ، ذاق خلالها الشعب الاندونيسى من الوان العذاب والاضطهاد ما تنوء به الجبال ، لكنه وقف أمام المستعمر ، واعلنها حربا عنيفة قاسية فى كل فرصة سنحت له ، حتى استطاع أن يقض مضاجع المستعمرين ، واستطاع ان ينتزع حريته بكفاحه ونضاله عام ١٩٤٥ ، والمتتبع لكفاح أندونيسيا خلال هذه الفترة يدهشه ما قام به شعبها من ثورات متتابعة ، وما قدمه من ضحايا هائلة .. ففى عام ١٥٩٤ بدات اول محاولة استعمارية هولندية لاحتلال الاراضى الاندونيسية ، حيث اقام الهولنديون اول مركز تجارى لهم على ساحل جزيرة « جاوة » .. وفى عام ١٦٠٠ استطاعت شركة هولندية ان تحوز قطعة ارض فى جزيرة « سومطرة » .. ثم استولت على « جاكارتا » عام ١٦١٠ ، واسمتها « بتافيا » غير أن الانجليز انتزعوها من ايديهم سنة ١٨١١ .. ثم اتفقا على ان يترك الانجليز « جاوه » لهولندا ، نظير ان تكون « ملقا » للانجليز ..

ولم يكن للشعب اى راى فى هذه الاحداث، فقد كان يئن تحت أثقال الضرائب الفادحة ، التى فرضها عليه المستعمرون ، ومن ناحية اخرى فقد كان الاقطاع يكمم انفاسه ، ولا يترك له اقل فرصة للتفكير فى التمرد والعصيان ، ولم يكن افراد هذا الشعب يملكون شبرا واحدا من الارض التى يزرعونها، ويشقون فيها، وكانت المحصولات كلها لصاحب الارض ، غير القليل منها الذى لا يسد الرمق.

وازاء هذه القيود الجائرة التى فرضت على الشعب من الاستعمار وكبار الاقطاعيين ، قام بثورة متمردة قوية ، تهدف الى القضاء على هذه الاوضاع الظالمة ، والانتقام من أعدائه ومصاصى دمائه من المستعمرين والاقطاعيين ، وكان ذلك عام ١٨٢٥ واستمرت هذه الثورة « بقيادة الامير ديبونجورو » فى « جاوه » طليلة خمس سنوات ، قدم فيها المواطنون من دمائهم وأرواحهم ضريبة التحرر والانطلاق،واستطاعوا زلزلة قواعد المستعمر فى بلادهم .. وكان من المقدر لهذه الثورة الابية ان تسحق المستعمر ، وتطوح بالاقطاع الى غير رجعة ، لولا أن الهولنديين عملوا على خديعة قائدها ، واوهموه برضوخهم لمطالب الثوار ، عن طريق محادثات تجرى بين الطرفين ، وعلى مائدة المفاوضات قاموا باعتقاله ونفيه بعيدا عن الجماهير الثائرة المتمردة .. وبقى فى منفاه حتى أدركته منيته عام ١٨٥٥ .. وايقن المستعمر انه كمم انفاس الشعب بهذا العمل المشين ، وضمن لنفسه البقاء والاستقرار، ولم يدر بخلده ان الشعوب

خريطة تبين ايريان الغربية على شكل طائر متجه فى شوق الى أندونيسيا

انما تكافح من أجل المبادىء الحرة الكريمة ، لا من أجل أفراد بعينهم ، لذلك لم تكن هذه الثورة آخر ثورات الشعب الذى يغلى كالبركان المدمر ، فقد قام بعدها بعدة ثورات عنيفة قوية أشهرها ثورة « تنكو عمر » التى استطاعت أن تضعف من قوة المستعمر فى البلاد ، غير أنها لم تصمد أمام الاسلحة الهولندية الحديثة ، فأخذت فى التقهقر من مدينة لأخرى ، حتى استشهد قائدها فى ميدان المعركة عام ١٨٩٩ وهو يهتف من كل قلبه لاندونيسيا الثائرة الأبية ..

وأمام هذه الاسلحة الحديثة المدمرة كان نصيب كل الثورات التى قامت بعد ثورة « تنكو عمر » الفشل الذريع .. حتى كان عام ١٩٠٤ حيث استولى المستعمر على آخر مقاطعة كانت تتمتع بالاستقلال ..

وفى عام ١٩٢٧ بدأت مرحلة أخرى من مراحل الكفاح المنظم ضد المستعمرين ، فقد تكون « الحزب الوطنى الاندونيسى » برئاسة الدكتور أحمد سوكارنو ، وكان من أهم أهدافه القضاء على النفوذ الاجنبى فى البلاد قضاء تاما ، ولما اشتد خطر هذا الحزب على السلطات الاستعمارية عمدت الى القاء القبض على سوكارنو وكثير من الزعماء والقواد الوطنيين ، ولفقت لهم اتهامات باطلة ثم قضت عليهم بالسجن من ثلاث الى اربع سنوات .

وبهذه الطريقة الوحشية تمكن الاستعمار من القضاء على الحزب الوطنى الاندونيسى ، ولم يسكت الشعب الاندونيسى على هذه الاوضاع ، ولم يرض عن هذا الفشل الذى انتهى اليه الحزب المذكور ، فقام بتكوين حزب آخر هو « **حزب الجمعية التعليمية الاندونيسية** » ، الذى قام بحمل الراية والدعوة الى التحرر والقضاء على الاستعمار والعبودية ..

وقبيل الحرب العالمية الثانية بعدة سنوات فوجئت الجماهير الاندونيسية ، التى أرهقها الجوع والحرمان ، وقضى عليها الاستعمار ، وحرمها من أقواتها ، وفرض عليها حثالة بضائعه الرديئة بأفدح الاثمان ، فوجئت هذه الجماهير بالبضائع اليابانية الجيدة الراقية تغمر الاسواق بأسعارها الزهيدة القليلة ، فأقبل عليها الشعب اقبالا حسنا ، وقاطع البضائع الهولندية ، **وأثر هذا الاعراض عن**

بضائع المستعمر فى مركزه الاقتصادى ، حتى لم يأت عام ١٩٤٢ الا واستطاع اليابانيون أن يطردوا المستعمر الهولندى من اندونيسيا شر طردة .. وبطرد المستعمر زادت رغبة السكان فى الحصول على الحرية والاستقلال ، ومباشرة سلطاتهم بأنفسهم ، ذلك أنهم يدركون تماما أن قضية الاستعمار واحدة ، لا فرق بين استعمار وآخر .. فالمستعمرون أينما كانوا أهدافهم واحدة ، مهما اختلفت الوسائل ، وتفرقت بهم السبل ..

من أجل ذلك قامت الثورات المتتابعة ضد اليابانيين ، والفت الجمعيات والهيئات الوطنية التى تهدف الى تحقيق آمال الشعب فى الحرية والاستقلال .. ومن أهم هذه الهيئات : « مركز القوة الشعبية » برئاسة الدكتور سوكارنو وسكرتارية الدكتور محمد حتى .. وتم تكوينها عام ١٩٤٣ ، وبعدها بستة أشهر تقريبا تكونت هيئة « جيش المدافعين المتطوعين » الذى أصبح من أهم القوى المعادية لليابانيين .. فأصبح مركزهم فى أندونيسيا مزعزعا الى حد كبير ، لكراهية الجماهير لكل ما هو استعمار ، وظهور خطر الحلفاء فى الافق ، وانتهز الزعماء الاندونيسيون هذه الفرصة الذهبية ، فرصة ضعف المستعمر ، بسبب ضرباتهم المتلاحقة ، وظهور خطر الحلفاء ، وأعلنوا استقلال بلادهم ، ومولد الجمهورية الاندونيسية الحرة الثائرة برئاسة الدكتور أحمد سوكارنو فى يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

عودة الاستعمار الهولندى :

لم تنعم البلاد باستقلالها طويلا ، ففى يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥ فوجىء الشعب الاندونيسى بنزول أول فرقة من قوات الحلفاء الغربيين «قوات بريطانية» فى مطار «جاكارتا» بحجة نزع سلاح اليابانيين ، وتسلم أسرى الحرب ، والافراج عن المعتقلين ، وكانت المفاجأة الثانية نزول القوات الهولندية فى فى أذيال الجيش البريطانى ، وتحت حمايته .. أما المفاجأة الثالثة فهى وصول بعثة من الحلفاء برئاسة « باترسن » البريطانى فى ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، هدفها المحافظة على النظام وتطبيق القانون – فى زعمها – الى أن تعود السلطات الهولندية « الشرعية » لتحكم هذه الجزر ، وكان اول عمل قامت به هو اعتقال عدد كبير من الزعماء الوطنيين ، كى تنهار كل مقاومة شعبية فى سبيلها للنمو والظهور .. وأعلن الدكتور سوكارنو احتجاجه الشديد على هذه المهازل الدنيئة التى تتم تحت رعاية الدول المتحالفة .. وعادت هولندا من جديد لتتحكم فى البلاد ، وتستنزف خيراتها ومن جديد أيضا ظهرت أعنف المقاومات الشعبية ضد المستعمرين المتحالفين .. ولم تكتف بريطانيا العجوز بكل هذه الفضائح الاستعمارية ، بل أعلنت اعترافها بحكومة هولندا فى الجزر الاندونيسية الثائرة . وازاء هذا الاعتراف اضطر الشعب أن يشتبك مع المستعمر فى عدة معارك حاسمة أشهرها معركة « سواربايا » انتقم فيها لنفسه شر انتقام من بريطانيا ، حيث لقنها درسا لن تنساه مدى الحياة ، وجعل منها كبش الفداء .. فمزق جنودها فى الشوارع شر ممزق ، ومثل بهم أبشع تمثيل ، وكبد الهولنديين خسائر فادحة فى الارواح والاموال والسلاح ، واستمرت هذه المقاومة الشعبية الباسلة الى نهاية شهر نوفمبر سنة ١٩٤٥ غير أن هولندا استطاعت بعدها أن تنتزع « سواربايا » من أيدى الاندونيسيين بمساعدة قوات الحلفاء بعد أن دافعوا عنها دفاع الابطال .. **ثم رأت بريطانيا أن تقوم بدور الوساطة بين الطرفين، حتى تمكنت من ابرام اتفاق « لينجرجاتى » ، عام ١٩٤٦ ، ونص فى هذا الاتفاق على الاعتراف بسلطة الحكومة الاندونيسية على « جاوه » و « سومطره » ، عدا المناطق التى يحتلها الحلفاء** ، غير أن القوات الاستعمارية نقضت هذا الاتفاق ، وقامت بحملة اعتداءات واسعة النطاق على الحكومة الاندونيسية ، لتنتزع ما تحت يدها من أقاليم ، فقامت الحكومة بعرض هذا الاعتداء على الامم المتحدة ، فأصدرت أمرها بوقف اطلاق النار فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ، **ثم شكلت لجنة ثلاثية أعضاؤها من أمريكا واستراليا وبلجيكا سميت لجنة « المساعى الحميدة » هدفها التوفيق بين الطرفين ، واستطاعت هذه اللجنة أن تتوصل الى عقد اتفاق « رانفيل » فى يناير سنة ١٩٤٨ وبموجب**

السيد/محمد سنوسى سفير أندونيسيا يشكر صحافة الجمهورية العربية المتحدة على موقفها من قضية «ايريان»

هذا الاتفاق تخلت القوات الاندونيسية عن مناطق حيوية هامة .

تحرشات جديدة :

بالرغم من تخلى الحكومة الاندونيسية عن بعض المناطق الهامة ، استجابة لاتفاق لجنة المساعى الحميدة ((رانفيل)) ، وحرصا منها على حقن الدماء ، واستقرار الامن والسلام فى البلاد ، لم تحترم السلطات الاستعمارية هذا الاتفاق من ناحيتها .. فأخذت تقوم بعدة أعمال استفزازية ضد الحكومة ، كانشاء عدة دويلات صورية حول البقاع التى تحت سيطرة الحكومة الاندونيسية ، وتسمية هذه الدويلات بأسماء استعمارية ، الهدف منها حصار الحكومة حصارا اقتصاديا وتجاريا وسياسيا ، حتى لا تستطيع الدفاع عن الشعب ، فتضعف المقاومة الشعبية ، وتنهار انهيارا تاما أمام هذا الحصار الخانق ، ولنجاح هذه السياسة عملت على تكوين العصابات السرية الارهابية ، وجعلت من اهم اهدافها العمل فى الظلام ، واغتيال الزعماء الوطنيين ، وبقية أفراد الشعب من الداعين الى الحرية والاستقلال، ولكن الحكومة الاندونيسيةاليقظة ادركت ما يهدف اليه المستعمر ، فتمكنت من القضاء على هذه الجمعيات قضاء تاما ، وشلت نشاطها فى سرعة عجيبة .

اعتقال سوكارنو وحتى :

كان لقضاء الحكومة الاندونيسية على جمعيات هولندا الارهابية أسوأ الأثر على المستعمر ، الذى تفزعه الهزائم الكثيرة المتتالية ، والضربات الشعبية اليقظة ، فقام بشن هجوم مفاجىء على الجيش الاندونيسى ، واستولى على «جوكجارتا» العاصمة ، وتمكن من اعتقال الرئيس سوكارنو ونائبه محمد حتى ، ونفيهما الى جزيرة « بانكا » ثم اقام بعدة أعمال اجرامية شنيعة ، فنكل بالنساء والأطفال والشيوخ ، ولم يسطر التاريخ صفحة أحلك من هذه الصفحة فى ماضى هولندا الاستعمارية ، وثار الرأى العام العالمى على هذه المجازر الوحشية البشعة ، وأمام صيحات الاستنكار فى كل مكان من العالم عرضت هذه القضية مرة أخرى على الأمم المتحدة ، فتمكنت من وقف اطلاق النار ، واصدار اوامرها باجلاء القوات الاستعمارية عن العاصمة ، واطلاق سراح سوكارنو ونائبه وجميع المعتقلين .

مؤتمر المائدة المستديرة :

رأت الامم المتحدة ان تكون لجنة مهمتها الاشراف على مباحثات تجرى بين الطرفين ، لوضع حد نهائى لهذا النزاع ، واختارت أعضاءها من ممثلى أمريكا ، واستراليا ، وبلجيكا ، وأسفرت هذه المباحثات عن اتفاقية ((فان روين روم)) وبمقتضى هذه الاتفاقية تم وضع جميع الأسس التى تنظم نقل السيادة من هولندا الى الشعب الاندونيسى على جميع أراضيه ، وعلى أساس هذه الاتفاقية جرت مفاوضات أخرى بين الطرفين فى ((لاهاى))

بهولندا تمت بابرام معاهدة «المائدة المستديرة» فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩ التى انهت جميع المسائل المتعاقة بينهما عدا مشكلة « ايريان الغربية » .

مشكلة ايريان الغربية :

لم تشأ هولندا أن تسلم السلطة الفعلية المطلقة للحكومة الاندونيسية ، دون أن تضمن لنفسها حجة للتدخل والبقاء فى أراضيها .. فبعد أن اعترفت رسميا باستقلال البلاد فى مؤتمر « المائدة المستديرة » ، وسلمت السيادة الكاملة – دون قيد أو شرط – الى اندونيسيا على جميع جزرها بما فيها « ايريان الغربية » بدات تخالف هذا الاتفاق ، وتناقض نفسها ، وتعمل على خلق جو من التأزم بينهما وبين المفاوض الاندونيسى، قصدا الى فشل الاتفاق، وبالتالى عدم تسليم السلطة الفعلية فى محافظة « ايريان الغربية » غير أن لجنة الأمم المتحدة – حرصا منها على نجاح الاتفاقية – اقترحت حلا وسطا يكون بمثابة جزء من ميثاق تسليم السيادة ، ووافق الطرفان على ذلك .. ومما جاء فى ميثاق المائدة المستديرة بخصوص هذا الحل : **« المادة الثانية : بالنسبة لاقليم غينيا الجديدة ، اتفق الطرفان على أن يبقى هذا الاقليم بحالته الحاضرة ، بشرط أنه فى خلال عام من تاريخ انتقال السيادة ، بمقتضى هذا الميثاق الى جمهورية الولايات المتحدة الاندونيسية ، تقرر الحالة السياسية « لغينيا الجديدة » عن طريق مفاوضات تجرى بين جمهورية الولايات المتحدة الاندونيسية ومملكة الاراضى الواطئة .. أى هولندا » .**

وكان من المعتقد أن تفى هولندا بتعهداتها، وتحافظ على اتفاقية المائدة المستديرة نصا وروحا ، وتنتهى هذه المشكلة فى مدى عام واحد ، بعد تسليم السيادة طبقا لنصوص هذا الاتفاق ، ولكنه مضى عام وعام بل اكثر من عشرة أعوام وهولندا ترفض الدخول فى مفاوضات نص عليها الميثاق ، **بل عمدت الى عزل « ايريان الغربية » عن اندونيسيا الوطن الأم عزلا تاما ، وقامت بتعديل دستورها فى سنة ١٩٥٢ ونصت فيه على أن « ايريان الغربية » جزء لا يتجزأ من الاراضى الهولندية .**

وكان لهذا الاجراء التعسفى أثره السىء فى نفوس الجماهير الاندونيسية داخل ايران ذاتها ، فقاموا بثورة قوية هائلة مستنكرين هذا الاجراء الغاشم وأشعلوا النيران فى محطة الاذاعة الهولندية بالعاصمة «هولنديا» وأحرقوا كل المنشآت الاستعمارية وكبدوا المستعمرين أفدح الخسائر ، ولم يتمكن المستعمر من اخماد هذه الثورة الجامحة الا بعد أن دمرت كل منشئاته وقواعده ، وارتكب فى سبيل اخمادها أبشع الجرائم ، بوحشية قاسية تتنافى مع أبسط المبادىء الانسانية ، مستعملا ما بيده من أسلحة الدمار والفناء ، ولم يكتف بكل هذه الجرائم البشعة فتقدم الى الأمم المتحدة بمشروع يقضى بوضع « ايريان » تحت الوصاية الدولية، وتحويلها الى دولة مصطنعة تسمى «بابوا» لتأتمر بأمره ، وتنفذ سياسته، وتحقق أطماعه ، وتكون قاعدة استعمارية ينفذ فيها خططه الاجرامية ضد الشعب الاندونيسى المسالم ، ولكن الأمم المتحدة وقد تيقظت لما يحمل هذا المشروع من نوايا استعمارية خبيثة – خذلته خذلانا مهينا ، وبذلك تلقت هولندا أعنف صفعة دولية عرفتها فى تاريخها .

ايريان الغربية قطعة من اندونيسيا :

ان الحقائق جميعها تؤكد كل التأكيد أن «ايريان الغربية» جزء لا يتجزأ من الجمهورية الاندونيسية ، فقبل قيام الاستعمار الهولندى كانت ايريان احدى المحافظات الثمانى التى تتكون منها دولة « ماجاباهيت » الاندونيسية ، وكانت ايريان تقع تحت حكم سلطان «تيدور» فى شرق اندونيسيا .. أما فى عهد الاحتلال فكانت جزءا اداريا ضمن جزر الهند الشرقية الهولندية ، بل وفى كل الدساتير الهولندية ودساتير جزر الهند الشرقية الهولندية ، كانت ايريان معترفا بها كجزء من الدولة الاندونيسية .. وزيادة على ذلك فان التجارب الطويلة التى مارسها جميع السكان مع الاستعمار الهولندى ، قد وحدت طرق تفكيرهم ، وطرق أعمالهم ، وشجعت الشعور بالوطنية الاندونيسية على الانطلاق والتحرر.. بل ان وحدة الشعور والكلمة تقويتا بأسس

ويضاف الى كل ذلك أن منطقة ايريان الغربية تدخل فى وحدة اللغة القومية « اللغة الاندونيسية » باعتبارها جزءا من تلك الوحدة اللغوية .. وهناك عامل آخر من أهم هذه العوامل جميعها وهو ماضى الاستعمار المشترك ، فان التجارب التى مرت على جميع السكان الذين كانوا يرزحون تحت سيطرة الاستعمار ، جعلتهم يعتقدون أن الاستعمار لا مكان له بينهم وفى أرضهم ، فعقدوا العزم على طرده من ديارهم وأراضيهم ..

ان حدود الدولة الاندونيسية هى نفس حدود جزر الهند الشرقية الهولندية ، وايريان جزء لا يتجزأ من هذه الجزر الشاسعة ، وان الشعب الاندونيسى لم يفكر اطلاقا فى المطالبة بالاقاليم المجاورة لاندونيسيا مثل شمال « بورينو » أو الجزء الشرقى لجزيرة « تيمور » أو الجزء الشرقى من « ايريان الغربية » ذاتها ، ذلك لأن تلك الاقاليم لم تكن فى يوم ما ضمن جزر الهند الشرقية الهولندية ، التى سميت حديثا باندونيسيا ، ولذلك فان الشعب الاندونيسى لا يطالب الا بتحرير أراضيه التى تحدها هذه الجزر ، والتى منها « ايريان الغربية » وهو مطلب عادل كل العدل .. **ان هولندا نفسها قد اعترفت أكثر من مرة بهذه الحقيقة الواقعة ، وتعهدت للشعب الاندونيسى باستقلال جميع الجزر الاندونيسية بما فى ذلك ايريان الغربية .. وان الحكومة الهولندية قالت فى كثير من المناسبات « بأن الاستقلال الذى تعهدت به هو استقلال لجميع مناطق اندونيسيا ، وليس هناك قصد أو اتجاه بتاتا لاخراج محافظة ايريان الغربية من اقليم جمهورية اندونيسيا » .**

غير أن هولندا تتجاهل كل هذه الحقائق والاعترافات لتطيل مدة استعمارها لتلك الاراضى الغنية بخيراتها ومواردها الطيبة ، ولم يخطر ببالها أن الشعب لن يسكت على هذه الأوضاع الظالمة ، ولن يرضى أن تبقى

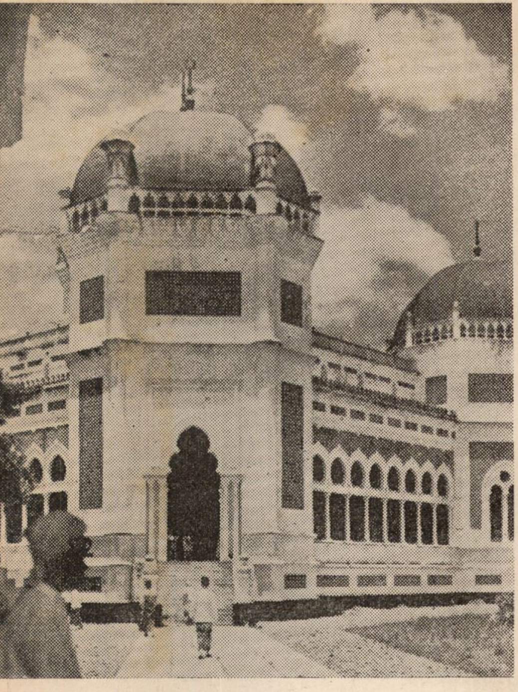

أحد المساجد الرائعة
فى مدينة « ميدان » شمال سومطرة

خيراته نهبا للعصابات الاستعمارية الجشعة ، حتى أفاقت على صفعات الشعب الاندونيسى الثائر ، وصم آذانها هتاف الجماهير الغاضبة مطالبة بالحرية والتحرر ، فأخذت تدافع عن وجودها فى أرض غير أرضها وهى تعلم تماما أن النصر للاحرار مهما طال بهم الزمن .

حقائق حول « ايريان الغربية »

« غينيا الجديدة » هو اللقب الذى أطلقه البرتغاليون على ايريان الغربية فى القرن السابع عشر ، عندما لاحظوا أن سواحلها شبيهة بسواحل مستعمرة « غينيا » التى كانوا قد اكتشفوها قبل ذلك على الشاطىء الغربى لافريقيا ، وقد استقلت الآن ، وأصبحت جمهورية مستقلة يرأسها أحمد

سيكوتورى ، أما تسمية « ايريان الغربية » فهى تسمية اندونيسية بحتة ، وهى تقع فى الشرق الاقصى بالنسبة لجميع الجزر الاندونيسية ، وتقع فى شمال استراليا ، وشمال شرقى جاوة ، وتعتبر أكبر جزيرة فى العالم بعد جزيرة « جرنيلاند » التى تقع بين امريكا وأوروبا من أملاك الدانمارك ، ومساحة ايريان كلها (شرقيها وغربها) تبلغ ٨٠٠ر٠٠٠ كيلو متر ، أما الجزء الغربى المتنازع عليه فتبلغ مساحته ٤١٦ر٠٠٠ كيلو متر مربع ، وهو يعادل مساحة هولندا ذاتها ١٣ مرة ، وهذا يفسر لنا سر تمسك هولندا بايريان الغربية ، وتصميمها على البقاء فيها، وتجاورها عدة جزر صغيرة تحتلها هولندا مساحتها ٢٦ر٠٠٠ كيلو متر مربع .. أما عدد سكانها فيقرب من المليون نسمة وعاصمتها «هولنديا» وهو اسم استعمارى ،ومن المؤكد أنه ستحول الى اسم وطنى بعد عودتها الى اندونيسيا .. وايريان الغربية احدى الجزر الاندونيسية الهامة التى يبلغ تعدادها ٣٠٠٠ جزيرة .. أما القسم الشرقى من ايريان ، فتحتل استراليا نصفه الجنوبى ، أما النصف الشمالى فكانت تحتله المانيا ، فلما كان عام ١٩١٨ فرضت استراليا وصايتها على هذا الجزء خلفا لالمانيا ، وايريان تمثل على الخريطة طائرا هائلا ذا رأس كبير ، وفم مفتوح كأنه يتجه الى اندونيسيا فى شوق ولهفة ، وكأنه يطالب بالانضمام الى اندونيسيا الوطن الام ، وهى لذلك يطلقون عليها جزيرة الطيور ، ويقولون انها تحوى ٦٥٠ نوعا من الطيور الطريفة الوجيهة ، التى لا يوجد بعضها فى أى مكان آخر من العالم .. ان ايريان الغربية بلد الطبيعة الساحرة ، والجمال الفاتن ، والكنوز الثمينة، ستنعم بتحررها وانضمامها الى اندونيسيا العظيمة والوطن الأم .

سر تمسك هولندا بايريان الغربية :

بعد أن عرفنا الوضع السياسى لايريان الغربية ، وما مر بها من تطورات خطيرة جعلت منها قضية حيوية هامة ، لايفوتنا ان نذكر للقارىء الأسباب التى جعلت هولاندا تتمسك بهذه الجزيرة . وأهمها :

- اكتشاف البترول بكميات هائلة ١٩٣٥
- أراضيها البكر تحتضن الذهب والاورانيوم والنيكل وكوبالت وبوكسايت
- وغاباتها الكثيفة الشاسعة غنية بالاخشاب،
- يوجد بها المطاط بكميات كبيرة .
- **وسواحلها الجميلة غنية باللآلىء القيمة النادر**
- **ومساحتها الشاسعة التى تبلغ اضعاف** مساحة هولندا يمكن أن تكون هجرة للرعايا الهولنديين فرارا من اراضيها الضيقة الخانقة
- وهناك بجانب هذا سبب آخر فى بقاء الاستعمار فى هذه الجزيرة وهو الطموح السياسى ، فهولندا فى ايريان الغربية تستطيع الاشتراك فى تشكيل قوة سياسية فى الاجزاء النائية من العالم ، كأن يكون لها مركز ممتاز فى خطوط دفاع منظمة « سياتو » وفى منطقة خطوط دفاع الباسفيك وبذلك يكون لها صوت فى تقرير السياسة فى آسيا والباسفيك
- اما الكنائس فلها مآرب عديدة من وراء هذا الاستعمار ، اهمها جعل ايريان حقلا طيبا لنشر تعاليمها التعصبية المغرضة ، التى تهدف الى اشاعة خرافات دنيئة ، والصاقها بالدين الاسلامى الحنيف ، لتبعد أهالى الجزيرة عن الشريعة الاسلامية بعدا تاما ، **ولتمتد هذه الموجة من الحرب العقائدية من جزيرة ايريان الى بقية الجزر الاندونيسية ، فتستطيع القضاء على الدين الاسلامى بين شعب يمثل المسلمون فيه أكثر من ٩٠ ٪ من جميع السكان** ، وبذلك يرتكب الاستعمار الهولندى أبشع جريمة عقائدية فى حق الاسلام والمسلمين، ولقد نجح فى هذه السياسة الى أبعد حد ، وأصبح سكان ايريان مسلمو الامس القريب ولا يوجد بينهم من يعرف الدين الاسلامى على حقيقته ، بل ولا يوجد هناك اسلام على الاطلاق ، الا ما لصقه هؤلاء المبشرون من تعاريف مبتورة ، وحقائق مشوهة وافكار مخيفة ، ومبادىء مزعجة بديننا الاسلامى الحنيف .

سياسة هولندا فى ايريان الغربية :

ان الاستعمار الهولندى يرتكب أبشع الجرائم فى حق سكان ايريان الغربية .. ان معظم الاهالى يعيشون عيشة بدائية شبيهة

بحياة الانسان الاول .. وان صلتهم بالعالم كله مقطوعة تماما .. ونتيجة لهذا فهم متخلفون عن ركب الحضارة الانسانية آلاف السنين .. وما زال الجزء الاكبر من هذه الجزيرة حتى الآن يشتمل على مستنقعات شاسعة ، تتولد منها الأمراض والأوبئة والجراثيم ، وتنتشر منها حمى « الملاريا » الى جميع أنحاء الجزيرة بصورة مخيفة جدا ، ونتيجة لهذا فان شعب ايريان يعيش فى جو من الامراض الفتاكة ، والاوبئة المبيدة ، ولم يحاول المستعمر حتى الآن أن يصلح هذه المستنقعات حرصا على سلامة السكان ، وتمشيا مع أبسط المبادىء الانسانية ، بل انه أقدم على أحط مشروع نفذ فى هذه المستنقعات ، يدل على نذالة المستعمرين ، وانحاط أساليبهم الاجرامية فى معاملة أهالى المستعمرات التى تحت أيديهم ، فقد انشأ فى وسطها معتقلا لنفى وتعذيب زعماء الحركات التحررية فى اندونيسيا ، وكان ممن نفى فى هذا المعتقل الرئيس سوكارنو ونائبه محمد حتى وغيرهم من الزعماء والقادة ، غير ان هؤلاء الزعماء تمكنوا بدافع من وطنيهم المتدفقة أن ينشروا الدعوة الى تحرير الجزيرة بين السكان من وراء جدران هذا المعتقل البغيض ، وهكذا تحول المعتقل الى خلية ثورية نابضة بالحياة والقوة .. أقضت مضاجع المستعمرين ، وزلزلت الارض من تحت اقدامهم الهزيلة ..

وأصرت هولندا على سياستها الاجرامية فى « ايريان » ، فلم تبذل أقل مجهود فى الحقل الصحى ، وكانت النتيجة أن انتشرت الامراض الاستوائية وغيرها من الامراض الخبيثة بين السكان ، ولم تحاول السلطات الاستعمارية أن تقدم لهم العلاج الواقى ، ولم تمكنهم من الحصول على الادوية الحديثة لمقاومة هذه الامراض المستأصلة ، وهذا يؤكد أن الاستعمار الهولندى يهدف الى تحويل الشعب كله الى كتل مجسمة من الامراض والاوبئة .. غير أن بعض الاحرار من الرعايا الهولنديين الذين شاهدوا بأنفسهم مدى ما وصلت اليه الحالة الصحية فى « ايريان » من سوء وانهيار أفزعتهم هذه الحالة السيئة ، فجندوا أقلامهم فى مهاجمة السياسة الاستعمارية فى الجزيرة والتشنيع عليها ، واظهار أخطائها الشنيعة فى ادارتها ، ومن هؤلاء الكتاب « فان ايكود » وكان مقيما هولنديا فى ايريان ، فقد الف كتابا قيما هاجم فيه حكومته ، وندد بسياستها الاستعمارية داخل « ايريان » وكان مما قاله **« ان الحكومة الهولندية لا تقوم بأى مجهود لرفع مستوى الجزيرة وسكانها »** .

الارساليات التبشيرية :

لقد عمد الاستعمار الى عزل ايريان الغربية عن اندونيسيا الوطن الأم عزلا تاما ، بل عزلها عن العالم الخارجى كله ، وقطع صلتها بكل ما هو حضارة وتقدم، وحرم على الاندونيسيين — وخاصة علماء المسلمين — دخول هذه الجزيرة ، خوفا من انتشار الرسالة الاسلامية التى تدعو الى تحرير الفرد من العبودية والاستغلال ، وتنشد للانسانية العزة والكرامة ، وتحارب استغلال الانسان لأخيه الانسان .. وهى بذلك ترمى الى عزل السكان عن الدعوة الاسلامية عزلا تاما ، **وتأكيدا لهذه السياسة الفاشمة أمدت ايريان بالارساليات التبشيرية المغرضة ، وساعدتها على القيام بنشاطها التبشيرى على أوسع نطاق ، فأخذت تقدم للسكان صورا مشوهة عن الدين الاسلامى الحنيف وتنسب الى هذا الدين المصفى كل بدعة وخرافة لا يقرها عقل ، ولا تقبلها طبيعة ، وتصور الرسول الامين على انه رجل جنسى كل همه اللذة والنساء ، وأن حياة المسلمين دائرة بين زواج متجدد وطلاق متعدد ، وأن المسلمين يغتصبون زوجات بعضهم** .. الى آخر هذه الخرافات التى يبرأ منها الدين الاسلامى الذى أنزله الله لسعادة البشر أجمعين ، ولتنظيم حياتهم وعلاقاتهم مع أنفسهم وبعضهم بعضا ، وتطهير النفوس من الشوائب ، والارتفاع بها الى عالم روحى بديع ، **وعلى أساس هذه الخرافات وأمثالها أنشأت الارساليات التبشيرية ٤٩٩ مدرسة تبشيرية مغرضة ، مهمتها الصاق التهم والاكاذيب بالدين الاسلامى ، وتصويره لهم بمختلف الصور البغيضة التى تمجها النفس، ويانفها الطبع** .. واصبح الشعب يئن تحت نشاط هذه الارساليات الهدامة ، ويحلم

باليوم الذى يتمكن فيه من سحق المستعمر والقضاء على ارسالياته واساليبها الوحشية التى تتنافى مع معتقداته، متطلعا الى اندونيسيا الوطن الأم، لتحرره من هذه الطغمة الاستعمارية، متجها بشعوره ووجدانه نحو العالم الاسلامى ليطهره من ارجاس هذه الارساليات التبشيرية المغرضة الهدامة، التى تهدف الى تشويه الحقائق عن العقيدة الاسلامية الراقية ..

ان الادارة الهولندية لم تفكر اطلاقا فى تثقيف هذا الشعب او رفع مستواه، والدليل على ذلك أنها انشأت طيلة مدة حكمها ست مدارس فقط لتثقيف مليون مواطن، أو لعل الغرض من انشائها هو تعليم ابناء الهولنديين المقيمين فى ايريان، فقد وضع المخطط الاستعمارى على أن يظل الشعب فى جهل مطبق، لا يعرف غير الخرافات، والحقائق المشوهة، ليسهل قيادته، ولا يفكر فى الثورة والتمرد.

موقف اندونيسيا من قضية ايريان الغربية :

لقد حاولت اندونيسيا حل هذه القضية حلا سلميا، تمشيا مع روح ميثاق المائدة المستديرة، الذى تم الاتفاق عليه فى «لاهاى» عام ١٩٤٩ بينما كانت تحاول هولندا الافلات من أى حل سلمى، قصدا الى ابقاء الجزيرة تحت سيطرتها، وكان من المنتظر أن تنتهى هذه القضية فى مدى عام واحد بعد اتفاق المائدة المستديرة مباشرة، ولكن المستعمر على عادته أخذ فى التسويف والمماطلة لكسب الوقت، كى يتمتع بموارد البلاد وخيراتها الكثيرة .. واستنفدت اندونيسيا كل الطرق السلمية، فى استعادة ايريان، ثم لجأت الى الامم المتحدة أكثر من مرة لتساعدها فى حل هذه المشكلة، غير أن هولندا وحلفاءها «حلف جنوب شرقى آسيا» رفضت أن تتخلى عن الجزيرة، ثم قامت بعدة اجراءات تعسفية : **فأعلنت عن انشاء دولة « بابوا » فى ايريان الغربية، لتكون عجينة طيعة فى يدها، وركيزة استعمارية فى الشرق الاقصى، تأتمر بأمرها، وتنفذ سياستها الاستعمارية .. تماما كما فعلت السياسة الاستعمارية فى أرض فلسطين، حين انشأت دولة الصهاينة لتكون ركيزة الاستعمار فى الشرق الاوسط** .. عندئذ صممت اندونيسيا أن تأخذ حقها بيدها، وتباشر سلطاتها على أغلى جزء من أراضيها بالقوة والعنف.

الترتيبات الفعلية لحرب التحرير :

بدأت هذه الترتيبات عام ١٩٥٦ حين أنشأت الحكومة الاندونيسية داخلها قسما اداريا جديدا، يهدف الى رعاية الجهود التى تبذلها الدولة لتحرير ايريان الغربية .. وفى شهر أغسطس عام ١٩٦٠ قامت اندونيسيا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع هولندا .. ثم فاجأ الرئيس سوكارنو الحكومة الهولندية باعلانه عن شراء صفقة هائلة من الاسلحة الحديثة من الاتحاد السوفييتى، وذلك لما تأكد أن الاستعمار يعتمد فى حربه مع اندونيسيا على استعمال أسلحة حلف الاطلنطى، وكانت هذه الصفقة أخطر ضربة وجهتها الحكومة الاندونيسية للاستعمار، حيث كانت كافية لتمكين أندونيسيا من التفوق على أسلحة الحلفاء تفوقا ملموسا .. ثم تطورت الحوادث على هذا الشكل :

- أخذت هولندا تعزز قواتها فى ايريان الغربية، وتمكن الغرب من التأثير على الامم المتحدة كى لا تتخذ قرارا يحسم الخلاف بين الطرفين.

- حاولت كل من أمريكا وبريطانيا واستراليا الضغط على أندونيسيا، ولوحوا بالتدخل بحجة حفظ السلام العالمى.

- لم تتأثر أندونيسيا بكل هذا التهديد والضغط الاستعمارى وأعلنت التعبئة العامة، ثم ألفت هيئة خاصة لادارة الاعمال الحربية لحرب ايريان.

- وفى داخل ايريان نفسها اشتدت الثورة وتجمع الثوار وكان عددهم خمسة آلاف ثائر يمثلون السكان الحقيقيين **وأعلن زعماء هذه الثورة أن فرق المقاومة قد استولت على ست من القرى خلال هجوم قاموا به على معاقل الاستعمار، وأعلنوا أنهم قد استولوا على اسلحة حديثة من مستودعات ذخيرة الهولنديين.**

● عززت أندونيسيا الثورة الشعبية فى فى ايريان بارسال الفدائيين عن طريق الجو .. وبتعاون هؤلاء الفدائيين مع الثوار ، استطاعوا ان يكتسحوا قوات المستعمر من طريقهم ، وتمكنوا من الاستيلاء على عدة قرى ومواقع هامة .

● اخذ الفدائيون يتعقبون المستعمر فى كل مكان ، ويستولون على بعض المواقع الهامة حتى هددوا عاصمة ايريان ذاتها ، وضربوا حولها حصارا محكما ، بعد أن استولوا على جميع القرى المجاورة لهذه العاصمة «هولنديا» من كل ناحية .

● ازاء هذه الضربات القوية العنيفة قامت السلطات الهولندية باعلان الاحكام العرفية فى الجزيرة ، واعتقلت عددا كبيرا من الاهالى بتهمة التحريض على الثورة والتعاون مع الفدائيين ، ثم أصدرت أوامرها بسحب الاسلحة النارية من جميع السكان وفرضت حظر التجول .

● رغم كل هذه الاوامر الصارمة ، والاحكام القاسية لم تهدأ ثورة الشعب دقيقة واحدة، **وأفاقت هولندا على هذه اللطمات القاسية العنيفة ، وتنبهت لما تتكبده من خسائر فادحة فى السلاح والاموال والارواح ، وأدركت أن هذا المارد العملاق الذى انطلق من قمقمه الاستعمارى فى قوة وصرامة وعنف ، أدركت أنه سيحطمها ويقضى عليها لا محالة ، وأنها عاجزة عجزا تاما عن اعادته الى القمقم من جديد ، واحكام الغطاء عليه ..** وادركت أيضا أن القضية بينها وبين هذا المارد العملاق قضية حياة أو موت .. قضية حرية وتحرر .. قضية طلاقة وانطلاق ، فرأت أنه من الافضل أن تفسح له الطريق ، ليأخذ مكانه فى ركب الحياة الحرة الكريمة ، ليتسلم زمام أموره بنفسه ، ليستغل أرضه ويتمتع بكنوزها .. فأعلنت انها تريد الدخول فى مفاوضات مع أندونيسيا على أساس التسليم بوجهة نظر الحكومة الاندونيسية ، وهى نقل السيادة الكاملة على ايريان الغربية لجمهورية الولايات المتحدة الاندونيسية ، **ولم يكن أمام المسئولين فى أندونيسيا وهم يهدفون أول ما يهدفون الى السلام والسلم الا أن يقبلوا هذا العرض ، ويدخلوا مع هولندا فى هذه المفاوضات .**

ثم أعلن الرئيس سوكارنو فى ١٧ يوليو عام ١٩٦٢ تأليف وفد المباحثات ، ويتكون من أربعة أفراد برئاسة الدكتور سوباندريو وزير الخارجية الاندونيسى ، وفى نفس هذا الشهر أعلنت الامم المتحدة رسميا أن هولندا واندونيسيا قد استأنفتا محادثاتهما فى « واشنطون » لتسوية نزاع ايريان الغربية ، وأخذت هذه المحادثات تتجه اتجاها مرضيا ، بفضل الجهود الكبيرة التى بذلها السكرتير العام للامم المتحدة ، الذى اشرف بنفسه على سيرها ، وحرص الحرص كله على نجاحها ، وكما تعتبر الاتفاقية المبرمة بين الطرفين نصرا لاندونيسيا ، تعتبر فى نفس الوقت نصرا وشرفا للسكرتير العام .

مصر واندونيسيا :

ان العلاقة الثورية المتحررة كانت — دائما — الرباط الوثيق بين شعبى اندونيسيا والجمهورية العربية المتحدة .. فعندما قامت ثورة الشعب الاندونيسى ، وطرد المستعمر من أراضيه ، وباشر سيادته الكاملة على جميع الجزر الاندونيسية ، وتوج أعماله الثورية الجليلة باعلان الجمهورية عام ١٩٤٥ كان الشعب المصرى الثائر فى مقدمة الشعوب التى اعترفت بهذه الجمهورية الوليدة الثائرة .. وعندما قامت ثورة الشعب العربى فى مصر عام ١٩٥٢ كانت أندونيسيا الثائرة الحرة فى مقدمة المباركين لهذه الثورة الابية .. **وقد التقت مصر باندونيسيا وجها لوجه ، لقاء الاخوة والصداقة فى مؤتمر « باندونج » الذى عقد فى مدينة باندونج احدى المدن الاندونيسية ، وفى هذا المؤتمر العالمى اتخذت قرارات الامن والسلام وتصفية الاستعمار فى كل مكان ، وتبلورت فيه بوضوح شخصية الدول الاعضاء التى اختارت فيه سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وقد كان الرئيس جمال عبد الناصر أول من تبنى هذه الدعوة التحررية ، ونادى بها فى هذا المؤتمر التاريخى ، وحمل لواءها ، ولم يلبث أن**

انضوى تحت هذا اللواء النبيل دول المؤتمر جميعها ، نظرا لما تحمله هذه الدعوة من مبادىء انسانية سامية .. حتى اذا كان عام ١٩٥٦ وقفت مصر الثائرة الابية لتصد عدوان ثلاث دول استعمارية ، وناضلت فى سبيل ذلك نضال الابطال ، كان الشعب الاندونيسى يستنكر هذا الاعتداء الغادر ، فأعلن تأييده المطلق للشعب العربى فى مصر ، وقام بتنظيم مظاهرات شعبية ضخمة ، وعقد اجتماعات عامة متعددة ، القيت فيها الخطب الحماسية التى تؤيد الشعب العربى فى بور سعيد ، موضحا فيها ادانة العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى ، ولم يكتف الشعب الاندونيسى الثائر بذلك ، بل ذهب بجميع تنظيماته التى تغلى كالبركان المدمر الى حيث السفارة البريطانية ، مرددا الهتاف بسقوط بريطانيا العجوز ، ركيزة الاستعمار فى العالم ، وسقوط الاعتداء الغاشم على شعب بور سعيد الباسل ، وبحياة الشعب العربى المكافح المناضل ، ثم انطلقت هذه الجماهير الغاضبة الثائرة ، وفى احدى أيديها معاول الهدم وفى الاخرى مشاعل الثورة ، واتجهت صوب السفارة ولم تغادرها حتى كان المبنى شعلة من النار المتوهجة .. وأصبحت السفارة البريطانية فى « جاكارتا » أكواما من الاحجار السوداء القاتمة ، تنبعث منها رائحة الحريق المدمر ، واطلالا مخربة تبعث فى النفس الحزن والكآبة ، كأنها تعلن نهاية الظالمين المعتدين ..

وهكذا أثبت شعب اندونيسيا الثائر الحر تضامنه القوى الاكيد مع الشعب العربى فى مصر ، وقام بدور فعال فى معركة السويس الباسلة .. وعلى مسرح الامم المتحدة تؤيد القاهرة حق اندونيسيا فى « ايريان الغربية » وتستنكر بكل شدة السياسة الاستعمارية الغاشمة فى هذه الجزيرة الطيبة ، بينما تقف اندونيسيا موقفا نبيلا ليس بالنسبة للقاهرة وحدها ، وانما بالنسبة للشعب العربى فى كل مكان ، حيث تؤيد - بلا تحفظ - حق شعب فلسطين فى العودة الى أراضيه ، واعادة حقوقه المغصوبة ، وتستنكر بكل شدة السياسة الاستعمارية المساندة لدولة الصهاينة فى فلسطين المحتلة ..

ان العلاقة بين الشعب الاندونيسى والشعب العربى فى مصر علاقة المودة والاخاء .. علاقة الثورة والتحرر .. علاقة العقيدة السمحة النقية .. العقيدة الاسلامية الحنيفة

وبعد ..

فان معالم الطريق واضحة .. طريق التحرير والحرية .. طريق المجد والكرامة ، طريق التحرر من الاستعمار والاقطاع .. لقد عرفت الشعوب طريقها .. وصممت أن تسير فيه حتى النهاية .. ولن يثنيها عن عزمها عواء الكلاب على جانبى الطريق .. ولن يعرقل سعيها - نحو الحرية - عقبات المستعمرين الغاصبين .. فان الاستعمار بدأ ينهار فى كل مكان .. أمام انتفاضة الشعوب الواعية .. امام ثورات العمالقة الذين قيدهم بالحديد .. وعذبهم بالنار .. ليمنع انطلاقهم المتحرر .. وليؤجل زحفهم المقدس .. وليعطل اندفاعهم الصاعد .. فيظلوا تحت رحمته .. يتمتع بخيراتهم .. ويمتص دماءهم .. ويغتصب مواردهم .. غير أن الشعوب كلها قد اكتشفت أساليبه وألاعيبه . فعملت على شلها .. وتمكنت من اخمادها .. من أجل ذلك ستنتصر كل هذه الشعوب بوعيها المتيقظ .. وسينتصر الشعب الاندونيسى فى « ايريان الغربية » .. والشعب العربى فى فلسطين العربية .. وجميع الشعوب المستعمرة المغلوبة على أمرها .. كما انتصر شعب الجزائر الحرة المكافحة .. فان الحرية لازمة للشعوب لزوم الماء للظمآن .

دينكسون . د . ى
الذى أصبح
محمد عبد الله

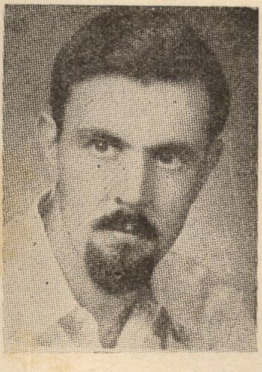

مع كل يوم يشرق صباحه ، نجد أن نور الاسلام ـ ذلك النور الذى يعم الدنيا ـ يدخل الى القلوب ، فينيرها ، ينيرها بنور الهداية ، والايمان . ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . وفى هذا العدد يحدثنا الأخ محمد عبد الله ، عن قصة ايمانه بنور الاسلام .. يحدثنا عن تحوله بين عشـية وضحاهـا الى شاب يصلى ويصوم ، يعبد الله حق عبادته فيقول :

« عاشرت أناسا من العرب المسلمين فوجدت من أخلاقهم وطبائعهم ما جعلنى أحاول أن أدرس ذلك الدين الذى يدينـون به . لأنى لمست من أهم صفاتهم التسامح ، والصدق ، والأمانة ، وكنت لا ألم باللغة العربية ، فأخذت أدرسها ، حتى تمكنت فى خلال عامين من تعلم هـذه اللغة .. ثم بدأت بتعلم الديانة الاسلامية .. وأخذت أقرأ الكتب وأستوعبها ، وكنت كلما أزداد فى القراءة كلما أجد نفسى منجذبا نحو

هذا الدين ٠ مقتنعا بما جاء فيه ٠٠ لقد قرأت المسيحية كثيرا ، ولكنى كنت دائما أشــك فيها ، فتارة أجد نفسى غير مقتنع بمـا يدور فيها من خيالات ، وتارة أجدنى غير مصدق ، لما جاء فيها ٠٠ ولما قرأت الاســلام ، قارنت بينه وبين المسيحية ، كيف أن الله سبحانه وتعالى واحد ٠ فرد صمد ؟ ، فعنـدما أقرأ قل هو الله أحد ٠ الله الصـمد ٠ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٠ وأجـد أن فى المسيحية أو الانجيل قول يقول : ان المسيح ابن الله ، اجد نفسى مقتنعا اقتناعا كليا بعظمة القرآن وصدقه وخلوده حيث يقول أن الـلـه واحد٠ لا ولد له٠ فاقناع القرآن اقناع لايقبل الجدل بوحدانية الله سبحانه وتعالى ٠ لأنـك تجد فيه البرهان على وحدانيته جـل وعلا ٠٠ أما فى المسيحية فلم أجد فيها ذلك الدليـل القاطع الذى يقنعنى بوحدانية الله وعـدم الشرك به ٠ حاشا أن يكون له ولد ٠

وليس هذا فقط هو الذى جـذبنى الى الاسلام ، بل ان هنـاك أمورا أخرى جعلتنى أعتنق هذا الدين الجديد ، منها ان الاسلام دائما يدعو الى الاخاء والمحبة والصفاء والسلام والأمانة والصدق والطهارة وينهى عن الفحشاء والمنكر ٠

لكل هذه المعانى الســامية والبراهين الواضحة والحجج القاطعة انقدت الى الاسلام ٠ وصـممت على اشهار اسـلامى ٠٠ ولكنى وجدت معارضة شديدة من أهلى خصوصـا وأنا أنتمى الى أسرة عريقة فى المسيحية ٠٠ فهاجرت من انجلترا الى العراق ٠٠ وهنـاك أشهرت اسلامى وأطلقت على نفسى اسـم **محمد عبد الله ٠٠ تيمنا برسول الانسانيـة ونبى الهداية محمد بن عبد الله ٠**

وحينما أسلمت وجدت أننى اخترت الطريق الصحيح ، وأحسست وأنا أنطق بالشهادتين أننى ولدت من جديد ، وارتاح قلبى واطمئن فؤادى ، وداومت على أداء شعائر الاسلام من صلاة وصيام وزكاة ٠٠ وكنت أشعر وأنا أقف بين يدى الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعظمة الله وقدرته فأجدنى أخر ساجدا باكيا نادما على ما فاتنى من عمر طويل فى كفر وضلالة ٠

هذه هى قصة ايمان شاب عاش فى الظلام وأخيرا رأى نورا فمشى نحوه وسار اليه ٠٠ تدفعه عقيدته الجديدة وايمانه العميـق ٠٠ وأخيرا هداه النور الى حظيرة لا اله الا الله ، محمد رسول الله ٠

دموع على المحراب

الشاعر عبد الله شمس الدين

ثَقُـــل العِبءُ يا إلهى عَلَيَّا — وتهـاوتْ عـزيمتى من يديا

أَنا عَـبْدٌ ، وليس للعبْدِ حوْلٌ — ومِنَ الضَّعف قدْ بلغْتُ عِتِيَّـا

أَنتَ أَدرى بما أُعانى من الضعف — ولم أَدَّخِـرْ من الجهــد شيَّـا

غيــر أَنى إلى حنــانكِ أَهفو — إننى من عطـائك الجمِّ أَحيـا

لا تدعْنى . . . فقد وَهَى العزم منى — وتراءَى الرجاءُ وهْمًا قصِيَّـا

يا إلهى . وما لعبــدك إلاَّك — فخـذنى إلى حمـاك رضيَّـا

كلُّ باب لدىَّ قد سُدَّ . إلاَّ — بابك الرحب . . . لم يسدَّ لديا

أَنتَ عودْتنى على الفضــل دوْمًا — فَدع الفضل منك دوْمًا إِليَّـا

إِن كلَّ الأَنام حولى ســرابٌ — ليس إلاَّك مُنعِمًـا وسخِيَّـا

يا إِلهى . . وسيّدى . . . ونصيرى — أَنتَ جاهى : فكُنْ لقلبى وليَّا

يا بصيرا . لأَنتَ مُبْصِرُ حالى — وعليمًا بكلِّ ما شئتَ فيَّـا

ولكِ القــدرةُ الكبيرة يا ربى — فَهَوِّنْ بهــا الحيــاةَ علَيَّـا

قصة العدد

يا ربّ

تأليف

الأستاذ عبد الحميد النخيلى

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

قرآن كريم

طالما صعد عبدالتواب الى المئذنة قبيل وقت الأذان ، ليناجى ربه بالدعاءوالتسبيح ،ويردد ـ وما أحلاها من فمه ـ كلمة ٠٠ يارب ٠

وكان المؤذن يسر حين يستأذنه صديقه عبد التواب ، لأداء الأذان بدله ٠٠ فقد كان هذا ذى الصوت حلو النغمة ٠

وذات ليلة تأخر عبدالتواب على غير عادته فلم يحضر الى المسجد الا حين أقيمت الصلاة ٠٠ فعجب المؤذن الذى اعتاد أن يحضر فيجده ـ ولا سيما فى الفجر ـ على باب المسجد ينتظره ، فيلقى عليه تحية الصبح المرتقب ٠ ويدخلان المسجد سويا ٠٠

ولما انتهت الصلاة ، نهض عبدالتواب موليا وجهه نحو الباب ، وانطلق دون أن يتحدث الى أحد ٠٠ وسار فى طريقه ذاهلا ، فحملته قدماه الى حقل صغير يملكه ٠٠ فوقف على رأس الحقل ساهما ينظر الى الأفق فى شرود٠

كان ذهنه مشغولا بمحروس ٠٠ ابنه الصغير الذى رزقه بعد انتظار طويل ٠٠ ان زوجته منذ يومين تلح عليه أن يأخذه الى

الطبيب .. تطالبه بذلك وفى عينيها ضراعة وفى صوتها ألم ٠٠ وماتفتأ تذكره بالخوف من أن يموت محروس ٠٠ وحين يخطر اسم الموت على قلب عبد التواب منسوبا الى محروس ينتفض كيانه ، ويحس كأن قبضة من حديد اعتصرت فؤاده ٠٠ فان حياته هو فى نظره لا توزن بشىء اذا ما قيست بحياة محروس !

ولكن ٠٠ من أين يأتى بأجر الطبيب وثمن الدواء وهو الذى يعيش عيش الكفاف، على غلة هذه القراريط القليلة ، التى يوليها كل عنايته واهتمامه ، ويبذل فى خدمتها كل جهده ووقته ٠٠ ومع كل هذا لا تكاد تنتج – بضآلة مساحتها – الا ما يكفى حاجة المعدة ؟

وفى هذه الليلة اشتدت العلةعلى محروس وبات بصوته الرقيق يئن ٠٠ !

وذهل عبد التواب عن موعد خروجه المبكر الى الصلاة ٠ ٠ثم هاهو ذا يقف شارد اللب الى جوار حقله الذى راحت أعواد القمح فيه تتمايل فى تراخ ، وكأنها تستحى من قلة عددها الى جانب مايحيط بها من حقول واسعة تمتد فيها ساحات القمح الى مسافات شاسعة طويلة ، فراحت أعوادها تتراقص فى نشوة فخورة بما أوتيت من كثرة العدد واتساع الرقعة ٠

وبينما هو غارق فى تفكيره مر به سعفان ٠٠ جاره فى المنزل ، وهو من لصوص الليل ، وأصحاب السطوة بين أهل الظلام ٠٠ وكان عائدا من احدى مغامراته٠٠فجاذبه الحديث ، واستطاع ان يستشف حاجته الملحة الى المال٠

وبدا لسعفان أن يستفيد من ظرف عبد التواب ، فابدى أسفه لحاله ، وأخذ – وهو يعلم تمسكه بدينه – يستدرجه ، ويحاول جذبه الى مايريد بكلام ملتو وتلميح ملفوف

وكان عبد التواب يستمع ساكنا لا يبدى اعتراضا ٠٠ فظن سعفان أنه على استعداد للقبول ، فاسفر عن غرضه ، وقال فى وضوح ياعبد التواب ٠٠ أنت رجل فقير ، وابنك مريض ٠٠ وفى حاجة الى طبيب ودواء ٠٠وكل هذا أكفله لك ٠٠ وسوف أجعل المال يجرى فى يديك ٠٠ ولا أكلفك نظير هذا الا باخفاء المسروقات التى أحصل عليها أنا وأعوانى فى بيتك ٠٠ أنت رجل حسن السمعة ، لاتتجه أنظار الشرطة اليك ٠

وظن سعفان أنه ظافر بما أراد ٠٠ ولكن كلماته الأخيرة كانت بمثابة خنجر حاد طعن عبد التواب فى طبيعته كرجل تقى ٠٠ فاذا به ينتفض كمن لدغته عقرب ، ويصيح فى وجه سعفان غاضبا ، ويهم بصفعه ٠٠ بيد أن هذا يتصدى له قائلا : اهدأ ياعبد التواب ٠٠ أنت تعرف من أنا ٠٠ فى استطاعتى أن أرد لك الصفعة صفعتين ٠٠ ولكنى لن افعل ٠٠ فأنا ما زلت على أمل أن تلين ، وتقبل ما عرضت عليك

ومشى سعفان ٠٠ وبعد خطوات التفت خلفه وثبت عينيه فى وجه عبد التواب ، وقال مغريا : ان أردت ان يعيش محروس ٠٠ فأنا فى انتظارك ، وانطلق بعيدا ٠٠ وظل عبد التواب واقفا يتابعه بنظراته ، حتى توارى عند حقل قريب ٠

ولم يذهب أثر كلام سعفان من نفس عبد التواب سريعا ٠٠٠ بل مكث معه طول النهار، واستمر معه حتى عاد فى المساء الى البيت ٠٠ وحين أسلم رأسه للوسادة كانت صورة سعفان تتراءى أمام عينيه ٠

وجد عبد التواب نفسه يخرج من بيته مدفوعا بالرغبة فى حياة محروس ٠٠ ويمشى مستترا بالظلام الى بيت جاره سعفان ٠٠ وتم الاتفاق بينهما ٠٠ وتردد الطبيب على بيته ٠٠ وفرح حين رأى ابنه أضحى سليما معافى ٠٠ وأعجبه انتفاخ جيبه بالمال ، وتلذذ برنين القروش ٠٠ ولكن لم يمنعه ذلك من التردد على المسجد كعادته ٠

وحسب عبد التواب أن أمره مستور ٠ وسره لم يكشف ٠٠ وذات يوم كان يقف الى جوار المؤذن فى الصلاة ٠٠ وبعد الفراغ منها مد يده الى المؤذن مصافحا ، وهم بالنهوض ،

فتشبث المؤذن بيده ، فنظر اليه فى استغراب .. فمال المؤذن نحوه ، وقال فى صوت خفيض : أود ألا يكون مافهمته عمايجرى تحت ستار الليل صحيح ، فاجفل عبد التواب .. ثم تمالك نفسه ، وتظاهر بعدم الفهم ، وأجاب : ماذا تقصد ؟ فارسل المؤذن زفرة .. ثم أطلق يده ، وقال له : قم بنا نصلى السنة .. ثم نتحدث .

وبعد الصلاة جلس الاثنان الى جانب المحراب .. ومضى المؤذن يقول : بحكم حضورى الى المسجد لصلاة الفجر ، قبل حلول الوقت بزمن قد يطول أحيانا كما تعرف ، لاحظت قدوم بعض الاشرار الى بيتك على شكل مريب .. وقرنت هذا بماظهر عليك فجأة من مظاهر الغنى ، فخشيت أن يكون فى الأمر شىء ، فأردت اسداء النصح اليك قبل أن ينكشف أمرك .. وحين تنكشف لن تضار أنت وحدك بل تضيع ثقة الناس برواد المسجد ، وتضعف فى نفوسهم بالتالى قيمة الدين !

سكت عبد التواب .. لم تنبس شفتاه .. وأجابت عيناه بالدموع تتساقط على خديه .. وحاول أن يكفكفها ، فابتسم المؤذن فى وجهه وربت كتفه فى حنان ، وقال : دع عينيك تبكى .. فان دموع الندم تزيل أدران النفوس .

واستمر عبد التواب يبكى .. ثم طلب من المؤذن أن يدله على الطريق ، فأشار عليه برد المسروقات التى عنده الى أصحابها ، والامتناع عن قبول غيرها .. أما مامضى فهو متروك لله .. والله يغفر ذنوب التائبين ..

نشط عبد التواب فى رد المسروقات الى أصحابها الذين كان يعرف من اللصوص منازلهم .. وقضى طول اليوم فى مهمته .. ورآه سعفان فحاول اثناءه عن عزمه باغرائه بزيادة الاجر تارة ، وتهديده بالحاق الأذى به تارة أخرى .. ولكن ذلك لم يجد معه شيئا .. فتركه سعفان وفى عينيه انذار مخيف

وجاء الليل .. وهيمن الصمت على القرية .. حتى اقترب الفجر .. وكان المؤذن فى طريقه الى المسجد ، حين شق سكون الليل صيحة عالية .. وأدرك من اتجاه الصوت أنها انطلقت من بيت عبد التواب ، فيمم وجهه مرتاعا .. واذا بعبد التواب يدفع مصراع الباب ، ويبرز منه وفى يده خنجر ملطخ بالدم!

وفى ذهول قال عبد التواب : أراد الانتقام منى ، وجاء بخنجره هذا ليقتلنى .. وحسب أنى نائم ، فهاجم مكان نومى .. ولكنى كنت قد غادرت الفراش لأتوضأ .. وشعرت بحركة فأخذت حذرى ، وتسلحت بعصا .. وخطوت خطوة فاذا به يظهر خارجا من حجرة النوم ، وفى وجهه أمارات الشر والانتقام .. وهجم على فى غيظ وحنق رافعا خنجره ليهوى به على ولكنى انحرفت عنه ، وجريت بعيدا ، وقلت كن عاقلا يا سعفان .. أنا رددت المسروقات ولكنى لم أرشد الشرطة اليك ، ولم أخبر الناس عنك .. لأنى آمل أن تثوب الى رشدك وتتوب الى الله مثلى .. ارجع ياسعفان .. ارجع .. ولكنه لم يرجع ، واندفع كالثور الهائج نحوى فطوحت بعصاى تجاه قدميه ، فتعثر وسقط على وجهه .. ولم يقم .. فقد كانت نهايته بيده ، اذ انغرس خنجره فى صدره ..

أصابنى الذعر ، فانحنيت عليه وانتزعت الخنجر من جسده .. ووقفت حائرا لا أدرى ماذا أفعل .. وبعد لحظات اختلج الجسد الصريع اختلاجة الموت .. وفاضت روحه .. فخرجت أبحث عن مخرج من هذه الورطة ، فلقيتك .. قل لى .. ماذا أفعل ؟! . قال المؤذن : تقدم الى الشرطة .. والتزم الصدق لتنجو .

وبعد ساعات كان بيت عبد التواب مسرحا لرجال التحقيق والنيابة .. وكانت الشمس قد برزت الى الأفق ، حين خرج عبد التواب الى الشارع مكبل اليدين محاطا برجال الشرطة وحشود من أهل القرية ، وعلى ألسنة الجميع تعليقات شتى ..

وساقه رجال الشرطة فى غلظة ، وحالوا بينه وبين أن يطبع قبلة وداع على جبين محروس ، حين اقتربت به أمه ، بعد أن شقت جموع الناس ، وردها رجال الشرطة عنه ، فعادت به باكية تولول ..

وحين مر فى طريقه بالمسجد لمحت عينه المئذنة ، فرفع بصره اليها ، وصعدت نظراته

معها حيث تذهب فى الجو سامقة شماء ، وتعلو بعودها السمهرى مصوبة نحو السماء .. وتذكر مواقفه عليها فى جوف الليل ، ومناجاته لله فى السحر والناس نيام .. فتساقطت الدموع على خديه ، وتباطأت قدماه فى السير ، فدفعه أحد الشرطة فى ظهره ليسرع ، فأذعن مقهورا .. وأحس بذله وهوانه ، فتوجه بقلبه الى الله فى ضراعة المذنب التائب ، وقال : يارب !

وفى اللحظة التالية صحا عبد التواب من نومه على صوت زوجته وهى تهزه وتناديه : عبد التواب .. عبد التواب .. انهض .. ونهض جالسا .. ودار ببصره حوله فأدرك أنه كان تحت سلطان كابوس مريع .. وعرف من زوجته أنها كانت ساهرة الى جانب محروس ، فسمعته وهو نائم يقول : يارب .. فالتفتت اليه وأيقظته لصلاة الفجر .. وسألها عن حال محروس فأنبأته بأنه بات الليلة فى هدوء ، ولم يتوجع كثيرا .

وقام عبد التواب الى حيث توضأ .. ثم يمم شطر المسجد .. وفى الطريق رأى شبحا يمشى مترنحا وهو يصدر أنينا مكتوما ، فبادر اليه ، واذا به سعفان وقد وضع يده على صدره يحاول دون جدوى منع الدماء النازفة من جرحه الغائر ، فحمله الى منزله .. ومضى مسرعا الى بيت العمدة يطلب منه دعوة الاسعاف لعلاج سعفان .. وسمع صوت المؤذن يعلن حلول الفجر ، فاستأذن العمدة ، وانطلق ليدرك صلاة الجماعة .

وفى الصباح كان عبد لتواب فى بيته حين سمع طرقا على الباب .. ولما فتحه وجد رجلا عليه سيماء الغنى والثراء .. فأحسن استقباله ، وأتى بثوب من الصوف اعتاد أن يرتديه أيام الجمع والأعياد، ففرشه له.. وقال الرجل : أنت صاحب فضل على .. أتدرى كيف ؟ .

ودهش عبد التواب ، ولم يجب .. فاستطرد الرجل قائلا : سطا اللصوص على بيتى ، فسرقوا مقدارا كبيرا من المال كنت قد أحضرته من المصرف بالأمس لبعض شئونى.. ولم يترك اللصوص أثرا يرشد اليهم .. غير أنى كنت قد أصبت أحدهم برصاصة وأنا أطاردهم .. وكان يمكن لهذه النقود الا تعود لولاك ..

فقال عبد التواب : كيف ؟.

أجاب الرجل : لما حملت الاسعاف سعفان الى المستشفى سألوه عن سبب اصابته .. وكنت قد أبلغت الشرطة ، فحامت الشبهة حوله .. وفى التحقيق اعترف سعفان بجريمته ، وارشد الى مكان النقود .. وها هى ذى فى جيبى .. وقبل أن أعود الى بيتى أحببت أن أشكرك ..

ثم خرج الرجل .. وعاد عبد التواب الى ثوبه ليرفعه فاذا به يرى تحته مجموعة ضخمة من الأوراق المالية ، ومن فوقها ورقة مكتوبة .. فاختطفها ، وانطلق خارجا ليلحق بالرجل .. ولكن الرجل كان قد ذهب ..

وقف عبد التواب أمام البيت يتلفت يمنة ويسرة ، لعله يرى الرجل هنا أو هناك .. وعندئذ أقبل صديقه المؤذن .. ولشد مادهش هذا عندما رأى النقود الكثيرة فى يده ..

فقال : ما هذا ؟.. من أين لك هذه الثروة الطائلة ؟!

فقال عبد التواب : جاءنى الرجل الذى سطا سعفان الليلة على بيته .. وخرج ناسيا اياها ..

قال المؤذن : وماذا تنوى أن تفعل بها ؟.

قال عبد التواب : سأذهب الى العمدة أحفظها عنده حتى يعود صاحبها ..

ولمحت عين المؤذن الورقة مع النقود فتناولها وقرأ فيها : سيدى .. عادت الى أموالى .. ولن تنقص كثيرا حين أقدم اليك منها هذا الشىء اليسير .. وأكون سعيدا اذا قبلت منى هذه الهدية ..

وقف عبد التواب صامتا برهة .. وهو يردد بصره بين وجه المؤذن المتهلل وبين الاوراق التى تملأ يده .. ثم افتر ثغره عن ابتسامة فيها معنى الرضا والارتياح ..

وبعد ساعات قليلة كان عبد التواب جالسا الى جوار زوجته يرنو اليها سعيدا وهى تميل على محروس فى حنان وتقدم اليه الدواء .

مواقيت الصلاة

الأيام	أكتوبر	جمادى الأولى	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ں . س		ں . س		ں . س		ں . س		ں . س		ں . س	
الأحد	سبتمبر ٣٠	١	٥	٢١	٦	٤٧	١٢	٤٥	٤	٠٩	٦	٤٣	٧	٥٩
الإثنين	١	٢	٤	٢١	٥	٤٨	١١	٤٥	٣	٠٨	٥	٤٢	٦	٥٨
الثلاثاء	٢	٣	٤	٢٢	٥	٤٩	١١	٤٥	٣	٠٧	٥	٤٠	٦	٥٦
الأربعاء	٣	٤	٤	٢٢	٥	٤٩	١١	٤٤	٣	٠٦	٥	٣٩	٦	٥٥
الخميس	٤	٥	٤	٢٣	٥	٤٩	١١	٤٤	٣	٠٦	٥	٣٨	٦	٥٤
الجمعة	٥	٦	٤	٢٣	٥	٥٠	١١	٤٤	٣	٠٥	٥	٣٧	٦	٥٣
السبت	٦	٧	٤	٢٤	٥	٥١	١١	٤٣	٣	٠٤	٥	٣٦	٦	٥٢
الأحد	٧	٨	٤	٢٥	٥	٥٢	١١	٤٣	٣	٠٣	٥	٣٤	٦	٥١
الإثنين	٨	٩	٤	٢٥	٥	٥٢	١١	٤٣	٣	٠٢	٥	٣٣	٦	٥١
الثلاثاء	٩	١٠	٤	٢٦	٥	٥٣	١١	٤٣	٣	٠٢	٥	٣٢	٦	٤٩
الأربعاء	١٠	١١	٤	٢٧	٥	٥٣	١١	٤٢	٣	٠١	٥	٣١	٦	٤٨
الخميس	١١	١٢	٤	٢٧	٥	٥٤	١١	٤٢	٣	٠٠	٥	٣٠	٦	٤٧
الجمعة	١٢	١٣	٤	٢٧	٥	٥٤	١١	٤٢	٢	٥٩	٥	٢٩	٦	٤٦
السبت	١٣	١٤	٤	٢٨	٥	٥٥	١١	٤٢	٢	٥٩	٥	٢٧	٦	٤٤
الأحد	١٤	١٥	٤	٢٨	٥	٥٥	١١	٤١	٢	٥٨	٥	٢٦	٦	٤٣
الإثنين	١٥	١٦	٤	٢٩	٥	٥٦	١١	٤١	٢	٥٧	٥	٢٥	٦	٤٢
الثلاثاء	١٦	١٧	٤	٣٠	٥	٥٧	١١	٤١	٢	٥٧	٥	٢٤	٦	٤١
الأربعاء	١٧	١٨	٤	٣١	٥	٥٨	١١	٤١	٢	٥٦	٥	٢٣	٦	٤٠
الخميس	١٨	١٩	٤	٣١	٥	٥٨	١١	٤٠	٢	٥٥	٥	٢٢	٦	٣٩
الجمعة	١٩	٢٠	٤	٣٢	٥	٥٩	١١	٤٠	٢	٥٤	٥	٢١	٦	٣٨
السبت	٢٠	٢١	٤	٣٢	٥	٥٩	١١	٤٠	٢	٥٤	٥	٢٠	٦	٣٧
الأحد	٢١	٢٢	٤	٣٣	٦	٠٠	١١	٤٠	٢	٥٢	٥	١٩	٦	٣٦
الإثنين	٢٢	٢٣	٤	٣٤	٦	٠١	١١	٤٠	٢	٥٢	٥	١٨	٦	٣٥
الثلاثاء	٢٣	٢٤	٤	٣٥	٦	٠٢	١١	٤٠	٢	٥١	٥	١٧	٦	٣٤
الأربعاء	٢٤	٢٥	٤	٣٥	٦	٠٢	١١	٣٩	٢	٥١	٥	١٦	٦	٣٤
الخميس	٢٥	٢٦	٤	٣٦	٦	٠٣	١١	٣٩	٢	٥٠	٥	١٥	٦	٣٣
الجمعة	٢٦	٢٧	٤	٣٧	٦	٠٤	١١	٣٩	٢	٤٩	٥	١٤	٦	٣٢
السبت	٢٧	٢٨	٤	٣٧	٦	٠٥	١١	٣٩	٢	٤٩	٥	١٣	٦	٣١
الأحد	٢٨	٢٩	٤	٣٨	٦	٠٥	١١	٣٩	٢	٤٨	٥	١٢	٦	٣٠

المرأة فى السودان

كيف تعيش أختك المسلمة فى السودان .. ما هى الحقوق التى تتمتع بهـا .. ما مـدى مساهمتها فى الحياة العامة فى بلادها .. ما هو دورها فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى ؟

هل فى السودان هيئات نسائية .. وماهى أهداف هذه الهيئات ؟

هذه بعض الاسئلة التى وجهتها الى أخت سودانية تقيم بالقاهرة .. وكان فى اجابتهـا صورة واضحة للأخت السودانية الشقيقة التى تربطنا بها روابط متينة خالدة هى الدين واللغة والنيل ..

مراحل كفاح المرأة السودانية من أجل العلم والعمل :

تمكنت المرأة السودانية من أن تشق طريقها نحو التحرر بعد كفاح ومثابرة وجهد .. وكان الاستعمار يتحالف مع التقـاليد لتبقى المرأة بعيدة عن نور العلم نائية عن ميدان العمل ..

وفى عام ١٩٠٧ قام (الشيخ بابكر بدرى) من قبيلة الرباطات بخطوة جريئة وحاسمـة .. فخصص احدى حجرات داره ليجمع فيها بعض الفتيات الصغار من أقاربه وبنـات أصدقائه المقربين .. وأخذ يعلمهن مبـادىء القراءة والكتابة .. ولم يكد ينتشر نبأ هذه المحاولة حتى قامت قيامة الحاكم الانجليزى وأعوانه من الرجعيين ، وراحوا يتهمون الشيخ بابكر بدرى بالخروج عن الاسلام .. وينذرونه باغلاق تلك المدرسة الخاصة التى أقامها فى داره .. ولكن الشيخ قاوم وناضل مستندا الى حديث الرسول الكريم الى السيدة عائشة « **خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء** » .. واقتدى بالشيخ كثيرون وتراجع الاستعمار وأعوانه منهزمين .. وأنشئت الكتاتيب لتعليم الفتيات ..

لكن ظلت أبواب التعليم موصدة فى وجه الفتاة السودانية الى مابعد ثورة ١٩١٩ ، عندما قامت المرأة المصرية بالاشتراك فى المظاهرات ، وتعرضها لرصاص الانجليز .. فتنبهت الأذهان الى الدور الذي يمكن أن تقوم به المتعلمة فى خدمة بلادها .. فانتشرت فى السودان مدارس البنات الأولية والابتدائية .. ولم تعرف المدارس الثانوية الا عام ١٩٤٦ .

وهكذا بدأت المرأة السودانية تضع قدميها على أول السلم نحو التقدم والتحرر ٠

بعد الاستقلال :

وبعد أن حصلت السودان على استقلالها اتجهت السياسة التعليمية الى النهوض بالمرأة واتاحة فرصة التعليم للبنات على النحو المتبع مع البنين دون تفرقة ٠٠ وسرعان ما تضاعف عدد المدارس الابتدائية للبنات حتى أصبح يوجد أكثر من ٢٥٢ مدرسة أولية غير المدارس الوسطى والثانوية ومدارس المعلمات ٠٠ وعندما تطلعت الفتاة السودانية الى التعليم الجامعى فتحت لهن جامعة القاهرة مختلف كلياتها وكان ذلك عام ١٩٤٩ ٠ ثم قامت وزارة التربية والتعليم بالقاهرة بانشاء فرع لجامعة القاهرة فى الخرطوم عام ١٩٥٢ ـ وذلك للمساهمة فى تدعيم وسائل النهضة التعليمية فى السودان الشقيق ٠

الجمعيات النسائية :

فى عام ١٩٤٧ ٠ تكونت (رابطة الفتيات الثقافية) التى قامت بافتتاح المدارس الليلية لمحو الأمية بين النساء ٠٠ وقد عادت هذه المدارس بأكبر الفائدة على المرأة السودانية ٠

وتبعتها جمعية « نهضة المرأة » بأم درمان ٠ ثم قامت (الدكتورة خالدة زاهر سرور) بتأسيس « الاتحاد النسائى السودانى العام » وقد لعب هذا الاتحاد دورا هاما فى الكفاح الوطنى ٠٠ وتعتبر الدكتورة خالدة أول طبيبة سودانية هناك ٠

كما توجد عدة جمعيات نسائية خيرية تعنى باسداء المعونة الى الفقراء والمعوزين وتدبير موارد الرزق للفتيات ٠٠ الى جانب النشاط الاجتماعى المتعدد ٠٠ وانطلقت المرأة الى ميادين العمل واعترف لها الدستور بحق الانتخاب وحق الترشيح ٠

المرأة السودانية الآن :

اكتملت للمرأة السودانية كل مقومات الثقافة والتعليم وأصبحت تجدها الآن فى دواوين الحكومة ٠٠ تجدها عاملة على الآلة الكاتبة وسكرتيرة ناجحة وطبيبة ومحامية وصحفية ٠ ومذيعة وفى المحلات التجارية ٠٠ فى كل اتجاه وفى كل ميدان أخذت حقها فى الحياة والعمل والمساواة ٠٠

مشكلة الحجاب :

تعتز المرأة السودانية بالزى الوطنى وتتعصب له وتتمسك به ، وهو يشبه السارى الهندى يشمل المرأة من قمة الرأس الى أخمص القدم ويغطى الوجه ما عدا العينين ٠٠ وقد بدأت محاولة التحرر من الحجاب عندما وجدت المرأة العاملة انه يعرقل اشتراكها فى الحياة العملية التى تستلزم سرعة الحركة والنشاط ٠٠ ولكن نسبة التحرر منه ضئيلة جدا الى جانب الأغلبية المتمسكة به ٠٠

تقاليد الزواج :

ما زالت المرأة السودانية فى موضوع الزواج تخضع لتقاليد متوارثة تجعل الموافقة على الزواج من حق الآباء وحدهم ٠٠

وفى المجتمع الزراعى تتزوج الفتاة فى سن مبكرة ٠٠ أما فى المجتمع المتحضر فان مراحل التعليم وتمسك الفتاة باتمام تعليمها جعلها تتزوج بعد أن تكتمل مراحل النضج والتثقيف ٠٠

ومن التقاليد المألوفة فى الزواج أن تمضى العروس العام الأول عند أهلها والعريس يذهب الى هناك فى قافلة من الأصدقاء ينامون ويأكلون ويشربون على حساب أبيها ، وينصرفون بعد أيام ويبقى العريس ٠٠

وقد لا تغادر العروس بيت أبيها فى العام الأول ان لم تكن على موعد مع أول وليد لها فى هذه الفترة ٠٠

على أن هذه التقاليد قد تحررت منها المدينة وتسلل التحرر الى معظم القرى المحيطة بالمدن ٠

وهناك عادة غريبة فى تمشيط شعر المرأة ٠٠ فالشعر تمشطه ماشطة خاصة خلال ثلاثة أيام ٠٠ وتحوله الى ضفائر رفيعة ٠٠ وكلما زاد عدد الضفائر تطلب الأمر وقتا وأجرا أكثر ٠٠ وبهذا يكون عدد الضفائر الكثيرة فى رأس المرأة دليلا على الثراء ٠

وكثير من العادات الأخرى والتقاليد التى يضيق المجال هنا عن حصرها ٠

إلى
بطل الثّورة ورسول السّلام

الشاعر عصام الدين الجمبلاطي

بأي سنى طلعت على الوجود   وبشَّرتَ الدُّنا بغد مجيد
دعوتَ إلى السلام بكل أَرض   وصوتك لم يزل عذب النشيد
لعل الحب بين الناس ينمو   وتأْتلق السكينة من جديد
فحسب الأَرض رائحة الضحايا   وحسب الكون صلصلة القيود
تنادي بالسلام كأَن صوتا   سماويا يمدك بالمزيد
دعوت إلى النظام وفيه تبقى   حضارات الشعوب بلا مبيد
وصنت بثورة التحرير فينا   دمًا أغلى من الدر النضيد
مبادئكِ النبيلة قد وعتها   شعوب الأَرض كالوحي الرشيد
يلقنها القريب لمن تناءى   ويأْخذها الحفيد عن الجدود
تنادي بالسلام وانت تُعلي   مع (الصاروخ) أَصوات الوعيد
وكم لك موقف أَوْدَى بباغ   فأَوماً وجهه لك بالسجود
عمالقة الحروب أَتوك أُسْدا   فصار ثراك مقبرة الأُسود

تلقتهم بلادك ساخرات ... بأشواق المنايا واللحود
كأن جموعهم طوفان بغى ... تدفق بالعتاد وبالجنود
ولو سمعوا نداءك ما تساقوا ... مرارة خزيهم فى (بور سعيد)
ولا شهد الزمان لهم هوانا ... وهم يحنون جيدا بعد جيد
خُطى المستعمرين اليوم تُطوى ... و يُطوى خلفها زمن العبيد
حياتك قصة للمجد تُروى ... كما تُروى أَقاصيص الخلود
وعهدك يا (جمال) أَعاد فينا ... سنى التاريخ فى ظل (الرشيد)
وحكمك آية للعدل كبرى ... يعيش به المسوَّد كالمسُود
تبيت تساند الأُمم الحيارى ... وتدفعها إلى عهد رغيد
ترى حرية الإنسان أَسمى ... من السلطان فى قصر مشيد
عرفت مزاقها ونعمت فيها ... وأنت الحر ذو الرأى السديد
ولولا أن بعثت الشرق يوما ... لظل الشرق يَرْسُف فى القيود
سكبت على جوانبه شعاعا ... ورحت تذيقه معنى الصعود
وقد شيدت با (الميثاق) صرحا ... من المثل الرفيعة والعهود
فلا تاج مقدسة علاه ... ولا قصر بهذا الشعب يودى
ولا مُسْتضعفون بكل أرض ... ينالون الفُتات من الحصيد
ولا فوضى تسود الحكم حتى ... يُباع ذوو المناصب بالنقود
فَجلْجلْ بالسلام وعِشْ رسولا ... يُبشر بالغد الحر السعيد

أنت تسأل؟ .. والمفتي يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مأمون

من السيد محمد حمزانى عبد العزيز
من أبى شوشه سمهود

يقول السائل : توفى رجل عن بنات وأولاد ابن توفى قبله وهم : ولد وبنتان ، مع العلم بأن زوجة المتوفى توفيت قبله ، ونريد معرفة من يرث ومن لا يرث وما نصيب كل وارث منهم .

والجواب : ان لبنات المتوفى ثلثى تركته فرضا بالسوية بينهن ولأولاد ابنه الذكر والاناث الباقى وهو الثلث تعصيبا للذكر ضعف الأنثى والله أعلم .

يقول السائل : توفيت امرأة وتركت تركة، وأخا ذكرا وأختا أنثى على قيد الحياة ، وأخوين ذكرين توفيا قبلها ولهما أولاد ذكور وأخت أنثى متوفاة قبلها ولها أولاد ذكور . فهل يستحقون الارث بالقانون ؟

والجواب : أولاد الأخ والأخت لا يستحقون شيئا بالوصية الواجبة لأن القانون جعل الوصية لأولاد الفرع الوارث الذى توفى حال حياة المورث فقط ، أما أولاد الأخ الذى توفى حال حياة المورث أو أولاد الأخت المتوفاة حال حياة المورث فلا يستحقون شيئا بالوصية الواجبة ولا يحلون محل أصلهم كما يحل أولاد الفرع الوارث ذكرا أو أنثى محل أصلهم ويستحقون ما كان يستحقه لو بقى على قيد الحياة الى ان توفى المورث بشرط ألا يجاوز ذلك الثلث ، فان جاوزه رد الى الثلث ويبقى استحقاق أولاد الأخ والأخت خاضعا لأحكام الارث فقط ، ولا يمكن أن يعلم من يستحق منهم الارث ومن لايستحق الا اذا عرفت درجة قرابة الأخ والأخت الموجودين على قيد الحياة ،ولذلك يجب معرفة ما اذا كانا أو أحدهما شقيقا للمتوفاة أو لأب فقط أو لأم فقط ، واذا كان السائل يريد معرفة الوارث وغير الوارث ونصيب كل وارث فعليه أن يبين ذلك بالنسبة للأخوة الموجودين والأخوة الذين توفوا حال حياة المورثة حتى نتمكن من افادته بما يطلب ان شاء الله ، والله أعلم .

من السيد اسماعيل اسماعيل عبده نصار أرجو الافتاء فيما يأتى :

مات خالى وترك شقيقة له على قيد الحياة ، كما ترك أخوين له من الأب وترك أولاد أخت شقيقة ماتت فى حياته . أى أن الورثة :

أخت شقيقة ، واخوان من الأب ، وأولاد أخت شقيقة ماتت فى حياة المورث .

والجواب : أنه اذا صح ما جاء فى السؤال يكون للأخت الشقيقة من تركة المتوفى النصف فرضا ، وللأخوين من الأب الباقى تعصيبا بالسوية بينهما لكل منهما ربع التركة ولا شىء لأولاد الأخت الشقيقة ، لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبات . والله أعلم .

● من السيد/فتحى عبد الحفيظ محمد محمد عارف ـ الطالب بمعهد طهطا الدينى ومن أبناء قرية نزه الهيش مركز طهطا محافظة سوهاج .

يقول السائل ان أحد مواطنيه كان بالاسكندرية منذ مدة حيث أن أولاده يعيشون بها ، وفى يوم من الأيام تشاجر ابنه وزوجة

ابنه أمامه فقال لهما : ما دمتما تشاجرتما أمامى ولم توقرانى فيابنى اعطنى أجرة السفر وسأذهب الى بلدتى . فقال له ابنه : يا شيخ متروح من وشى الواحد زهقان من عيشته وانت جاى تزودها على . فقال له والده (من غير أيمان حلفها) « ما دمت تقول كده فاسكندرية حرام على كما حرمت مكة على اليهود ما دمت فيها » ثم تركهما وجاء الى بلدته . وفى هذه الأيام معه بنت متزوجة فى بلدته ولكن زوجها سافر الى الاسكندرية حيث يبحث عن رزق بها . ولكن هذه البنت حامل وفى آخر أيام حملها . ولكنها مرهقة جدا ومتعبة ومجهدة بسبب الحمل . ومريضة طريحة الفراش وقالت لوالدها أريد أن تذهب بى الى الاسكندرية علشان زوجى يذهب بى الى المستشفى هناك فقال لها : يا ابنتى انت تعلمى ما حدث بينى وبين أخيك ولا أستطيع ما دا مهناك فى اسكندرية ولكن ابنته فى تعب شديد وزوجها فى الاسكندرية ووالدها رجل كبير وليس معهما نقود تكفى لمصاريف المستشفيات هنا وليس معها أحد يذهب بها الى المستشفى التى تبعد عن قريتنا كثيرا . ويمنعه من السفر أنه حرم الاسكندرية على نفسه . ويقول أن هذا الموضوع قد بحثه هو وزملاؤه من الطلبة وانقسموا الى فريقين ، فريق يقول بذهاب الرجل وبنته الى الاسكندرية ولا شىء عليه غير الاستغفار لله تعالى لأنه لم يحلف يمينا ، وفريق يقول أنه ما دام قد حرم الاسكندرية على نفسه ما دام أنه فيها فيجب عليه أحد أمور ثلاثة ، اما أن يصوم شهرين متتابعين واما عتق رقبة وهذا لا يوجد الآن واما اطعام عشرة مساكين . ويطلب افادته عن الحل لهذه المشكلة .

والجواب : أن الرجل لم يحلف يمينا ولم يعلق طلاق زوجته على عودته الى الاسكندرية وكل ما صدر منه أنه حرم الاسكندرية ما دام ابنه فيها وتحريم الاسكندرية لا يثبت بتحديد ولذلك يسعه أن يذهب اليها ولا يلزمه كفارة حيث أنه لم يحلف يمينا ولم يحنث فى يمينه .

واذا كان السائل قد قصد من العبارة التى صدرت منه معنى اليمين فانه يكون يمينا منعقدة وحنثه فيها هو الواجب لأنه خير من عدم الحنث حتى لا يضر بنته ويمنعها من السفر الى الاسكندرية لتضع مولودها فى مستشفى من مستشفياتها تحت رعاية زوجها الذى يجب عليه فى هذه الحالة أن يقوم بنفقات ولادتها فقد صح عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن أمر أحد أصحابه اذ حلف يمينا ورأى غيرها خيرا منها أن يرجع فيما حلف الى ما هو خير ويكفر عن يمينه . وكفارة اليمين فى هذه الحالة هى ما نصت عليه آية المائدة وهو قوله تعالى :

لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (٨٩) من سورة المائدة .

وأميل الى الرأى الأول والله أعلم .

مع القراء

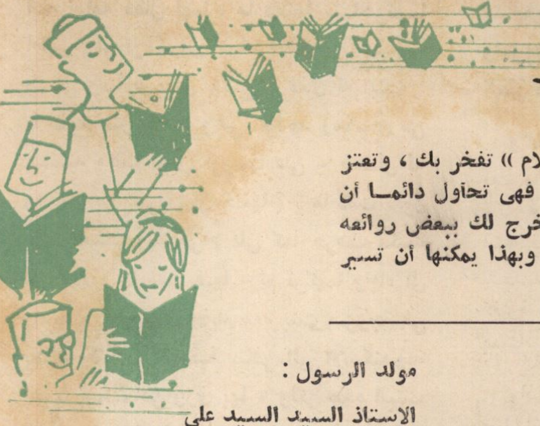

عزيزى القارىء : ان « منبر الاسلام » تفخر بك ، وتعتز بصداقتك ، وتحرص على مودتك .. فهى تحاول دائما أن تغوص فى أعماق التراث الاسلامى لتخرج لك ببعض روائعه الثمينة التى يزخر بها أدبنا العربى ، وبهذا يمكنها أن تسير مع ركب النهضة والتقدم والبناء .

رسول الرحمة :

السيد/أحمد قناوى حرب
كلية أصول الدين ــ اسنا ــ العضايمة

نعم ان مولد سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عطر أرجاء الفضاء ، وهز جوانب الكون وأشاع الرحمة والعدل فى سائر الناس، وأنقذ البشرية من ظلام الشرك والجهل .. وسيظل التاريخ يتحدث عنه ويشيد بذكره ما بقيت الحياة .

مع الثورة :

السيد/عبد الواحد عدس
امام مسجد الخلفى بالناصرية ــ سمنود

ان ثورتنا الخالدة تبهرنا كل يوم بروائعها الفريدة .. فقد أصبحت تسابق الزمن وتسمو الى ذرا المجد بما تحققه لنا من معجزات فى ظل زعيمنا ورائدنا السيد الرئيس جمال عبد الناصر .. فنحن جميعا نحيى معك هذا البطل العملاق .. صانع الحضارة والثورة والتاريخ .. وشكرا لك على تحيتك الرقيقة .

حدث ضخم :

الاستاذ رجب على فخرى
السنطة غربية

جاء فى خطابك أن « منبر الاسلام » حدث ضخم وطود شامخ فى تاريخ الصحافة الاسلامية ، وانها تحتل مكانا ساميا فى قلوب الجماهير الغفيرة . ونحن نشكرك على هذه الثقة الغالية ونرجو أن نكون دائما عند حسن ظنك .

مولد الرسول :

الاستاذ السيد السيد على
الجامعة الازهرية ــ ميت ميمون ــ الجميزة غربية

اتجاه طيب ورغبة موفقة وعاطفة دينية محمودة .. تلك التى دفعتك الى قرض الشعر فى رسول الانسانية ــ عليه الصلاة والسلام ــ فداوم على القراءة والنظم وثق انك ستجنى ثمرة جهدك فى يوم من الايام .

انطلاق الصاروخ :

السيد/محمد مهدى النرش
الجامعة الازهرية ــ الباجور ــ منوفية

لا شك أن انطلاق الصاروخ العربى يعد طفرة هائلة ومفخرة كبيرة يتوارثها الاجيال.. ونحن نبارك هذه المشاعر الجياشة التى انطلقت مع انطلاق الصاروخ ..

انطلق يا غنوة المجد وألحان الوجود
انطلق كالنور.. كالفجر.. كنفحات الورود
انطلق واكتب لنا صفحات فخر فى الخلود
وارو عنا قصة الثورة والفجر الجديد

الثريا والدر :

السيد/أحمد محمود عبد الله
بالمساحة بأسوان

لقد شبهت « مجلتنا » بالثريا والدر ونحن نعتز بهذه الشهادة .. ونأمل أن تكون المجلة كذلك .. فيحالفها النجاح مدى الحياة ، وتمضى فى طريقها لنشر المعرفة وبعث القيم الانسانية ، واحياء المفاهيم الاسلامية والثقافية .

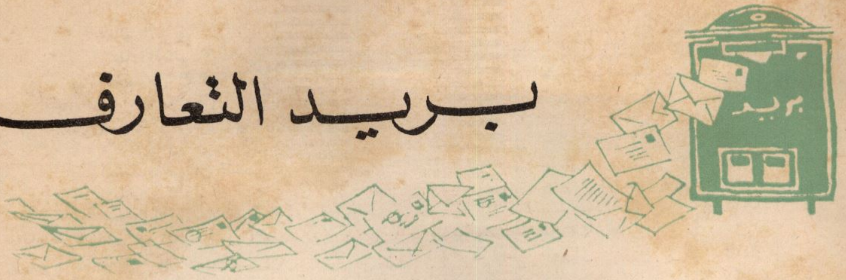

بريد التعارف

الاسم : عبد الحميد على حسنين أبو جريو
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن • ٢٠ سنة
المهنة : طالب بالمعهد العالى التجارى بالزقازيق
الهواية : الاطلاع وقراءة الكتب الدينية ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : أدفو البلد محافظة اسوان

الاسم : محمد الهجرسى محمد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن • ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى تجارى ومراسل صحفى
الهواية : الادب . الصحافة . كتابة القصة القصيرة والمراسلة
العنوان : شنبارة . منقلا مركز ديرب نجم باكوة شرقية

الاسم : عبد الغفار عبد الرحيم محمد يوسف
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن • ٢٦ سنة
المهنة : طالب بكلية اصول الدين
الهواية : الاطلاع والبحث الدينى
العنوان : المطرية دقهلية بريد المصافرة الاهلى

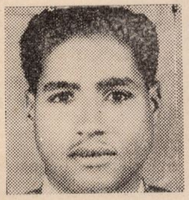

الاسم : محمد احمد عبد الرحمن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن • ٢٠ سنة
المهنة : مدرس بمدرسة المراشدة المشتركة
الهواية : قراءة المجلات والقصص الدينية والشعر والادب
العنوان : دشنا ـ الصعايدة

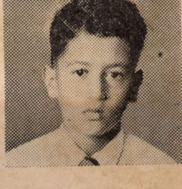

الاسم : عبد المجيد غانم
البلد : ممباسا ـ كينيا
السن • ١٣ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع طوابع البريد والمراسلة وقراءة الكتب
العنوان : ص.ب ٨٤٥ ممباسا ـ كينيا

الاسم : السيد ابراهيم صالح
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن • ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة القصص والادب والكتب الدينية والرحلات
العنوان : بشلا مركز ميت غمر دقهلية

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ... ٣
زعماء العالم الاسلامى ... ٥
خطاب من القاهرة ... السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الاوقاف ... ٨
حديث مع سفير الهند ... ١١
فى الاخلاق ... لاستاذ الجيل أحمد لطفى السيد ... ١٦
التجديد فى فن الشعر ... الاستاذ الكبير عباس العقاد ... ١٨
الاسلام واعداد الامة ... فضيلة الشيخ محمد فرج السنهورى ... ٢٢
الجاهلية والاسلام ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ٢٤
الجانب الروحى فى الاسلام ... فضيلة الشيخ محمد أحمد هريدى ... ٣٠
الجزية فى الاسلام ... الدكتور أحمد الحوفى ... ٣٢
دعوة الميثاق الوطنى ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ... ٣٥
التظاهر بالاسلام ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٤٠
المصادفات الحسنة ... الدكتور عبد الحليم منتصر ... ٤٣
التطورات الدستورية ... الدكتور طعيمة الجرف ... ٤٥
نفسية الانسان العربى ... الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى ... ٤٩
من أدب القصة فى القرآن الكريم ... الاستاذ البهى الخولى ... ٥٣
الاسلام والنظام التعاونى ... الدكتور محمد غلاب ... ٥٨
حول الدعوة الى استخدام اللغة العامية ... الدكتور على عبد الواحد وافى ... ٦٢
من آيات الاجنة ... الاستاذ عبد الرزاق نوفل ... ٦٦
احياء المفاهيم الاسلامية ... الدكتور عبد الحليم محمود ... ٦٨
خواطر مستشار ... المستشار على على منصور ... ٧١
من سياسة الوعى الاسلامى العربى ... الاستاذ عبد الرحيم فرغل ... ٧٤
رجال ومواقف ... فضيلة الشيخ منصور رجب ... ٧٨
محمد أعظم مثل للصبر ... الاستاذ محمد فاوى عسر ... ٨٢
مكانة المرأة وحقوقها فى الاسلام ... الاستاذ محمد عطية الابراشى ... ٨٥
من كيد المشركين بمكة ... فضيلة الشيخ ابراهيم أبو الخشب ... ٨٧
فى المحيط الصوفى ... الاستاذ محمد أمين هلال ... ٩٠
الاسلام وحرية العقيدة ... الاستاذ محمد زكريا البرديسى ... ٩٤
حاجتنا الى فهم القيم ... الدكتور محمد بيصار ... ٩٧
حاجتنا الى الاسلام ... الدكتور أحمد كمال أبو المجد ... ١٠٠
دراسات فى التاريخ الاسلامى ... الاستاذ أحمد ابراهيم الشريف ... ١٠٣
قطوف ... الاستاذ على الجندى ... ١٠٨
الاسلام والمسلمون فى مدغشقر ... الاستاذ ابراهيم محمد الفحام ... ١١٠
عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى ... الاستاذ عبد الله المشد ... ١١٣
بطولات اسلامية ... الاستاذ محمد فرج ... ١١٥
التسمية فى القراءة ... الاستاذ الحسينى هاشم ... ١١٩
اقواء ... الاستاذ أحمد محمد بريرى ... ١٢٢
اعجاز القرآن ... الدكتور محمد سعاد جلال ... ١٢٤
أدب ودين ... الدكتور حسن جاد ... ١٢٧
الميثاق فلسفة للثورة العربية ... الاستاذ يحيى رمضان ... ١٣٠
السعداء والاشقياء ... الاستاذ محمود متولى بيومى ... ١٣٢
فروسية الامام ... الدكتور عثمان أمين ... ١٣٥
أخبار سريعة ... ١٣٨
ممالك اسلامية قديمة ... الاستاذ عبده بدوى ... ١٤٠
منهج الاسلام فى بناء المجتمع ... الاستاذ ابراهيم محمد اسماعيل ... ١٤٣
ابراهيم بن سيار النظام ... الدكتور جمال الدين الرمادى ... ١٤٦
الشرق الاسلامى بين الماضى والحاضر ... الاستاذ عبد المنعم حمادة ... ١٤٩
الاسلام دين السلام ... الاستاذ محمد بهى الدين سالم ... ١٥٤
تطبيق مبادىء الاسلام ... الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم ... ١٥٦
من أعلام الاسلام ... الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ... ١٥٨
التربية الروحية أساس المجتمع ... الاستاذ أحمد الشرباصى ... ١٦٢
تحف من الفن الاسلامى ... الاستاذ عبد الرءوف على يوسف ... ١٦٦
شىء من الايجابية ... الاستاذ عبد السلام داود ... ١٧٠
فى الطريق الى التحرير ... « تحقيق » ... ١٧١
لماذا أسلمت ... ١٨٤
دموع على المحراب ... للشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٨٦
يارب (قصة) ... الاستاذ عبد الحميد النخيلى ... ١٨٧
مواقيت الصلاة ... ١٩١
المرأة المسلمة ... ١٩٢
الى بطل الثورة ورسول السلام ... للشاعر عصام الجمبلاطى ... ١٩٤
المفتى ... فضيلة الشيخ حسن مأمون ... ١٩٦
مع القراء ... ١٩٨
بريد التعارف ... ١٩٩

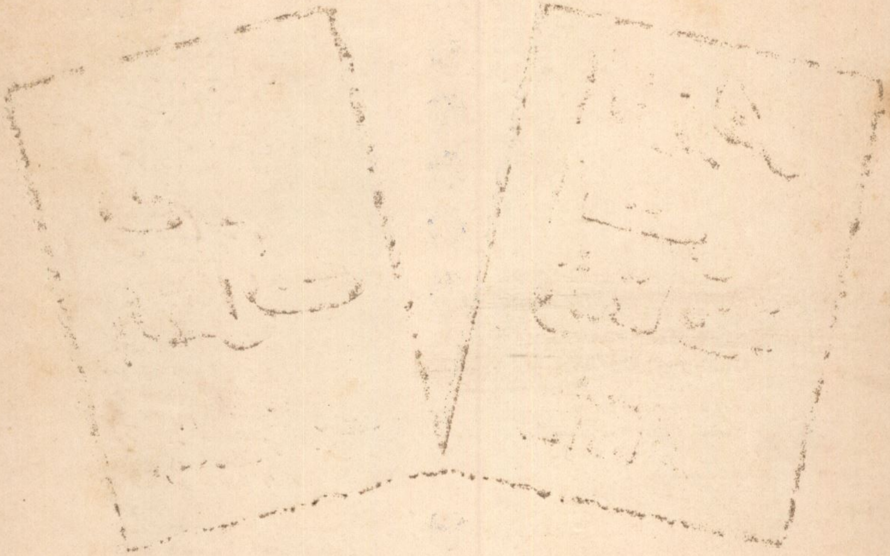

ترقبوا
في منتصف شهر
جمادى الأولى

سلسلتي

من إعجاز القرآن
نظم القرآن
الدكتور
حفني شرف

الأزهر
أثر
وثقافة
الدكتورة
سعاد ماهر

كتب إسلامية
الثمن ٢ قرشان

دراسات في الإسلام
الثمن ٥ قروش

تضمن الحصول
على
مكتبة إسلامية جامعة
بأقلام
أساتذة متخصصين

يصدرها:
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
بوزارة الأوقاف

شركة الاعلانات الشرقية